الشِّرك

بدايته وأسبابه وأنواعه وعلاجه وأحكامه ومسائله وكشف شبهات المشركين وتفنيدها

جمع وإعداد

مهدي بن ناصر الجونة

دار الطبراني
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع

الشرك
بدايته وأسبابه وأنواعه وعلاجه وأحكامه ومسائله وكشف شبهات المشركين وتفنيدها
مهدي بن ناصر الجونة

الشرك

بدايته وأسبابه وأنواعه وعلاجه وأحكامه ومسائله
وكشف شبهات المشركين وتفنيدها

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

امسح هذا الرمز ضوئياً باستخدام كاميرا واتساب للانضمام إلى هذه المجموعة

مكتبة دار الطبراني للطباعة (4)

مجموعة واتساب

طبع ونشر وتوزيع

تحت إشراف عبدالعزيز البيضاء

ت/775250954

العنوان: اليمن - لحج - تبن - مركز دار الحديث بالفيوش

الشِّرْك

بدايته وأسبابه وأنواعه وعلاجه وأحكامه ومسائله
وكشف شبهات المشركين وتفنيدها

جمع وإعداد

مهدي بن ناصر الجونة

دار الطبراني
للطباعة والتجليد والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد فإن الله خلق الجن والإنس لعبادته سبحانه، كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦]، وبعث في كل أمّة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، ولهذا جاءت دعوة جميع الأنبياء والرسل بهذا الأصل الجامع الذي هو أصل الدين وقاعدته وأساسه الذي لا يقوم إلا عليه، ولا يصح إلا به؛ فزبدة الكتب والرسالات: الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وذلك هو أساس دعوة الأنبياء والمرسلين، ولأجله خلق الله الجنة والنار وعليه يكون الحساب والجزاء يوم القيامة، وهو الذي انقسمت فيه الخلائق إلى فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير، فالموحدون هم السعداء والمشركون هم الأشقياء. والعياذ بالله.

ولهذا فإن أهم المهمّات وأعظم الغايات وأوجب الواجبات أن يكون العبد موحّدًا لله لا يُشرك به شيئًا؛ فإن ذلك أعظم الحقوق كما جاء في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» وإن من أعظم ما يُعين على ذلك معرفة التوحيد ومعرفة الشرك وأنواعه، ودراسة هذا الفقه الأكبر، والبحث والمطالعة والعناية بذلك تعلُّمًا وعملًا وتعليمًا ودعوة .

وقد يسر الله -وله الحمد كما يحب ويرضى-إعداد هذه الرسالة في موضوع الشرك، وفيها بيان وإيضاح لمعنى الشرك وبداية ظهوره وأسبابه وكيف دخل إلى بلاد العرب و بيان أنواعه وأحكامه ومسائله المتنوّعة وكشف شبهات المشركين وتفنيدها وغير ذلك من الفصول والمباحث المتعلقة بهذا الموضوع الذي يحتاج إلى التفقّه فيه كل مسلم ومسلمة، بل حتى غير المسلمين هم في أمسّ الحاجة إلى العناية به حتى يسلموا من الشرك ويكونوا من الموحدين المفلحين.

وقد جاءت هذه الرسالة بحمد الله مشتملة على مقدمة وتمهيد وسبعة أبواب وخاتمة.

وفيما يلي بيانٌ لأبواب هذه الرسالة وفصولها ومباحثها:

مقدمة

تمهيد: وفيه مسائل:

أهمية التوحيد علما وعملًا ودعوة إليه والعناية بمعرفة الشرك وأنواعه الجلية والخفية:

تعريف التوحيد ومعنى الشرك في اللغة والشرع:

الفرق بين الشرك والكفر:

الباب الأول: بداية الشرك وأصله وأسبابه:

وفيه ستة فصول وملحق:

الفصل الأول: هل الأصل في الإنسان التوحيد أم الشرك

الفصل الثاني: أول شرك وقع في بني آدم

هل المراد بقوله ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ آدم وحواء؟:

الفصل الثالث: أصل شرك العالم عبادة الأشخاص ثم الكواكب

الفصل الرابع: أسباب الشرك وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام:

أسباب الوقوع في الشرك:

أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام:

أسباب الانحراف عن العقيدة الصحيحة

سبل التّوقِّي من هذا الانحراف

الفصل الخامس: كيف دخل الشرك إلى العرب ومن أدخله:

الفصل السادس: متى وكيف كانت بداية الشرك في هذه الأمة

ملحق: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

الباب الثاني: أنواع الشرك وخطره:

وفيه فصلان وملحق:

الفصل الأول: أنواع الشرك: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تقسيم الشرك إلى نوعين: أكبر وأصغر: وله فروع:

الفرع الأول: ضابط الشرك الأكبر والأصغر:

الفرع الثاني: هل جميع المعاصي تدخل في الشرك:

الفرع الثالث: الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

الفرع الرابع: بعض الأعمال التي تكون تارة شركًا أكبر وتارة شركًا أصغر:

التوكل على غير الله:

التعلق بغير الله:

التعلق بالأسباب:

الحلف بغير الله:

التبرك بالأحجار والأشجار ونحوها:

التطير:

التمائم:

علم النجوم (علم التأثير):

قول: مُطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا:

قول ما شاء الله وشاء فلان ونحو ذلك:

تعبيد الاسم لغير الله:

المبحث الثاني: تقسيم الشرك إلى نوعين: شرك في الربوبية وشرك في الإلهية، وبيان ذلك.

المبحث الثالث: تقسيم الشرك إلى ثلاثة أنواع: الشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وأنواع ذلك:

الشِّرْك فِي الْأُلُوهِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الشِّرْكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

الفصل الثاني: الخوف من الشرك وبيان أنه أعظم الذنوب:

الشرك أعظم الذنوب؛ وذلك لأمور

مسائل ملحقة:

كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك:

المراد بقوله: ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا)):

((ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه)) لتخليص القلب من رق إحسان الخلق:

بيع أَستار الكعبة من وسائل الشرك أَو من الشرك:

حكم قول: بسم الوطن والشعب-بسم الله واسم الملك:

حكم قول: "بسم الوطن" "باسم الشعب" "باسم العروبة":

تحريم الانحناء عند السلام ووضع اليد على الجبهة:

حكم تَقْبِيل الْأَرْضِ وَرَفْعُ الرَّأْسِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ السُّجُودُ أمام الْمُلُوكِ ونحوهم ومن أُكره عليه:

إذا استعاذ الإنس بالجن أجابوهم لأنهم يرون أنه حصل لهم الشرف والرئاسة على الإنس:

الباب الثالث: أنواع الشرك الأصغر وأحكامه ومسائله:

وفيه ثلاثة فصول مع مسائلها:

الفصل الأول: الشرك الأصغر نوعان:

١ -شرك ظاهر جلي: وهو نوعان:

أ-شرك الأقوال والألفاظ.

ب-شرك الأفعال.

٢-شرك خفي: وهو ما يكون في الإرادات والنيات.

الشرك الخفي وما ورد فيه:

قد يقع العبد في الشرك الأصغر أو الخفي وهو لا يعلم :

علاج الشرك الأصغر الجلي:

أولًا: علاج شرك الأقوال والألفاظ

ثانيًا: علاج شرك الأفعال

قولهم:(الشرك الأصغر أكبر من الكبائر) باعتبار الجنس وليس على إطلاقه:

هل الشرك الأصغر تحت المشيئة مثل الكبائر أم أنه لا يُغفر إلا بتوبة:

خطر الشرك الأصغر:

مسائل ملحقة:

النهي عن الشرك في الألفاظ أتى بالتدريج:

((تركته وشركه)) دليل على أن الشرك يحبط العمل سواء كان أكبر أو أصغر:

الاستدلال على الشرك الأصغر بما نزل في الأكبر:

الفصل الثاني: تعريف الرياء وحكمه وأقسامه:

تعريف الإخلاص والرياء:

تعريف الإخلاص :

حكم الإخلاص وأهميته:

تعريف الرياء

الرياء لا يدخل في العبادات القلبية:

حكم الرياء:

أَغْرَاضُ الرِّيَاءِ ثَلَاثَةٌ:

أقسام الرياء وأحواله:

التقسيم الأول: الرياء نوعان: رياء محض ورياء الشرك:

التقسيم الثاني: الرياء نوعان: شرك أكبر وشرك أصغر:

خلاصة أحوال الإخلاص والرياء في العبادة وبعدها:

كلام أهل العلم وتقريراتهم في أقسام الرياء وأحواله:

إذا وقع الرياء بعد الانتهاء من العبادة، فهل يؤثر في العبادة؟

ما حكم تحدثه بالعمل بعد الفراغ منه مراءاة وسمعة؟

الْفَرْقُ بَيْنَ الرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ نفاق أَكْبَرُ وَبَيْنَ الرِّيَاءِ الذي هو شرك أصغر:

من دقائق الرياء وخفاياه:

إِذَا سُرَّ الْإِنْسَانُ بِمَعْرِفَةِ طَاعَتِهِ هَلْ هُوَ مَذْمُومٌ؟

إذا وقع الرياء في الفرائض فهل يلزمه إعادة الفرائض التي راءى بها:

أمور لا تدخل في الرياء:

النشاط على فعل الخير مع الصالحين ليس من الرياء:

من كان له عبادة فلا يتركها لكونه بين الناس:

ترك العمل خوفًا من الرياء:

(ترك العمل لأجل الناس رياء) ليس على إطلاقه:

لا ينهى عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء:

حالات ثناء المرء على نفسه أربع:

ينبغي التفقه في هذا الباب ومعرفة أنواع الرياء لأجل الحذر منها:

سبب الخوف من الرياء أكثر من الدجال:

علاج الرياء والسمعة وأسباب الوقاية والسلامة منهما:

الفصل الثالث: إرادة الإنسان بعمله الدنيا وأنواعها وأحكامها:

المراد بإرادة الإنسان بعمله الدنيا:

الفرق بين بين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا:

حكم إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

أحوال من أراد بعمله الدنيا ومن أخلص

كلام أهل العلم في تفاصيل وأحوال إرادة العبد بعمله الدنيا :

يثاب بقدر قصده الآخرة:

أدلة جواز تشريك النية في العبادة:

أحوال العبادة مع الرياء وإرادة الدنيا:

علاج إرادة الدنيا بعمل الآخرة

علاج الرياء وإرادة العبد بعمله الدنيا

الباب الرابع: من أدلة بطلان الشرك وبيان حال المعبودات وعابديها:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: من الأدلة والبراهين على بطلان الشرك:

الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وبطلان الشرك

النوع الأول: الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه:

النوع الثاني: أمثلة عجز آلهة المشركين:

الأمثال المضروبة لوصف حالة المشرك

الفصل الثاني: بيان حال المعبودات وعابديها:

ضلال وشقاء المشركين وحالهم مع معبوداتهم الباطلة

عبدة الطاغوت تقودهم آلهتهم حقيقة وأما عيسى وعزير وغيرهما فيمثل لهم أشباههم:

الباب الخامس: معنى الطاغوت وصفة الكفر به وذكر أشهر أوثان المشركين:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: معنى الطاغوت وصفة الكفر به:

معنى الطاغوت لغة واصطلاحا:

أجمع ما قيل في تعريف الطاغوت:

المراد بالجبت والطاغوت في قوله تعالى:﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾:

الفرق بين الصنم والوثن:

الطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة:

متى يُوصف الشخص ويُعيّن بأنه طاغوت:

من عُبد من دون الله وهو غير راض بذلك فلا يسمَّى طاغوتًا:

صفة الكفر بالطاغوت:

المعبودات الباطلة تكفر بمن عبدها مطلقًا:

المعبود في الحقيقة هو الشيطان:

الفصل الثاني: معرفة صفة عبادة اللات وأشهر أوثان المشركين:

معرفة صفة عبادة اللات وقصته:

أشهر أوثان المشركين: اللات والعُزّى ومناة:

الباب السادس: من وقع في الشرك فهل يُعذر بالجهل والفرق بين إقامة الحجة وفهم الحجة:

وفيه مسائل:

من وقع في الشرك وهو في بلد التوحيد وبين المسلمين فلا يُعذر بالجهل:

الجهل عذر في بعض الأحوال وليس بعذر في بعض الأحوال:

المراد بإقامة الحُجّة والفرق بين قيام الحُجّة وفهم الحُجّة:

الباب السابع: شبهات المشركين وكشفها والجواب عنها.

الجواب عن شبهات المشركين له طريقان: مجمل ومفصّل:

الجواب المجمل: من وجهين.

الجواب المفصّل: الجواب عن ١٣ شبهة من شبهات المشركين وتفنيدها.

الجواب عن شبهةٍ هي من أكبر شبه المشركين وتفنيدها من وجوه كثيرة:

القاعدة الكبرى التي بنى عليها المشركون دينهم هي الاقتداء بالآباء والأسلاف في الشرك وهي من أكبر الشبه عندهم :

شبهات من قال بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة والجواب عنها وتفنيدها:

الخاتمة

الحث على العناية بالتوحيد والحذر من الشرك

هذه هي محتويات هذه الرسالة؛ فما كان في هذه الرسالة من حق وصواب فهو من الله سبحانه-وله الحمد كما يحب ويرضى-، وما كان من خطإ أونقص فهو من قصوري وجهلي وتقصيري، وأسأل الله المغفرة والرحمة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان.

مهدي بن ناصر الجونة

بدار الحديث بالفيوش: تبن-لحج-اليمن

تمهيد

وفيه ثلاث مسائل، وهي كما يلي:

أهمية العناية بالتوحيد علمًا وعملًا ودعوة إليه والعناية بمعرفة الشرك وأنواعه الجلية والخفية:

قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] وقال صلى الله عليه وسلم : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» متفق عليه من حديث معاذ رضي الله عنه.

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًا؛ بل إن القرآن وجميع كتب الله المنزّلة مملوءة بالدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك بجميع أقسامه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : والقرآن مملوء من تعظيم التوحيد بالدعاء إليه والترغيب فيه وبيان سعادة أهله وتعظيم الشرك بالنهي عنه والتحذير منه وبيان شقاوة أهله. اهـ(١).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله : وبالجملة فكتب الله عزَّ وجلَّ بأسرها ورسله جميعًا متفقون على التوحيد والدعاء إليه ونفي الشرك بجميع أقسامه.اهـ(٢)

لمَّا كان الشرك أعظم الذنوب وأخطرها كان من المتعيّن على الداعي إلى الله العناية التامة بالتحذير منه والتنفير عنه والتهجين له وكشف شبهات أهله وهدم باطلهم وهذه طريقة القرآن والسنة وعليها سار سلف الأمة وأتباعهم من الدعاة والأئمة. قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء : ١١٦].

---

(١) الرد على الإخنائي (١/١٧٢)

(٢) إرشاد الثقات صـ٨.

وعن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار» رواه مسلم.

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء» رواه أحمد وصححه الألباني.

وقد اعتنى نبينا صلى الله عليه وسلم بهذا الأصل الأعظم الذي لا يقوم الإسلام ولا يصح إلا به؛ إذ هو أساس الدين وأصله، فدعا صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد وبيَّن بطلان الشرك بقوله وفعله، وهكذا سائر الرسل سلكوا هذه الطريقة المثلى.

ومما يدلّ على ذلك ما جاء في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأحاديثه الواردة في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك مع الإيضاح والبيان في مواقف كثيرة لا تحصى- وكان آخرها قبل موته بلحظات- فقد جاء عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة ، فإذا اغتمَّ كشفها وهو يقول : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (يحذر مما صنعوا)» متفق عليه.

فتأمل فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيره البليغ من ذلك حتى إنه في آخر حياته وفي أيام مرضه وألمه جعل يحذر من ذلك وينهى عنه ولم يكتفِ بذلك بل حذر ونهى قبل موته بخمس ليال، وهكذا بقي المصطفى حتى آخر لحظات عمره وحين حضرته الوفاة داعيًا إلى توحيد الله ومحذرًا من الشرك وأسبابه، فخُتمت حياته الشريفة صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ، كما أنه ابتدأ دعوته بذلك. وفي هذا درس بليغ للدعاة ليقتدوا به صلى الله عليه وسلم في ذلك.

فهذا المنهاج هو طريق الرسل وأتباعهم في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك مع الإيضاح والتفصيل والتبيين.

وهذه المسألة من الأهمية بمكان وخصوصًا في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن وكثر فيه المضللون الداعون إلى الخرافات والإلحاد وعبادة الطاغوت وزينوا فيه الشبهات بشتى أنواعها ليزعزعوا عقيدة من اغتر بهم من المسلمين. وقد حصل لهم بعض ما أرادوه والله المستعان.

وأعني بذلك ما يشاهده الناس ويسمعونه من وسائل هدَّامة كالقنوات الفضائية وأكثر مواقع الإنترنت وغيرها من الوسائل الحديثة التي دبّرت بليل لمحاربة العقيدة الصحيحة. ولا يكاد يسلم من

هذه الأجهزة الحديثة إلا الشيء القليل النافع. هذا مع ما عليه أكثر الناس اليوم من غلبة الجهل والانشغال بالدنيا والانصراف عن العلم النافع إلا من رحم الله.

من أجل ذلك كان لزامًا على الداعي إلى الله أن يبيّن للناس مسائل التوحيد بتفاصيلها ويوضحها ويشرحها لهم مع الأدلة والبيان الشافي حتى يحققوا التوحيد. وهكذا يحذرهم من الشرك بجميع أنواعه ويبين لهم صور الشرك وأنواعه ومسائله مع تفاصيل أحكامها مقرونة بالأدلة والأمثلة الموضحة حتى يسلموا من الشرك الأكبر والأصغر والخفي. فإنَّ الشرك أنواع بعضها أشد من بعض. وتجد كثيرًا من الناس يقع في بعض أنواع الشرك الأصغر أو الخفي وهو لا يعلم.

ويقصر بعض الدعاة حين يتكلمون عن التوحيد والشرك إجمالًا ، فيقولون : يا أيها الناس وحدوا ربكم واصرفوا العبادة لله وحده ، واحذروا من الشرك ، ويظنون أنهم قد قاموا بالواجب، والحق أنهم لم يقوموا بواجبهم تجاه التوحيد كما ينبغي؛ فإنَّ هذا المقام يحتاج إلى فقه عظيم لأنه يتعلق بحق الله تبارك وتعالى، فالواجب الذي تبرأ به الذمة في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك : هو التفصيل والبيان والشرح والإيضاح فبذلك تقوم الحجة وتتضح المحجّة.

وقد يقول قائل : كيف يكون ذلك ؟ والجواب : أنَّ ذلك سهل بحمد الله تعالى، وذلك بأن يختار الشخص موضوعًا مهمًا -وكل مواضيع التوحيد والتحذير من الشرك مهمة- فيجعل خطبته أو بحثه أو درسه أو محاضرته في : التمائم والحروز ونحوها -مثلا- فيذكر الأدلة مع كلام أهل العلم فيها مع الأمثلة والبيان والتفصيل، أو يختار مثلًا : موضوع تحريم البناء على القبور والغلو في الأولياء والصالحين مع ذكر الأدلة وشرحها من كلام أهل العلم مع التفاصيل المهمَّة التي قد تخفى على بعض طلاب العلم فضلًا عن العوام.

وإذا قرأ الناس الرسائل والبحوث أو سمعوا الخطب أو المحاضرات المشتملة على ذلك فإنهم سيحصِّلون خيرًا عظيمًا ويستفيدون فائدة كبيرة في أصل دينهم وأساسه، فمن سلك هذا المسلك المبارك أفلح وأنجح، وكُلٌّ بحسبه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦].

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله : فتكون الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإلى التوحيد : دعوة إلى تفاصيل ذلك، وهذا من المهمات ، لأن كثيرين من المنتسبين للعلم -من أهل الأمصار- يسلِّمون

بالدعوة إلى التوحيد إجمالا ولكن إذا أتى التفصيل في بيان مسائل التوحيد ، أو جاء التفصيل في بيان أفراد الشرك فإنهم يخالفون في ذلك وتغلبهم نفوسهم في مواجهة الناس بحقائق أفراد التوحيد وأفراد الشرك.

فالذي تميزت به دعوة الإمام المصلح أن الدعوة فيها إلى شهادة أن لا إله إلا الله دعوة تفصيلية ليست إجمالية، أما الإجمال فيدعوا إليه كثيرون ممن يقولون : نهتم بالتوحيد ونبرأ من الشرك لكن لا يذكرون تفاصيل ذلك "(١)

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : وأصل دين الإسلام : معرفة الشرك والبراءة منه وإنكاره ومعاداة أهله ، ومعرفة التوحيد على الحقيقة وقبوله ومحبته وموالاة أهله. ومن لم يكن كذلك فليس له في الإسلام نصيب ، **لأن من لم يعرف الشرك لم يعرف التوحيد** ، ومن لم يعرف التوحيد كيف يعمل به ؟ "(٢)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله : "الشرك أمره عظيم، فلا يتهاونن أحد بهذا الأمر؛ لأن من تهاون بالشرك وبالتوحيد، فإنه يكون، فإنه يكون متهاونا بأصل دين الإسلام، بل يكون متهاونا بالذي دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم في مكة سنين عددا، بل يكون متهاونا بدعوة الأنبياء والمرسلين؛ فإنهم اجتمعوا على شيء واحد، وهو العقيدة، وتوحيد العبادة والربوبية والأسماء والصفات، وأما الشرائع فشتى

لهذا وجب عليك الحذر كل الحذر من الشرك بأنواعه، وأن تتعلم ضده، وأن تتعلم أيضا أفراد الشرك، وأفراد التوحيد، وبذلك يتم العلم، ويستقيم العمل، وأما تعلم ذلك على وجه الإجمال، فهذا كما يقال: نحن على الفطرة، لكن إذا أتت الأفراد فربما رأيت بعض الناس يخوضون في بعض الأقوال أو الأعمال التي هي من جنس الشرك، وهم لا يشعرون؛ وذلك لعدم خوفهم وهربهم من الشرك، نسأل الله جل وعلا العفو والعافية "(٣).

---

(١) التمهيد صـ ٦٣.

(٢) رسائل وفتاوى عبد الرحمن بن حسن (٥٩/١)

(٣) التمهيد شرح كتاب التوحيد ٥٨/١

وما أحسن كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله حيث قال :

(إخواني اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد ، فإنه لا ينجِّي من عذاب الله إلا إياه.

ما نطق الناطقون إذ نطقوا أحسن من : لا إله إلا الله) اهـ[1]

(١) (كلمة الإخلاص وتحقيق معناها صـ ٧١).

تعريف التوحيد ومعنى الشرك فى اللغة والشرع:

تعريف التوحيد(١):

التوحيد في اللغة: مصدر وحّد، يوحّد، وهو جعل الشيء واحداً(٢)

وفي الاصطلاح: الإيمان بوجود الله وإفراده بالربوبية والألوهية والإيمان بجميع أسمائه وصفاته (٣).

معنى الشرك في اللغة والشرع:

الشرك في اللغة: مصدر مشتق من أشرك يشرك إشراكًا، ويطلق على الشيء الذي يكون بين أكثر من واحد، تقول: قد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، ومنه قول موسى عليه الصلاة والسلام:﴿وأشركه في أمري﴾ [طه:٣٢] وقول الله تعالى: ﴿ ضرب الله رجلًا فيه شركاء متشاكسون﴾ [الزمر:٢٩] (٤)

وأما معناه في الشرع: فهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.(٥)

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "وتسوية المخلوق بالخالق شرك إن كان في الأصغر فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما قال الله تعالى عنهم في الدار الآخرة: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٩٧-٩٨](٦)

وهذه الآية من الأدلة على أن الشرك تسوية غير الله بالله، ومن الأدلة أيضًا: ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك".(٧)

---

(١) تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ٣٥) د. عبد العزيز الجبرين رحمه الله

(٢) ينظر لسان العرب، مادة (وحد) ، والتعريفات ص٩٦، والحجة ١/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) ينظر لوامع الأنوار ص٥٧، القول السديد ص١٦، التنبيهات السنية ص٩، القول المفيد ١/ ٥.

(٤) القاموس المحيط(١٢١٩و١٢٢٠) و(المدخل إلى العقيدة للبريكان: ص١٢٥) و(الشرك الأصغر والخفي، مسند القحطاني:ص٨)

(٥) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ص١٥

(٦) (فتح المجيد ص٤١٥) و(حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ص٣٠٤)

(٧) (قواعد ومسائل في توحيد الألوهية للريس،ص٤)

الفرق بين الشرك والكفر:

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

الأول: أن بينهما فرقًا، فالكفر أعم من الشرك، فكل شرك كفر، وليس كل كفر شركًا: وهذا قول أبي حنيفة والنووي وأبي هلال العسكري وغيرهم وهو ظاهر كلام ابن تيمية واختاره السعدي وابن قاسم والبراك والغنيمان وناصر العقل وغيرهم. وهذا هو القول الراجح والله أعلم.

الثاني: أنه لا فرق بينهما، فهما سواء: عزا ابن حزم هذا القول للشافعي وغيره واختاره ابن حزم والألباني والراجحي وغيرهم.

قال الشيخ عمر الأشقر رحمه الله: "- الفرق بين الشرك والكفر:

١- من حيث اللغة فإن الشرك بمعنى المقارنة، أي: أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما. أمَّا الكفر فهو بمعنى الستر والتغطية.

٢- ومن حيث الاستعمال الشرعي فقد يطلقان بمعنى واحد، قال الله تعالى:(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لاجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا) الكهف:٣٥-٣٨.

وقد يفرق بينهما، قال النووي:"الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد، وهو الكفر بالله تعالى، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى، ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك" شرح صحيح مسلم (٢/٧١)، وانظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٣٠٢" اهـ[١]

---

(١) العقيدة في الله (ص: ٢١١) للأشقر. وأجاب بعضهم على الاستدلال بالآية بأن صاحب البستان وقع في الشرك كما وقع في الكفر؛ لأنه قال {مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَاذِهِ أَبَداً} فوصفه للجنة بالدوام أبدًا شرك أكبر لأن الدوام للأفراد خاص بالله، فهو ساوى غير الله بالله في الدوام وهذا شرك، فإن قيل: هو إنما شك فقال {ما أظن ...} فيقال: لكنه ظن بأن هناك ما يدوم ولا يفنى من جهة الأفراد وهذا الظن شرك. (قواعد ومسائل في توحيد الإلهية، عبد العزيز الريس ص١٠)

وقال أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية): " الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب، فمنها الشرك بالله، ومنها الجحد بالنبوة، ومنها استحلال ما حرم الله، وهو راجع إلى جحد النبوة، وغير ذلك مما يطول الكلام فيه، وأصله التغطية"، وقال أيضاً: " الفرق بين الكفر والشرك: أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان؛ لأَنَّ العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان، والشرك خصلة واحدة وهو إيجاد إلهية مع الله أو دون الله واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى "اهـ(١)

وقال السعدي: "الكفر أعم من الشرك فمن جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه بلا تأويل فهو كافر من أي دين يكون سواء كان صاحبه معانداً أو جاهلاً ضالاً ... "اهـ(٢)

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: "والشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد، وهو: الكفر بالله، واسم لمن لا إيمان له، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بقصد الأوثان وغيرها من المخلوقات، مع الاعتراف بالله، فيكون الكفر أعم "اهـ(٣)

وقال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: " أما الشرك الأكبر فهو اتخاذ ند لله في العبادة كما قال لله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ﴾ــ إلى قوله ــ ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك ". وأما الكفر الأكبر فكل ما يناقض الشهادتين شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ومعلوم أن الشرك الأكبر يناقض شهادة ألا إله إلا الله كل المناقضة؛ فهو كفر أكبر، ومن الكفر تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا، وهو: الجحود، أو باطنا، وهو: النفاق، ومن الكفر الاستهزاء بالله عز وجل أو بالقرآن أو بالرسول صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وبهذا يتبين أن بين الشرك الأكبر، والكفر الكبر عموم وخصوص، فكل شرك أكبر فهو: كفر، وليس كل كفر أكبر شركا، والله أعلم " اهـ(٤)

---

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ٢٢٣- ٢٢٥

(٢) خلاصة تفسير القرآن /٢٠٣، وانظر الرياض الناضرة /٢٥٥

(٣) حاشية ثلاثة الأصول (ص: ٥٦)

(٤) لقاءات ملتقى أهل الحديث بالعلماء (٢/ ١٥، بترقيم الشاملة آليا)

وقال الغنيمان: "الكفر أعم من الشرك؛ لأنه قد يوجد الكفر ولا يوجد الشرك، فالشرك أخص ..." [1]

وقال ناصر العقل: "الشرك الأكبر هو صنف من أصناف الكفر الأكبر، والكفر الأكبر أشمل من الشرك؛ لأن الكفر قد يكون بغير شرك مباشر، فقد يكون بترك أعمال الإسلام، أو بالإعراض عن الدين، أو الاستهزاء بالله عز وجل، أو الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، أو إنكار معلوم من الدين بالضرورة، فهذا كفر، لكن ليس له صورة الشرك، فعلى هذا يكون الشرك نوعاً من أنواع الكفر الأكبر، والكفر الأكبر يشمل الشرك وغيره. والله أعلم"اه[2]

فهذا هو الراجح-والله أعلم-أن الكفر أعم من الشرك، فبينهما عموم وخصوص، فكل شرك أكبر فهو: كفر، وليس كل كفرٍ أكبرٍ شركا، والله أعلم[3]

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (٨٣/ ٨٢، بترقيم الشاملة آليا)

(٢) شرح كتاب فضل الإسلام لمحمد بن عبد الوهاب - ناصر العقل (٦/ ١٠، بترقيم الشاملة آليا)

(٣) انظر أيضًا: قواعد ومسائل في توحيد الألوهية لعبد العزيز الريس (ص٨)

الباب الأول:
بداية الشرك وأصله وأسبابه:

وفيه ستة فصول وملحق:

الفصل الأول: هل الأصل فى الإنسان التوحيد أم الشرك[1]

اعلم -رحمك الله-أن الأصل في الإنسان هو التوحيد، والشرك طارئ على بني آدم، ويستدل على ذلك من وجوه:

أولاً: أن الإنسان الأول هو آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] فأصل الإنسان أنهم خلقوا من نفس واحدة وهي آدم، وعليه اتفاق جميع الأديان السماوية.

وقد كان آدم نبياً يعبد الله وحده لا شريك له؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه : " أن رجلا قال: يا رسول الله! أنبيا كان آدم؟ قال: نعم، مكلّم. قال: كم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون. قال: يا رسول الله! كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر "[2]

ثانياً: بيّن الله سبحانه أن البشرية كانت في أول أمرها على التوحيد، ثم طرأ عليها الشرك وتعدد الآلهة، لقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]

---

(١) الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا (١/ ١٨١) وانظر: الموسوعة العقدية - الدرر السنية (٢/ ٤٩٧-٥٠١ بترقيم الشاملة آليا)

(٢) رواه ابن حبان والحاكم وقال: " صحيح على شرط مسلم " ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٦٦٨)

قال ابن كثير: (كان الناس على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام - فبعث الله إليهم نوحاً-عليه السلام - فكان أول رسـول بعثه الله إلى أهل الأرض)، ويقول: (ثم أخبر الله تعالى أن هذا الشرـك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام)[1] اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان بين آدم ونوح عشرـة قرون كلهم على الإسـلام)[2]، وقال قتادة: (ذُكر لنا أنه كان بين آدم ونوح- عليهما السـلام- عشرـة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله عز وجل نوحاً وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض)[3]

ثالثاً: جاء في القرآن والسنة أن الفطرة التي فطرت عليها البشرية كلها هي فطرة الإسلام التي هي التوحيد الخالص، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فهاتان الآيتان تبينان أن العباد كلهم مفطورون على التوحيد وأنه الأصل في بني آدم، وقد فسر مجاهد الفطرة بأنها الإسلام.

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه: أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: ((إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشـياطين وحرمت عليهم ما أحللت، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً))[4]

---

(١) ((تفسير ابن كثير)) (٤/ ٣٥٦ - ٣٥٧)

(٢) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٤/ ٢٧٥) والحاكم (٢/ ٤٨٠). وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال ابن تيمية: ((تلبيس الجهمية)) (٣/ ٦٥): ثابت. وقال الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٧/ ٨٥٤): صحيح

(٣) ((تفسير الطبري)) (٤/ ٢٧٦)، وانظر: ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (٢/ ٦٢١،٦٢٠). وحديث ((أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض)) رواه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣). من حديث أنس رضي الله عنه

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٥) بلفظ: ((وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم))

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلي عليه وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟) ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]))[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحديث: (الصواب أنها فطرة الإسلام وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة ... وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال: ((كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟)) بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارئ)[٢]

وبهذا يتبين أن الشرك لم يكن أصلاً في بني آدم، بل كان آدم ومن جاء بعده من ذريته على التوحيد إلى أن وقع الشرك. فهذه الأدلة تنص على أن آدم وذريته عبدوا الله فترة من الزمن، وهي عشرة قرون كما يذكره ابن عباس – رضي الله عنهما، ثم انحرف من انحرف عن هذا المنهج القويم، فبعث الله إليهم الرسل ليردوهم إلى التوحيد.

وهناك رواية أخرى تبين لنا كيف بدأ وقوع بني آدم في الشرك، فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في معنى قول الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال:(هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون إليها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت)[٣]

فهذا كان مبدأ وقوع بني آدم في الشرك وانحرافهم عن توحيد الله عز وجل.

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٤/ ٢٤٥)

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٠)

الفصل الثانى: أول شرك وقع فى بنى آدم[1]:

إن مما لا خلاف فيه أن أول شرك وقع في العباد هو شرك الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]: ذكر ابن جرير الطبري في تفسير الآية عن ابن جريج قال: (من يقل من الملائكة إني إله من دونه، فلم يقله إلا إبليس، دعا إلى عبادة نفسه، فنزلت هذه الآية في إبليس).

وقال قتادة: (إنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس، لما قال ما قال لعنه الله، وجعله رجيما)[2].

وقال الضحاك في قوله تعالى: وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ: (يعني من الملائكة إني إله من دونه، قال: ولم يقل أحد من الملائكة إلا إبليس، دعا إلى عبادة نفسه وشرع الكفر)[3]

فهذا أول شرك وقع على الإطلاق - فيما أعلم -، والله أعلم

ولكن متى وقع أول شرك في بني آدم؟ اختلفوا فيه على أقوال:

والصحيح من تلك الأقوال-والله أعلم-أن أول شرك وقع في بني آدم هو في قوم نوح، ويستدل لهذا القول بما يلي:

١-قوله تعالى-مخبرًا عن قوم نوح -: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٢]، والدليل على أن هؤلاء المذكورين كانوا في قوم نوح؛ الروايات الحديثية التي وردت في تفسير الآية. ومن أشهرها: ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:(هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت)[4]

---

(١) الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا- ١/ ١٧٦ وانظر: الموسوعة العقدية - الدرر السنية (٣/ ٣،٢ بترقيم الشاملة آليا) والعروة الوثقى في ضوء الكتاب والسُّنَّة لسعيد بن وهف القحطاني (ص٨٥)

(٢) نقله الطبري في ((جامع البيان)) (٩/ ١٧ - ١٣)، وفي ((تاريخ الأمم والملوك)) (١/ ٨٣)، والسند صحيح

(٣) السيوطي في ((الدر المنثور)) (٤/ ٣١٧)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) رواه البخاري (٤٩٢٠).

قال ابن القيم -بعد ذكره لأثر ابن عباس-: "قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم"(١)

٢-قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ...)(٢)

وعن ابن عباس أيضًا قال: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام)(٣)

فهذه آثار صحيحة في بيان بداية الشرك في بني آدم، وهي تبين أن بداية الشرك كان في قوم نوح، وقبل هذا كان بنو آدم على الإسلام.

وأما ما ذكره بعض السلف عن آدم عليه الصلاة والسلام أنه وقع في شرك الطاعة فهذا لا يصح وفيما يلي بيان هذه المسألة بالتفصيل:

هل المراد بقوله ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ آدم وحواء؟:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ .فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف:١٨٩،١٩٠)

أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سَمرة: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لمَّا حملت حواء ـــ وكان لا يعيش لها ولد ـــ طاف بها إبليس، وقال: لا يعيش لك ولد حتى تسمِّيه عبد الحارث، فسمَّته فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره، فأنزل الله الآيات"

---

(١) (إغاثة اللهفان ص ١٨٨، ١٨٩)

(٢) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٤/ ٢٧٥) والحاكم (٢/ ٤٨٠) بنحوه. وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال ابن تيمية: ((تلبيس الجهمية)) (٣/ ٦٥): ثابت. وقال الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٧/ ٨٥٤): صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، ٢/ ٥٤٦، وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه))، ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ١/ ١٠١، وعزاه إلى البخاري، وانظر: فتح الباري، ٦/ ٣٧٢.

قال الألباني رحمه الله: "هذا حديث ضعيف كما كنت بيّنته في "الأحاديث الضعيفة" ٣٤٢. والضمير في قوله تعالى "جعلا" إنّما يعود إلى اليهود، والنصارى، بذلك فسره الحسن البصري كما رواه ابن جرير بسند صحيح عنه، وهو أولى ما حملت عليه الآية كما قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره"(١)

قال ابن كثير رحمه الله: "وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ خُصَيْفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ آدَمُ ﴿حَمَلَتْ [حَمْلا خَفِيفًا] ﴾ فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللَّهُ -فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ لَتطيعُنِّي أَوْ لأجعلنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيْلٍ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ -يُخَوِّفُهُمَا -فسمِّياه "عَبْدَ الْحَارِثِ" فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّانِيَةَ، فَأَتَاهُمَا أَيْضًا فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ، لتفعلُنَّ أَوْ لأفعلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا -فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّالِثَةَ فَأَتَاهُمَا أَيْضًا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ "عَبْدَ الْحَارِثِ"، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾" رواه ابن أبي حاتم.

وَقَدْ تَلْقَى هَذَا الْأَثَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، كَمُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ. وَمِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ: قَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْخَلَفِ، وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ جَمَاعَاتٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَكَأَنَّهُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ -أَصْلُهُ مَأْخُوذٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" (٢)اهـ

وقال الشنقيطي رحمه الله: فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَجْهَانِ مِنَ التَّفْسِيرِ مَعْرُوفَانِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَالْقُرْآنُ يَشْهَدُ لِأَحَدِهِمَا:

الْأَوَّلُ: أَنَّ حَوَّاءَ كَانَتْ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَحَمَلَتْ، فَجَاءَهَا الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لَهَا سَمِّي هَذَا الْوَلَدَ عَبْدَ الْحَارِثِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ، وَالْحَارِثُ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّيْطَانِ، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الْحَارِثِ فَقَالَ تَعَالَى: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا [٧\ ١٩٠] أَيْ وَلَدًا إِنْسَانًا ذَكَرًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ بِتَسْمِيَتِهِ عَبْدَ الْحَارِثِ، وَقَدْ جَاءَ بِنَحْوِ هَذَا حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ وَهُوَ مَعْلُولٌ كَمَا أَوْضَحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ لَمَّا آتَى آدَمَ وَحَوَّاءَ صَالِحًا كَفَرَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا، وَأَسْنَدَ فِعْلَ الذُّرِّيَّةِ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ ؛ لِأَنَّهُمَا أَصْلٌ لِذُرِّيَّتِهِمَا كَمَا قَالَ: وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ [٧\ ١١] ، أَيْ

---

(١) الإيمان للقاسم بن سلام - تحقيق الألباني (ص: ٨٧)

(٢) تفسير ابن كثير، ت سلامة (٣/٥٢٧،٥٢٨)

بِتَصْوِيرِنَا لِأَبِيكُمْ آدَمَ لِأَنَّهُ أَصْلُهُمْ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَهُ: ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ، وَيَدُلُّ لِهَذَا الْوَجْهِ الْأَخِيرِ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ بَعْدَهُ: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ [٧\ ١٩٠، ١٩١] ، وَهَذَا نَصٌّ قُرْآنِيٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ، لَا آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَاخْتَارَ هَذَا الْوَجْهَ غَيْرُ وَاحِدٍ لِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ، وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ كَثِيرٍ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى "(١)

وقال الشنقيطي أيضًا: "وفي هذه الآية الكريمة من سورة الأعراف وجهان معروفان من التفسير للعلماء، أحدهما جاءت به أحاديث وآثار، والتحقيق أنها لا يثبت شيء من تلك الأحاديث والآثار، وإن صحح بعض العلماء بعضها. والثاني دلّ عليه القرآن، وما دلّ عليه القرآن أرجح من غيره.

أحد الوجهين في هذا: أن إبليس -لعنه الله- لما عظُم الجنين في بطن حواء جاءها وقال لها: إنه إذا خرج قد يشق بطنك، وقد يكون بهيمة، فهل أدلك على شيء إن فعلته خرج منك بسلام، وخرج بشرًا سويًّا؟ وهو أن تسميه عبد الحارث. ويزعمون أن الحارث من أسماء الشيطان، وأنها سمته عبد الحارث، وأنها جعلت لله شركًا حيث نسبت ذلك الولد الصالح الذي أعطاها الله نسبت عبوديته للشيطان، هذا المعنى جاء عن بعض الصحابة ، وجاء في بعض الأحاديث المرفوعة، وصحح الحاكم بعضها وغيره. والتحقيق أنها لم يثبت في الحقيقة شيء منها والأغلب أن من رويت عنه من الصحابة أخذوها عن بعض الإسرائيليين.

الوجه الثاني: أن الآية الكريمة على أسلوب عربي معروف، وهو أنه جرت العادة في القرآن أن يسند فعل الآباء إلى الأولاد، وربما أسند فعل الأولاد إلى الآباء، وأن الفعل هنا أُسند لآدم وحواء (جعلا) بألف التثنية الواقعة على آدم وحواء، والمراد ذريتهما التي أعطاها الله التناسل يخرج هذا بشرًا سويًّا، ويخرج بسلام، ومع ذلك يكفرون بالله (جل وعلا) ويعبدون غيره، والدليل على أنه أطلق آدم وحواء وأراد ذريتهما من القرآن أنه قال بعده: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: آية ١٩٠] ثم قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ بصيغة الجمع ﴿مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: آية ١٩١] ثم ذكر علامات الأصنام التي يُشرك بها أولادهم كما هو واضح. وهذا القول أرْجَح، واختاره غير واحد من المحقِّقِين لدلالة القرآن عليه، ونظيره من القرآن: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ [الأعراف: آية ١١]؛ لأن معنى ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ هنا: صورنا أباكم آدم. فنسب التصوير إليهم والمُصوَّر

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/٤٦،٤٧)

أبوهم آدم، بدليل أنه قال: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ﴾ وأمر الملائكة بالسجود قبل تصوير بني آدم الآخرين كما لا يخفى.

وهذا معنى قوله: ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ القول الأول: أنهما سمّيا الولد عبد الحارث، وعلى الثاني: المُراد: ذريتهما جعلت لله شركاء، فأشركت بالله (جل وعلا) الأصنام، وشاركوه في جميع ما أعطاهم من النعم والأولاد حتى قال الله للشيطان: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ [الإسراء: آية ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: آية ١٣٦] وكونه أسند الفعل لآدم وحواء وأراد ذرّيتهما وهو الذي دَلَّ عَلَيْهِ القرآن؛ ومثل هذا كثير في القرآن؛ لأنه يقول لبني إسرائيل في زمن النبي: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [البقرة: آية ٥٧] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ [البقرة: آية ٦٣] والمفعول بهم هذا أسلاف أسلاف أسلافهم لا هؤلاء الموجودين كما هو معروف. وهذا معنى قوله: ﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾ "(١)

قال الواحدي رحمه الله(٢): "وقال أبو بكر: (قال طائفة من أهل العلم: الذين جعلوا لله شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء عليهما السلام، وتأويل الآية: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ جعل أولادهما له شركاء، فحذف المضاف) . وهذا معنى قول الحسن وقتادة وعكرمة، قال الحسن:(عني بهذا من أشرك من ذرية آدم ولم يعن آدم)(٣) ،وروى سعيد عن قتادة أنه كان يقول هذه الآية ويقول: (هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصّروا)(٤) ،وقال عكرمة: (جعلها لمن بعد آدم ممن أشرك بالله) (٥)اهـ من تفسير الواحدي رحمه الله.

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ٤١٨-٤٢٠)

(٢) التفسير البسيط (٩/ ٥١٩-٥٢٠)

(٣) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٤٨، من طرق جيدة، وقال ابن كثير في "تفسيره" ٢/ ٣٠٥: (أخرجه ابن جرير عن الحسن بأسانيد صحيحة وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية) اهـ

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في "الدر" ٣/ ٢٧٩، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد، وابن المنذر).

(٥) ذكره النحاس في "معانيه" ٣/ ١١٦، والثعلبي ٦/ ٣٠ ب، والبغوي ٣/ ٣١٤، والقرطبي ٧/ ٣٣٩.

وقال ابن كثير عن حديث سمرة السابق: "هَذَا الْحَدِيثَ مَعْلُولٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ" ثم قال": الوجه الثالث: أَنَّ الْحَسَنَ نَفْسَهُ فَسَّرَ الْآيَةَ بِغَيْرِ هَذَا، فَلَوْ كَانَ هَذَا عِنْدَهُ عَنْ سُمْرَةَ مَرْفُوعًا، لَمَا عَدَلَ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيع، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قَالَ: (كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ الْمِلَلِ، وَلَمْ يَكُنْ بِآدَمَ)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: (عَنَى بِهَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ، وَمَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ بَعْدَهُ -يَعْنِي: قَوْلَهُ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾

وَحَدَّثَنَا بِشْرٌ حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: (هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَوْلَادًا، فَهَوَّدُوا ونَصَّروا)

وَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ عَنِ الْحَسَنِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ فَسَّرَ الْآيَةَ بِذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْلَى مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدَهُ مَحْفُوظًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَا عَدَلَ عَنْهُ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ تَقْوَاهُ لِلَّهِ وَوَرَعه، فَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى الصَّحَابِيِّ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ تَلَقَّاهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَنْ آمَنُ مِنْهُمْ، مِثْلِ: كَعْبٍ أَوْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّه وَغَيْرِهِمَا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا أَنَّنَا بَرِئْنَا مِنْ عُهْدَةِ الْمَرْفُوعِ، وَاللَّهُ أَعْلَم"

ثم قال ابن كثير: "وأمّا نَحْنُ فَعَلَى مَذْهَبِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"(١)

وقال ابن القيم رحمه الله: "فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد فأتاهما إبليس فقال إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا فإن الله سبحانه اجتباه وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك"(٢)

وقال ابن جزي رحمه الله: "وهذا القول أصح لثلاثة أوجه: أحدها أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثاني أنه يدل على أن الذين

---

(١) تفسير ابن كثير، ت سلامة (٣/ ٥٢٦-٥٢٨)

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٨٩)

أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى: فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ بضمير الجمع، والثالث أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح "(١)

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "لكن الصحيح أن الحسن -رحمه الله- قال: إن المراد بالآية غير آدم وحواء، وإن المراد بها المشركون من بني آدم كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" وقال: "أما نحن؛ فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته" اهـ.

ثم قال ابن عثيمين: "وهذه القصة باطلة من وجوه:

الوجه الأول: أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من الأخبار التي لا تتلقى إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة: إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة.

الوجه الثاني: أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء؛ لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه...فمن جوز موت أحد من الأنبياء على الشرك فقد أعظم الفرية، وإن كان تابا من الشرك؛ فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء وقد تابا، ولم يذكر توبتهما، والله تعالى إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها، كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة وزوجه، وتابا من ذلك.

الوجه الثالث: أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء.

الوجه الرابع: أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة، فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية، ولو وقع منه الشرك؛ لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى.

الوجه الخامس: أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: "أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة"، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء، وإنما يأتي بشيء يقرب قبول قوله، فإذا قال: "أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة"، فسيعلمان علم اليقين أنه عدو لهما، فلا يقبلان منه صرفا ولا عدلا.

الوجه السادس: أن في قوله في هذه القصة: "لأجعلن له قرني أيل": إما أن يصدقا أن ذلك ممكن في حقه؛ فهذا شرك في الربوبية؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله، أو لا يصدقا؛ فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه.

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣١٦)

الوجه السابع: قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء؛ لقال: عما يشركان.

فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها، وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزهون عن الشرك، مبرءون منه باتفاق أهل العلم، وعلى هذا؛ فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلى بني آدم الذين أشركوا شركا حقيقيا"(١)

وقال ابن باز رحمه الله في تعليقه على كتاب التوحيد: "قوله (قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله) وهو من الشرك الإصغر "(٢)اهـ.

وعليه فالتسمية بعبد الحارث تكون من الشرك الأصغر، ولا شك أن الأنبياء -ومنهم آدم-معصومون من الوقوع في الشرك الأصغر.

وبما سبق من الحجج والبراهين يتبين أن القصة لا تصح، وأن المراد بقوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ من أشرك من ذرية آدم. وهذا القول صحّ عن الحسن البصري وجاء عن قتادة وعكرمة واختاره جمع من المحققين كابن القيم وابن كثير وابن جزي والشنقيطي والألباني وابن عثيمين وغيرهم .والله تعالى أعلم.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣٠٨-٣١٠)

(٢) التعليقات البازية على كتاب التوحيد (ص: ٧٤)

الفصل الثالث: أصل شرك العالَم عبادة الأشخاص ثم الكواكب[1]:

قال شيخ الإسلام مبينًا أن **أوائل المشركين: (صنفان: قوم نوح وقوم إبراهيم**، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر)[2]

وكلا الفريقين عابد للجن فإنها التي تأمرهم به وتسوله لهم وترضى منهم الشرك ولذلك يقول الله جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

وقد كانت الأصنام في زمن نوح عليه السلام صوراً لصالحين ماتوا، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت)[3] اهـ.

ويشير ابن عباس رضي الله عنهما إلى الآية: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وقد كان الناس قبل ذلك فيما بين آدم عليه السلام ونوح مدة عشرة قرون كانوا كلهم على الإسلام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام)[4].

وأما الشرك في زمن إبراهيم عليه السلام فقد كان بعبادة الكواكب، ولذلك ناظرهم في أن تلك الكواكب لا تستحق أن تعبد لأنها مربوبة مخلوقة مدبرة، قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد عبد اللطيف- (١/ ٩٥) وانظر (الموسوعة العقدية - الدرر السنية (٢/ ٥٠١) (٣/ ١) بترقيم الشاملة آليا)

(٢) ((قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)) (ص: ٢٢). وانظر: ((الرد على المنطقيين)) (ص: ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٠)

(٤) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٤/ ٢٧٥) والحاكم (٢/ ٤٨٠). وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال ابن تيمية: ((تلبيس الجهمية)) (٣/ ٦٥): ثابت. وقال الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (٧/ ٨٥٤): صحيح

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ [الأنعام: ٧٥ - ٧٨].

ثم إن الشرك دخل إلى العرب بنقل عمرو بن لحي الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ((رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب))(١)

(وقد كان سافر إلى الشام للتجارة فوجد أهل الشام يعبدون الأصنام فأخذ منها إلى مكة فأدخل فيهم الشرك) (٢)

وقد كانوا يعتقدون في أصنامهم أنها تقربهم إلى الله تعالى فاتخذوهم واسطة بينهم وبين الله، وهذا يشبه شرك القوم الذين بعث فيهم نوح عليه السلام.

وأما اعتقاد تأثير بعض الأشياء بخفاء مما لا يعلم له سبب ظاهر فيبدو أن ذلك دخل عليهم من أصل الكلدانيين الذين يعتقدون تأثير الكواكب، وكان هذا هو أصل شرك أولئك - قوم إبراهيم عليه السلام-. وقد كانت الشياطين تزين لهم عبادة تلك الكواكب، ولبست عليهم بأمور تدعوهم للاعتقاد فيها، وقد مثلوا لها تماثيل، فانتقل ذلك إلى العرب فوجد فيهم الاستسقاء بالأنواء، ومن مظاهر اعتقادهم تأثير بعض الأشياء بخفاء: اشتغالهم بالكهانة والطيرة.

وبهذا العرض يتبين جلياً أن أصل شرك العالم هو عبادة الأشخاص ثم الكواكب. وهذا هو الشرك الذي أرسلت الرسل لإنكاره، وليس الشرك محصوراً في اعتقاد وجود رب آخر لهذا العالم مساو لله تعالى، بل هذا النوع لم يكن معروفاً في بني آدم كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله وبهذا يتضح جهل كثير من الناس في هذه الأزمان بحقيقة الشرك) انتهى

---

(١) رواه البخاري (٣٥٢١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: ((السيرة لابن هشام)) (١/ ٧٧) و ((فتح الباري)) لابن حجر (٦/ ٦٣٤).

الفصل الرابع:
أسباب الشرك وتلاعب الشيطان بالمشركين فى عبادة الأصنام:

هذا الفصـــل مباحثه مكرّرة ومتداخلة، وقد ذكرناها مكرّرة بأســاليب متنوعة؛ فإن الحق كلما تكرّرت أساليبه فُهم، وكلما تنوعت مباحثه تقرّر وعُلم.

أسباب الوقوع في الشرك:

لوقوع الشرك سببان[1]:

السبب الأول: الغلو في المخلوق:[2] ويكون بتنزيل المخلوق منزلة فوق منزلته فيصرف له شيء من حقوق الله، وهذا الأمر جلي وواضح يبينه أصل الشرك الذي حدث لقوم نوح وإبراهيم عليهما السلام – كما تقدم مستوفى ولهذا سد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الطريق كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وأما السبب الثاني: فهو إساءة الظن برب العالمين:

وهذا السبب مترتب على السبب السابق، فإنه بعد غلو الشخص في المخلوق وحصول الجهل بالدين يتخذه وسيطاً يقربه إلى الله، ويعتقد أن الله لا يستجيب له إلا بوساطة؛ فيكون قد وصف الله بالنقص.وهذا من إساءة الظن برب العالمين. فيكون قد أساء الظن بالله، وإن اعتقد أن الله يسمع ويرى ويملك كل شيء.

قال الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد عبد اللطيف- (١/ ٩٥) وانظر (الموسوعة العقدية – الدرر السنية (٢/ ٥٠١) (٣/ ١) بترقيم الشاملة آليا)

(٢) انظر: ((إغاثة اللهفان)) (٢/ ٣٢٢).

قال ابن القيم في سياق بيانه لأنواع الظن السيئ برب العالمين: (ومن ظن أن له ولداً أو شريكاً، أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه ويتوسلون بهم إليه ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويحبونهم كحبه ويخافونهم ويرجونهم فقط ظن به أقبح الظن وأسوأه)[1] اهـ.

أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام:

قال ابن القيم رحمه الله: "وتلاعُبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعبَ بكل قوم على قدر عقولهم:

١-فطائفةٌ دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى، الذين صوّرُوا تلك الأصنام على صورهم، كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام

٢-وطائفة يعبدون الكواكب، وهم يعبدون أصناما اتخذوها بزعمهم على صُور الكواكِب المؤثِّرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتًا، وسَدَنَةً، وحُجّابًا، وحَجًّا، وقُربانًا، ولم تزل هذه في الدنيا قديمًا وحديثًا.

وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قومُ إبراهيم عليه السلام، الذين ناظرهم في بطلان الشرك، وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه. وهو مذهب قديم في العالم، وأهله طوائف شتَّى: فمنهم عُبّاد الشمس، ومن شريعتهم في عبادتها: أنهم اتخذوا لها صنمًا، يصومون لذلك الصنم ويصلُّون، ويدعونه ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها، وإذا غربت، وإذا توسطت الفَلَك، ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة، لتقع عبادتهم وسجودهم له

وطائفة أخرى: اتخذت للقمر صنمًا، وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي.

ومنهم من يعبد أصنامًا اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيتها بزعمهم، وبنوا لها هياكلَ ومتعبَّداتٍ، لكل كوكب منها هيكل يخصُّه، وصنم يخصُّه، وعبادة تخصُّه

وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمرّ لهم طريقة إلا بشخص خاص على شكل خاص، ينظرون إليه، ويعكفون عليه.

---

(١) (زاد المعاد) (٣/ ٢٣٣)

٣-ومن أسباب عبادته أيضًا: أن الشياطين تدخل فيها، وتخاطبهم منها، وتخبرهُم ببعض المغيَّبات، وتَدُلهُّم على بعض ما يخفى عليهم، وهم لا يشاهدون الشياطين.

٤-ومن أسباب عبادة الأصنام: الغلوّ في المخلوق، وإعطاؤه فوقَ منزلته، حتى جُعل فيه حَظّ من الإلهية، وشبّهوه بالله سبحانه وتعالى، وهذا هو التشبيه الواقعُ في الأمم، الذي أبطله الله سبحانه، وبعثَ رُسله، وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله"(١)

أسباب الانحراف عن العقيدة الصحيحة:

قال الشيخ الفوزان حفظه الله:

"الانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب تجب معرفتها، من أهمها:

١ - الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى ينشأ جيلٌ لا يعرفُ تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلًا، والباطل حقًّا، كما قالَ عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه -: " إنما تُنقضُ عُرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرفُ الجاهلية ".

٢ - التّعصُّبُ لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلًا، وترك ما خالفه وإن كان حقًّا؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] .

٣ - التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، ومعرفة مدى صحتها، كما هو الواقعُ من الفرقِ المخالفة من جهمية ومعتزلة، وأشاعرة وصوفية، وغيرهم، حيثُ قلدوا من قبلهم من أئمة الضلال؛ فضلوا وانحرفوا عن الاعتقاد الصحيح.

٤ - الغُلُو في الأولياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم؛ بحيث يُعتقد فيهم ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع، ودفع الضر، واتخاذهم وسائط بين الله وبين خلقه في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء؛ حتى يؤول الأمر إلى عبادتهم من دون الله، والتقرب إلى أضرحتهم بالذبائح والنذور، والدعاء والاستغاثة

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم، ط عالم الفوائد (٢/ ٩٧٢- ٩٧٨) باختصار

وطلب المدد، كما حصل من قوم نوح في حق الصالحين حين قالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وكما هُوَ الحاصلُ من عبَّاد القُبور اليومَ في كثير من الأمصار.

٥ - الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية؛ حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده؛ فصاروا يُعظِّمون البشر، ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده، كما قال قارون من قبلُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] وكما يقول الإنسان ﴿هَذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠]، ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الزمر: ٤٩].

ولم يتفكروا ولم ينظروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات، وأودعها هذه الخصائص الباهرة، وأوجد البشر وأعطاهُ المقدرةَ على استخراج هذه الخصائص، والانتفاع بها: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢- ٣٤].

٦ - أصبح البيتُ في الغالب خاليًا من التوجيه السليم؛ وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [أخرجه الشيخان]، فالأبوان لهما دور كبير في تقويم اتجاه الطفل.

٧ - إحجامُ وسائل التعليم والإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتها، فقد أصبحت مناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا، أو لا تهتم به أصلًا، وأصبحت وسائلُ الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف، أو تعنى بأشياء مادية وترفيهية، ولا تهتم بما يُقَوِّمُ الأخلاق، ويزرع العقيدة الصحيحة، ويقاوم التيارات المنحرفة؛ حتى ينشأ جيلٌ أعزلُ أمام جيوش الإلحاد لا يدان له بمقاومتها.

وسبل التّوقِّي من هذا الانحراف تتلخص فيما يلي:

١ - الرجوع إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ، وإلى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - لتلقِّي الاعتقاد الصحيح منهما، كما كان السلف الصالح يستمدون عقيدتهم منهما، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، مع الاطلاع على عقائد الفرق المنحرفة، ومعرفة شُبههم للرد عليها والتحذير منها؛ لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

٢ - العناية بتدريس العقيدة الصحيحة - عقيدة السلف الصالح - في مختلف المراحل الدراسية، وإعطاؤها الحصص الكافية من المنهج، والاهتمام البالغ في تدقيق الامتحانات في هذه المادة.

٣ - أن تُقرر دراسةُ الكُتبِ السَّلفية الصافية، ويبتعد عن كتب الفرق المنحرفة، كالصوفية والمبتدعة، والجهمية والمعتزلة، والأشاعرة والماتوريدية، وغيرهم إلا من باب معرفتها لرد ما فيها من الباطل والتحذير منها.

٤ - قيام دعاة مصلحين يجددون للناس عقيدة السلف، ويردون ضلالات المنحرفين عنها" انتهى كلام الشيخ الفوزان[١]

---

(١) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها، الفوزان، ص١١-١٤

الفصل الخامس: كيف دخل الشرك إلى العرب ومَن أدخله:

إن من مهمّات العلم-وخصوصًا علم التوحيد والعقيدة-معرفة بداية وقوع الانحراف وكيف دخل على الناس وأسباب وقوعهم فيه، وقد نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فإن معرفة ذلك مما يُعين على التمسّك بالحق والتوقّي من أسباب الانحراف، كما أنه من أكبر أسباب الفقه والبصيرة في الدعوة إلى الله وخصوصًا في مجال التوحيد والتحذير من الشرك.

من أجل ذلك عقدنا هذا الفصل المهمّ الذي يبيّن لك-أخي القارئ-كيف دخل الشرك إلى العرب ومَن أدخله. والله المستعان.

اعلم رحمك الله "أن عبادة القبور هي أصل شرك العالم، وقبورية قوم نوح هي أم القبوريات، ثم انتشرت القبورية والشرك في اليهود والنصارى والعجم من الهند والترك والبربر وغيرهم، ثم انتقلت بعد ذلك إلى العرب"(١)

قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْمِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢٣]

روى البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية "وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر الصالحين المعظمين، فإنهم لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم، فهذا أول شرك كان في بني آدم، وكان في قوم نوح فإنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك كما قال. تعالى. ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً * وَقَدْ

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين ، إعداد أحمد عسيري(ص: ٢٢٤)

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٦٠)

أَضَلُّوا كَثِيراً﴾ وهذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح فلما ماتوا جعلوا الأصنام على صورهم ثم ذهبت هذه الأصنام لما أغرق الله أهل الأرض ثم صارت إلى العرب كما ذكر ابن عباس وغيره إن لم يكن أعيانها فهي نظائرها"ا. هـ(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ... وَلَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَصْنَامِ أَنَّهَا مُشَارِكَةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ، بَلْ كَانَ حَالُهُمْ فِيهَا كَحَالِ أَمْثَالِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي الْأُمَمِ مِنَ الْهِنْدِ وَالتُّرْكِ وَالْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ، تَارَةً يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ تَمَاثِيلُ قَوْمٍ صَالِحِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا كَانَ أَصْلَ شِرْكِ الْعَرَبِ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عمرَو بن لُحَيِّ بن قَمَعة بن خِنْدِف هو أول مَنْ غيَّر دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه رآه يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار) أي: أمعاءه. وكانت خُزاعةُ وُلاةَ البيت الحرام قبل قريش، وكان عمرو هذا -فيما ذكره أهل السِّيَر- قد قدم أرض البلقاء من الشام فوجدهم يعبدون الأصنام، ويقولون: إنهم يطلبون بهم الرزق والنصر، فجلب الأصنام إلى مكة؛ فكان ذلك أوَّلَ الشرك الذي غيَّر به دين إبراهيم.

وقد قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْمِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهَا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ، أَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ فِي قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ بِعَيْنِهَا صَارَتْ إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ، ذَكَرَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَبِيلَةً قَبِيلَةً. فتبين أن شرك العرب كان من جنس شرك قوم نوح، وأن الأصنام أصلها تماثيل قوم صالحين، وشرك النصارى من هذا الجنس؛ فإنهم يصوِّرون في الكنائس صور من يحسنون به الظن، ويتخذونه شفيعًا ووسيلةً إلى الله. وقد ثبت فِي "الصَّحِيحَيْنِ "عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ

(١) الحسنة والسيئة ١١٣. ٤, ١١٤.

مَسَـاجِدَ»، يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا، قَالَتْ عَائِشَـةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، وَلَكِنْ كُرِهَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا" (١)

وأول من غيّر دين إبراهيم، ونقل الشرك إلى العرب، هو عمرو بن لحي الخزاعي، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، ومنها:

حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيته يجر أمعاءه في النار " أخرجه أحمد وصححه الألباني

وحديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي: " يا أكثم! رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به، ولا بك منه ". فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟ قال: " لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي " أخرجه ابن هشام في "السيرة" وابن أبي عاصم في " الأوائل " قال الألباني: وهذا إسناد حسن، فهو شاهد قوي للحديث السابق.

وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام " أخرجه الحاكم وقال: " صحيح الإسناد " ووافقه الذهبي أيضا، وإنما هو حسن. وله شاهد مختصر بلفظ: " أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة " أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني في " الكبير " و" الأوسط " عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا إسناد حسن في الشواهد على الأقل" انتهى من السلسلة الصحيحة للألباني(٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فرأيتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قمعة ابن خِندف يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ غيَّر عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ وسيِّب السَّوَائِبَ وَكَانَ

---

(١) شرح الأصبهانية لابن تيمية- ط المنهاج (ص: ١٢٤) ونقله عنه ابن أبي العز في "شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص: ٣١) وانظر" تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني (ص:٩وما بعدها)" فقد ذكر جملة طيبة من الأحاديث الصحيحة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٤٢)

أَشْبَهَ شَيْءٍ بِأَكْثَمَ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ) فَقَالَ الْأَكْثَمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَضُرُّنِي شَبَهُهُ؟ فقال:(إنك مسلم وهو كافر) رواه ابن حبان وقال الألباني: حسن صحيح(١)

وقال صلى الله عليه وسلم: «أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة» رواه الطبراني عن ابن عباس، ورواه الحاكم وابن أبي عاصم وابن إسحاق عن أبي هريرة وصححه الألباني(٢)

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: وأما قصة عمرو بن لحي، وتغييره دين إبراهيم: فإنه نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة، والحرص على أمور الدين، فأحبه الناس حبا عظيما، ودانوا له لأجل ذلك، وملكوه عليهم حتى صار ملك مكة له، وولاية البيت بيده، وظنوا أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء. ثم إنه سافر إلى الشام، فرآهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وظنه حقا، لأن الشام محل الرسل والكتب، فلهم الفضيلة بذلك على أهل الحجاز وغيرهم، فرجع إلى مكة وقدم معه بهبل، وجعله في جوف الكعبة. ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله، فأجابوه. وأهل الحجاز في دينهم تبع لأهل مكة لأنهم ولاة البيت وأهل الحرم؛ فتبعهم أهل الحجاز على ذلك ظنا أنه الحق. فلم يزالوا على ذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بدين إبراهيم، وإبطال ما أحدثه عمرو بن لحي؛ وكانت الجاهلية على ذلك، فيهم بقايا من دين إبراهيم لم يتركوه كله.

وأيضا يظنون أنهم على دين إبراهيم، وأن ما أحدثه عمرو بدعة حسنة، لا تغير دين إبراهيم...ثم كثر الشرك، وكثرت الأوثان في كل بقعة من الحجاز ؛ وكان لهم أيضا بيوت يعظمونها كتعظيم الكعبة، وكانوا كما قال الله عز وجل ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة آل عمران آية: ١٦٤].

ولما دعا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الله، كان أشد الناس إنكارا له: علماؤهم، وعبادهم، وملوكهم، وعامتهم، حتى إنه لما دعا رجلا إلى الإسلام، قال له: من معك على هذا؟ قال: (حر وعبد) ، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال.

---

(١) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ٤٥٥)

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٥٠٤)

وأعظم فائدة لك أيها الطالب، وأكبر العلم، وأجل المحصول: إن فهمت ما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ " وقوله: " لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ ". وقوله: " ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة ". فهذه المسألة هي أجل المسائل، ومن فهمها فهو الفقيه، ومن عمل بها فهو المسلم. نسأل الله الكريم المنان، أن يتفضل علينا بفهمها، والعمل بها)[1]

وإنما ذكرت كلام المجدد محمد بن عبد الوهاب هنا حتى نعلم أن هذه مسألة جليلة عظيمة، ولا نستكثر الكلام عنها، وبسط القول فيها. والله المستعان.

قال السيوطي رحمه الله: "ثم استمر التوحيد في ولد إبراهيم، وإسماعيل، قال الشهرستاني في الملل والنحل: كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في صدر العرب شائعاً وأول من غيره واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي. قلت: وقد صح بذلك الحديث، أخرج البخاري، ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب). وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: (إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيته يجر أمعاءه في النار)...وأخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس قال: كان الناس بعد إسماعيل على الإسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك اللّهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، قال: فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك قال السهيلي في الروض الأنف: كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم، وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها، وكانت التلبية من عهد إبراهيم: لبيك اللّهم لبيك لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكاً هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: وما هذا؟ فقال. الشيخ: قل تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا فقالها عمرو ودانت بها العرب، انتهى كلام

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩/ ٣٦٦-٣٦٨)

السهيلي، وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه: كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وسلّم فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها وزاد في التلبية بعد قوله لبيك لا شريك لك قوله: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فهو أول من قال ذلك، وتبعته العرب على الشرط فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم المتقدمة وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم، وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلثمائة سنة، وكانت ولايتهم مشئومة إلى أن جاء قصي جد النبي صلى الله عليه وسلّم فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب وانتزع ولاية البيت منهم، إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه لها عمرو الخزاعي من عبادة الأصنام وغير ذلك لأنهم رأوا ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي أن يغير. انتهى "(١)

وقال ابن هشام في "السيرة" : (حديث عمرو بن لحيّ وذكر أصنام العرب:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إبراهيم الْحَارِثِ التَيمِي أَنَّ أَبَا صَالِحٍ السَّمَّانَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ، وَيُقَالُ اسْمُهُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ يَقُولُ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ لِأَكْثَمَ بْنِ الجَوْن الخُزاعي: "يَا أكثمُ، رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيّ بْنِ قَمَعة بْنِ خنْدِف يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ، وَلَا بِكَ مِنْهُ". فَقَالَ أَكْثَمُ: عَسَى أَنْ يَضُرَّنِي شَبَهُهُ يَا رسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لَا، إِنَّكَ مؤمنٌ وَهُوَ كَافِرٌ، إِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ غيَّر دِينَ إِسْمَاعِيلَ، فَنَصَبَ الْأَوْثَانَ، وبَحَر البحِيرة وسيبَ السائبة، ووصل الوَصِيلة، وحمى الحَامِي".

أصل عبادة الأصنام في أرض العرب:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ عَمرو بْنَ لُحَيٍّ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ مآبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، وَبِهَا يَوْمَئِذٍ الْعَمَالِيقُ، وَهُمْ وَلَدُ عِمْلاق. وَيُقَالُ: عِمْليق بْنُ لَاوذ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، رَآهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي أَرَاكُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا لَهُ: هَذِهِ أَصْنَامٌ نَعْبُدُهَا فنستَمْطرها فتُمطرنا، ونستَنْصرها فتنصُرنا، فقال لهم: ألا تُعْطُونَنِي مِنْهَا صَنَمًا، فَأَسِيرَ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، فَيَعْبُدُوهُ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنَمًا يُقَالُ لَهُ: هُبَل، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَنَصَبَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وتعظيمه.

سبب عبادة الأصنام: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَوَّلَ مَا كَانَتْ عِبَادَةُ الْحِجَارَةِ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ، أَنَّهُ كَانَ لَا يَظْعَنُ مِنْ مَكَّةَ ظَاعِنٌ مِنْهُمْ، حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ، وَالْتَمَسُوا الفُسَح فِي الْبِلَادِ، إِلَّا حَمَلَ

(١) الحاوي للفتاوي للسيوطي..العلمية (٢/ ٢٠٤)

مَعَهُ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيمًا لِلْحَرَمِ، فَحَيْثُمَا نَزَلُوا وَضَعُوهُ، فَطَافُوا بِهِ كَطَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ، حَتَّى سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَا اسْتَحْسَنُوا مِنْ الْحِجَارَةِ وَأَعْجَبَهُمْ، حَتَّى خَلَفَ الْخُلوف، وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَبْدَلُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ غَيْرَهُ، فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ، وَصَارُوا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْأُمَمُ قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذَلِكَ بَقَايَا مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا: مِنْ تَعْظِيمِ الْبَيْتِ، وَالطَّوَافِ بِهِ، وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى عَرَفَةَ وَالْمُزْدَلِفَةِ، وهَدْي الْبُدْن، وَالْإِهْلَالِ بالحَج وَالْعُمْرَةِ، مَعَ إِدْخَالِهِمْ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ. فَكَانَتْ كنانةُ وَقُرَيْشٌ إِذَا أهلُّوا قَالُوا: "لَبَّيك اللّهمَّ لَبَّيْكَ، لَبيك لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ، تملكُه وَمَا مَلَكَ". فَيُوَحِّدُونَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يُدخلون مَعَهُ أصنامَهم، وَيَجْعَلُونَ مِلْكَها بِيَدِهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] أَيْ مَا يوحدونَني لِمَعْرِفَةِ حقِّي إِلَّا جَعَلُوا معي شريكًا في خلقي".انتهى(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإِنَّ الْعَرَبَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَغَيْرِهِ الَّذِينَ كَانُوا جِيرَانَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ كَانُوا حُنَفَاءَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَنْ غَيَّرَ دِينَهُ بَعْضُ وُلَاةِ خُزَاعَةَ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ بِالشِّرْكِ، وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قَصَبَهُ - أَيْ أَمْعَاءَهُ - فِي النَّارِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَحَّرَ الْبَحِيرَةَ، وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ، وَغَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ»(٢)

(١) سيرة ابن هشام. ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ٧١)

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ١٢٣-١٢٤)

الفصل السادس: متى وكيف كانت بداية الشرك في هذه الأمة[1]:

تقدّم في الفصل السابق بيان كيف دخل الشرك إلى العرب ومن أدخله، وفي هذا الفصل سيكون الكلام عن بداية الشرك في هذه الأمة ومتى كان وكيف كان ذلك.

قال ابن حزم: (الأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا على سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسهم، حتى أنهم يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم، على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم خطراً، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة، في أوقات شتى، ... فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح.

فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشناع ظلم علي -رضي الله عنه-، ثم سلكوا بهم مسالك شتى، حتى أخرجوهم عن الإسلام، فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلاً ينتظر يدعى المهدي، عنده حقيقة الدين، إذ لا يجوز أن يؤخذ الدين من هؤلاء الكفار، وقوم خرجوا إلى نبوة من ادعى له النبوة، وقوم سلكوا بهم ... القول بالحلول، وسقوط الشرائع.

وآخرون تلاعبوا بهم، وأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة ... وقد سلك هذا المسلك أيضاً عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي، فإنه -لعنه الله- أظهر الإسلام ليكيد أهله، فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان - رضي الله عنه- ...

ومن هذه الأصول الملعونة، حدثت الإسماعيلية، والقرامطة، وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة، ثم مذهب مزدك الموبذ، ... فإذا بلغ الناس إلى هذين الشعبين أخرجوهم عن الإسلام كيف شاؤوا، إذ هذا هو غرضهم فقط)[2] انتهى.

فأول فرقة ظهوراً هي الشيعة، وكانت الخوارج أيضاً في نفس الوقت ظهرت كفرقة مستقلة، وإن كان لكل منهما وجود قبل هذا ولكن بصفة متفرقة، فهاتين الفرقتين لهما السبق في تفريق جمع هذه الأمة.

---

(١) الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا (١/ ٦٤٧) والموسوعة العقدية-الدرر السنية (١٢/٣ وما بعدها)

(٢) ابن حزم الأندلسي في ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) (٢/ ١١٥ - ١١٦)، والبغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ٥٨٤، ٢٨٥)، والديلمي في ((قواعد آل محمد)) ((بيان عقيدة الباطنية وبطلانها)) (ص: ١٩)

قال الشهرستاني: (ومن الفريقين ابتدأت البدع والضلالة ... وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين: أحدهما: الاختلاف في الإمامة.

والثاني: الاختلاف في الأصول ... والاختلاف في الإمامة على وجهين: أحدهما: القول بأن الإمامة بالاتفاق والاختيار، والثاني: القول بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين ... وأما الاختلاف في الأصول فحدثت في آخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، ... في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر ...)[1] ، فتبرأ ابن عمر وابن عباس وغيرهما ممن يقول بهذه المقالة. ثم حدثت بدعة الإرجاء، ثم حدثت بدعة الجهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به، فإنه نفى أن يكون لله صفة، وأورد على أهل الإسلام شكوكاً أثرت في الملة الإسلامية آثاراً قبيحة تولد منها بلاء كبير.

وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال على يد واصل بن عطاء، كمسلك فكري، بنت هذه الفرقة مذهبها على الجدل، واستعانت في ذلك بما وجدته من منطق اليونان وفلسفتها لتعزيز آرائها، وغيروا كثيراً من مفاهيم العقيدة، وأصلوا لبدعتهم أصولاً توافق عقولهم وأهواءهم.

ثم تطورت هذه المذاهب السياسية والفكرية وتشعبت حتى خرجت بعض هذه الفرق عن دائرة الإسلام، كما هو معلوم.

بداية الانحراف الشركي في هذه الأمة في الربوبية بالتعطيل:

بعد استعراض أقوال العلماء في كيفية انحراف عقيدة هذه الأمة يحسن بنا أن نتعرف على بداية الانحراف الشركي في الربوبية بالتعطيل: سواء كان في أسماء الله أو صفاته أو أفعاله. ولعل أول شرك منظم في هذه الأمة في هذا الجانب – على ما نص عليه العلماء – هو شرك القدرية[2] الذين أنكروا القدر، فأشركوا في الربوبية بتعطيل صفات الله عز وجل وأفعاله. فإن إنكار القدر يتضمن إنكار كثير من الصفات والأفعال، كما أنهم أثبتوا خالقين.

وأول من عرف بذلك رجل مجوسي يقال له: سيسويه، من الأساورة، وإن كان قد اشتهر أن أول من قال به معبد الجهني[3].

---

(١) الشهرستاني: ((الملل والنحل)) (١/ ١٧ – ٢٢).

(٢) انظر ما ذكره ابن أبي العز في ((شرح الطحاوية)) (١/ ٣٢٢)

(٣) انظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع فتاواه)) (٧/ ٣٨٤)، وما ذكره المقريزي في ((الخطط)) (٣/ ٣٦٠).

ثم ظهر شرك التعطيل في أسماء الله وصفاته، بأنه ليس لله أسماؤه الحسنى، وأنه لا يوصف بشيء مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يحب أحداً من عباده، ولا يتكلم وليس له يد ولا وجه، وكان أول من عرف بذلك رجل يقال له: الجعد بن درهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل للأسماء والصفات- إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضلال الصابئين، فأول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة ... في الإسلام: هو الجعد بن درهم، فأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم)[1].فهذه سلسلة يهودية لها سوابق في محاربة الإسلام.

فتبين من هذا أن الإلحاد أو شرك التعطيل في الربوبية بتعطيل الأسماء والصفات والأفعال ما هو إلا مؤامرة يهودية سيقت بغية إفساد العقيدة الصحيحة النقية للإسلام، كما بينا أن هذا الرفض أول من عرف من دعاته يهودي ماكر حاقد وهو ابن سبأ.

والمقصود: بيان كون الشرك الذي يتعلق بذات الرب سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله بالتعطيل أول ما حدث في تاريخ الإسلام من قبل هؤلاء القدرية في زمن صغار الصحابة، ومن قبل هؤلاء الجهمية بعدما ذهب أئمة التابعين - رضوان الله عليهم أجمعين[2].

وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال على يد واصل بن عطاء؛ فأنكر صفات الله عز وجل متأثراً بالجهمية، فهؤلاء المعتزلة نفوا أن يكون الله عز وجل خالقاً لأفعال العباد، وأثبتوا صفة الخلق لأفعال العباد، وأثبتوا صفة الخلق لأفعال العباد للعباد الضعفاء، وحرفوا الآيات القرآنية الدالة على الصفات وخلق الله لأفعال العباد، وجعلوا الأحاديث الصحيحة التي تدل على خلق الله سبحانه لأفعال العباد ظنية غير موجبة للعمل، تلبية لدعوة هواهم في إثبات آرائهم الفاسدة، وجمعوا بهذه الأعمال الشنيعة بين شرك تعطيل الصفات مع شرك تعطيل الأفعال، فما عبدوا إلا المعدوم، وما أشبهوا إلا المجوس.

---

(١) ابن تيمية: ((مجموع فتاواه)) (١٤/ ٢٠)، وانظر ما نقله عنه ابن عبد الهادي في ((العقود الدرية)) (ص: ٨٥).

(٢) راجع ما قاله شيخ الإسلام في ((مجموع فتاواه)) (٤/ ٣٤٧ - ٣٥٧)، وفي كتابه ((تفسير آيات أشكلت على كثير من الناس ..)) (٢/ ٧٧٤، ٧٧٥).

وتأثر بهم ابن كلاب، فهذب مذهب الاعتزال وحاول تقريبه إلى مذهب أهل السنة في الصفات، ولكن لم يتخلص منهم، ثم ظهر في الساحة الإمام الأشعري، وكان أخذ عن الجبائي المعتزلي في أول الأمر، ولكنه سرعان ما رجع إلى مذهب ابن كلاب، فألف ودافع عنه، فهؤلاء الأشاعرة المنسوبة إلى الإمام الأشعري كلهم من أتباع ابن كلاب في الحقيقة، وهم من المتأثرين بالمعتزلة في الصفات حيث لم يتخلصوا من شرك التعطيل.

ومن الذين تأثروا بمذهب المعتزلة والجهمية في زمن الأشعري: أبو منصور الماتريدي، حيث إنه أخذ مذهب الاعتزال وأراد أن يتخلص منه، ولكن فاته الحظ الأوفر من مذهب السلف في الصفات، فلم يسلم من شرك التعطيل في صفات الله جل وعلا من جميع الوجوه، وهؤلاء الماتريدية المنسوبون إليه إلى يومنا هذا كلهم واقعون في شرك تعطيل بعض صفات الله جل شأنه شاؤوا أم أبوا.

والمقصود: أن هؤلاء الأشاعرة والماتريدية إنما تأثروا ببدعة الجهمية في إنكار الصفات وتأويلها وتعطيلها، وبهذا وقعوا في شرك التعطيل من غير أن يشعروا، ورائدهم في ذلك: جهم بن صفوان الذي ابتدع هذه البدعة في زمان أئمة التابعين وأتباعهم.

وفي نفس الوقت حدث في الساحة شرك التشبيه بالله جل شأنه، فسموا مشبهة، وهم صنفان: صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف آخر شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى(١)

فأما الذين شبهوا ذات الباري بذات غيره، فسيأتي ذكرهم في شرك الأنداد، وأما الذين يشبهون صفاته بصفات المخلوقين فهم الذين وقعوا في شرك التعطيل - تعطيل الصفات - إذ إن كل مشبه معطل، فهؤلاء المشبهة كثيرون، ولعل من أوائلهم: (هشام بن الحكم الرافضي الذي شبه معبوده بالإنسان، وتبعه هشام بن سالم الجواليقي الذي زعم أن معبوده على صورة الإنسان(٢). تعالى الله عن هذه المقولات القبيحة علواً كبيراً.

---

(١) انظر ما ذكره الأشعري في ((مقالات الإسلاميين)) (١/ ١٠٦ - ١٠٩ و١/ ٢٨١ - ٢٩٠)، والبغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ٦٥ - ٧١ و ٢٢٥ - ٢٣)، والشهرستاني في ((الملل والنحل)) (١/ ٩٢ - ٩٩)

(٢) البغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ٢٢٧).

وتبعهما الغالية من الرافضة في التشبيه[1] كما تأثر بهما جماعة من المعتزلة وغيرهم.

وبعد ظهور شرك تعطيل الصفات بزمن يسير ظهر في الساحة شرك وحدة الوجود، وهو شرك تعطيل معاملة الله سبحانه عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، قال ابن القيم: (ومن هذا شرك أهل وحدة الوجود الذين يقولون: ما ثم خلق وما خلق، ولا هاهنا شيئان، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه)[2].اهـ

ولعل أول من قال بهذه المقالة الشنيعة في هذه الأمة هو الحلاج.

وتبعه كل من ابن الفارض، وابن عربي، وابن سبعين وغيرهم، والمتصوفة الطرقية عموماً.

فالحلاج هو القائل الأول بوحدة الوجود، وأما القائلون بالحلول والاتحاد فقد حاز السبق فيه أيضا ابن سبأ وأتباعه، فقد وجد هذان الشيئان في الغالية من الرافضة قديماً، وقد ذكر الأشعري والبغدادي والشهرستاني من ذلك شيئاً كثيراً[3]

المقصود: بيان أن هؤلاء أشركوا بالله جل وعلا بتعطيل حقيقة التوحيد، فمنهم من ادعى الألوهية لنفسه، ومنهم من ادعى الحلول، ومنهم من ادعى الاتحاد، كما أن فريقاً آخر منهم ادعى الوحدة، وهم أكفر وأشد تشريكاً بالله من اليهود والنصارى، فاليهود - مثلاً - قالوا بحلول الرب في ذات عزرا، وقالت النصارى بحلوله في ذات المسيح، ولكن هؤلاء قالوا بحلوله سبحانه في كل شيء حتى في أخبث الحيوانات وأنتن الأماكن والبقاعات.

فهذا استعراض مجمل لخط الانحراف العقدي الشركي في هذه الأمة في الربوبية التي تتضمن الشرك في الألوهية أيضاً - كما هو معلوم - بالتعطيل.

---

(١) انظر ما ذكره الأشعري في ((مقالات الإسلاميين)) (١/ ١٠٦ - ١٠٩)، وما ذكره البغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ٦٥ - ٧٠)، وما ذكره الشهرستاني في ((الملل والنحل)) (١/ ٤٤ - ٥٦، ١/ ٩٢ - ٩٨).

(٢) ((الجواب الكافي)) (ص: ٣١١)

(٣) انظر ما ذكره ((الأشعري في مقالاته)) (١/ ٦٦ - ٨٨)، والبغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ١٣، ٢٣٠، ٢٦٩)، والشهرستاني في ((الملل والنحل)) (١/ ١٤٥ - ١٧٧).

بداية ظهور شرك الربوبية بالأنداد في هذه الأمة:

لعل أول شرك في هذا الجانب هو شرك عبد الله بن سبأ [١] اليهودي حيث أشرك بالله جل شأنه في الربوبية بالأنداد في الذات. حيث غلا في علي – رضي الله عنه – حتى زعم أنه إله[٢]، كما أنه هو الرائد في الإشراك بالله في الربوبية بالأنداد في الصفات والأفعال؛ حيث زعم: أن علياً له الحياة الدائمة المطلقة، وله العلم المحيط بكل شيء، وله القدرة الكاملة الشاملة على كل شيء، وأنه هو الذي يقوم بمحاسبة الناس يوم القيامة، ويأتي بالأمطار، وسينتقم من أعدائه[٣]، وغير هذه الاعتقادات الباطلة التي فيها شرك في الربوبية بالأنداد في الصفات والأفعال.

وبهذا نستطيع أن نقول: إن بداية ظهور شرك الربوبية بالأنداد في الذات إنما كان من عبد الله بن سبأ اليهودي، وتبعه أغلب الروافض الغلاة [٤]، والإسماعيلية، والعبيدية، والقرامطة، والنصيرية، والدروز، وغيرهم.

وأما الشرك في الربوبية بالأنداد في الصفات والأفعال فقد كان السبق فيه أيضاً لابن سبأ اليهودي، وقد سبق بيانه، ويشترك كل من أشرك بالله في الربوبية بالأنداد في الذات في الشرك بالله بالأنداد في الصفات والأفعال؛ لأن كل من أثبت إلهاً من دون الله أعطى له من صفات الربوبية وأفعاله ما شاء وما أراد[٥] ووقع في هذا النوع من الشرك كثير ممن لا يشرك بالله في ربوبيته في الأنداد في الذات، كالإمامية من الشيعة، والغلاة من المتصوفة في النبي صلى الله عليه وسلم، وفي بعض مشايخ التصوف وأساطينهم.

---

(١) انظر ما ذكره البغدادي في ((الفرق بين الفرق)) –حيث صدر بذكره في الخارجين من الإسلام– (ص: ٢٣٣).

(٢) انظر البغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ٢٣٣)، وانظر أيضاً ما ذكره المقدسي في ((البدء والتاريخ)) (٥/ ١٢٥ – ١٢٩)، وابن حجر في ((لسان الميزان)) (٣/ ٢٨٩ – ٢٩٠)، والذهبي في ((ميزان الاعتدال)) (٢/ ٤٢٦).

(٣) انظر ما ذكره ((الأشعري في مقالاته)) (١/ ٨٦ – ٨٨)، والبغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ٢١ – ٢٣٣)، وما ذكره الشهرستاني في ((الملل والنحل)) (١/ ١٧٧).

(٤) انظر ما ذكره البغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ٢٣ – ٢٤، و٢٢٥ – ٢٣٠، و٢٣٣ – ٢٦٦)، والأشعري في ((المقالات)) (١/ ٦٦ – ٨٨)، الشهرستاني في ((الملل والنحل)) (١/ ١٥١، ١٧٦ – ١٩١).

(٥) راجع ما ذكره الأشعري في ((المقالات)) (١/ ٦٦ – ٨٨)، والشهرستاني في ((الملل والنحل)) (١/ ١٥١، ١٧٦ – ١٩١)، والبغدادي في ((الفرق بين الفرق)) (ص: ٢٣ – ٢٤، ٢٢٥ – ٢٣٠)، وابن منظور في ((تهذيب تاريخ دمشق)) (٧/ ٤٣٠).

أما الرافضة فأصل البلاء عندهم في شرك الأنداد في الصفات والأفعال هو اتباعهم لابن سبأ اليهودي الزنديق الذي أراد أن يغير الدين الإسلامي الحنيف إلى دين اليهود والنصارى، فأحدثوا لهم أقوالاً من هذا النمط. وسيأتي تفصيل هذه المقولات فيما بعد إن شاء الله.

وأما الباطنية فهؤلاء تآمروا على هدم الدين من أساسه، فادعوا الند والشريك بالسابق، وله قرين، سموه بالتالي وهو الذي خلق السموات والأرضين وما فيهن.

أما السبب في انتشار شرك الأنداد بين المتصوفة فهو: أنه قد ظهر أناس من المسلمين بمظهر التقشف، وكان أخطر هؤلاء الأعداء على الدهماء وأبعدهم غوراً في الإغواء: أناس ظهروا بأزياء الصالحين؛ بعيون دامعة كحيلة، ولحى مسرحة طويلة، وعمائم كالأبراج، وأكمام كالأخراج، يحملون سبحات طويلة كبيرة الحبات، يتظاهرون بمظهر الدعوة إلى سنة سيد السادات، مع انطوائهم على مخاز ورثوها عن الأديان الباطلة، والنحل الآفلة، وكان من مكرهم الماكر أن خلطوا الكذب المباشر بالتزيد في تفسير مأثور، أو في فهم حديث صحيح، أو تأويله على مقتضى هواهم، أو الاستدلال بحديث مكذوب سواء كان قصداً أو بغير قصد. فهؤلاء غلوا في أنفسهم بادعاء أشياء واهية من التصرفات في الكون، والعلم بما في المكنون، والقدرة على تقليب الشيء الموزون، ثم لما هلك هؤلاء جاء أتباعهم فادعوا فيهم أكثر مما ادعوا لأنفسهم من ذكر الكرامات، طلباً لتقديس الشخصيات، اتباعاً لسنن الأمم السابقة في هذه المجالات

بداية ظهور الشرك في الألوهية والعبادة:

لعل أصل حدوث الشرك في الألوهية والعبادة كان من قِبَل الشيعة على اختلاف فرقها، وطوائفها، ونحلها، فإن التشيع هو ملجأ كل من يريد أن يحارب الإسلام والمسلمين، فما الباطنية بجميع شعبها - والإسماعيلية والقرامطة، والنصيرية، والعبيدية، والدرزية - إلا من فرقها، ومعروف: أن هؤلاء الباطنية كانوا مشركين بالله جل وعلا في ذاته وصفاته وأفعاله، ومشركين بالله جل وعلا في عبادته ومعاملته أيضاً، فهؤلاء جمعوا خبائث الأمم السابقة، وقالوا بالمجوسية المحضة، وجاهروا بترك الإسلام جملة، وهؤلاء كما كانوا يثبتون الشرك في الربوبية في الذات، ويثبتون الشرك في الربوبية في الصفات والأفعال، هكذا كانوا يعبدون القبور وأهلها، ويبنون عليها المساجد، والقباب، فأحيوا بذلك سنة اليهود

والنصارى، فظهرت في هذه الأمة فرقة قبورية وثنية مشركة في صورة هؤلاء الروافض، الذين عمروا المشاهد وعطلوا المساجد(١)

فالإسماعيلية منهم - مثلاً - بثوا معتقداتهم بين الناس سراً، فاستحسن الجهال هذا الأمر لخفته وطرح التكاليف الشرعية، فأخذت تظهر الاعتناء بالقبور وتشييد المزارات والمشاهد، وتحري الدعاء عندها(٢)، حتى نقلهم الشيطان إلى اتخاذهم شفعاء، ثم نقلهم إلى دعاء الأموات، ودعاء صاحب القبر، ثم نقلهم إلى الاعتقاد بأن لهم تصرفاً في الكون، تدرج هذا في قرنين ونحوها.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: (إن أقدم من وقفت عليه يُرجع المسلمين إلى دين الجاهلية في الاعتقاد بالأرواح والقبور هم الإسماعيليون، وبخاصة إخوان الصفا، تلك الجماعة السرية الخفية التي بنت عقائدها ورسائلها الخمسين بسرية تامة حتى لا يكاد يعرف لها كاتب، ولا مصنف وإن ظن ظناً. ثم تبعهم على تقديس المقبورين من أهل البيت: الموسويون الملقبون بالاثني عشرية)(٣) اهـ

وهذه الجماعة الباطنية كانت نشاطاتها في أول القرن الثالث، ولم تعرف رسائلها التي قعدت لمذهبها، وبثت ذلك أوساط الناس إلا في القرن الرابع الهجري، بسرية تامة، فدخلت الأفكار في الطغام، وأنكرها العلماء الأعلام، وكفروا أصحابها.

وبما ذكرناه نعلم أن الشرك في القبور في هذه الأمة إنما هو من معتقدات الباطنية في هذه الأمة، ولم يكن هذا فاشياً قبل ظهورهم. هذا من ناحية ...

ومن ناحية أخرى: أنه عربت كتب الفلاسفة اليونانية القبورية الوثنية، وعكف عليها كثير ممن تفلسفوا في الإسلام، أمثال الفارابي الكافر، وابن سينا الحنفي القرمطي، ونصير الكفر والشرك الطوسي.

وغيرهم ممن لعبوا بالإسلام كما لعب بولس بالنصرانية.

فتأثروا بآرائهم الفلسفية، ومنها العقائد القبورية، فصاروا دعاة القبورية الوثنية بتفلسفهم. وسايرهم كثير من المتكلمين من الماتريدية الحنفية، والأشعرية الكلابية، بسبب العكوف على كتبهم الفلسفية، فتأثروا بعقائدهم القبورية، حتى صاروا دعاة إلى القبورية الدهمية في آن واحد.

---

(١) انظر ما ذكره البركوي: في ((زيارة القبور)) (ص: ٢٠).

(٢) انظر ما كتبه الجوير: ((الإسماعيلية المعاصرة)) (ص: ١٣٥).

(٣) (هذه مفاهيمنا، صالح آل الشيخ، ص: ٩٩، ١٠٠)

فهذه نبذة من تاريخ حدوث الشرك في العبادة والألوهية في هذه الأمة، والتي تؤكد: أن الشرك بالعبادة ما كان موجوداً في القرنين الأول والثاني، وإنما حدث بعد هذا عندما ذهب أصحاب القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (قد جاءت خلافة بني العباس. وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثير منها كذباً، وكانوا عند مقتل الحسين بكربلاء قد بنوا هناك مشهداً، وكان ينتابه أمراء عظماء، حتى أنكر عليهم الأئمة، وحتى إن المتوكل لما تقدموا له بأشياء يقال إنه بالغ في إنكار ذلك وزاد على الواجب.

دع خلافة بني العباس في أوائلها، وفي حال استقامتها، فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد، سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام، .. بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك.

وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس، وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة، فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب. ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر ...)[1] انتهى.

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٥ – ٤٦٦).

ملحق:

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان وأن الشرك سيقع فى هذه الأمة[1]:

قال المجدد محمد ين عبد الوهاب رحمه الله:

[باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان] وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ". قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: " فمن؟!» أخرجاه"[2]

وقال الشيخ الألباني-في بيان هذه المسألة-: وإليك بعض النصوص الواردة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون على بينة من الأمر:

١-" لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات النساء دوس حول ذي الخلصة "وكانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية"[3].

٢-" لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ أن ذلك تاما قال: إنه سيكون من ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم "[4]

٣- " لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد القبائل من أمتي الأوثان "[5]

---

(١) كتاب التوحيد، وشرحه القول السديد للسعدي، و"تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني، ص٩٠)

(٢) كتاب التوحيد للإمام المجدد

(٣) رواه البخاري ومسلم

(٤) رواه مسلم

(٥) رواه أبو داود والترمذي وقال الألباني: هو على شرط مسلم

٤ - " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله وفي رواية: لا إله إلا الله "[١]

ففي هذه الأحاديث دلالة قاطعة على أن الشرك واقع في هذه الأمة فإذا كان الأمر كذلك فيجب على المسلمين أن يبتعدوا عن كل الوسائل والأسباب التي قد تؤدي بأحدهم إلى الشرك مثل بناء المساجد على القبور ونحو ذلك مما سبق بيانه مما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر أمته منه) [٢]

وقال الشيخ السعدي رحمه الله في شرحه للباب المذكور من كتاب التوحيد: "باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان: مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال: لا أنه إلا الله، وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمى ذلك توسلا لا عبادة فإن هذا باطل.

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع- وهو العبادة- فإنها حق الله وحده، فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثنا وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر، منافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها"[٣]

---

(١) رواه مسلم

(٢) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص: ٩٠ وما بعدها)

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة (ص: ١٠٤)

الباب الثاني:
أنواع الشرك وخطره:

وفيه فصلان مع مباحثها ومسائل ملحقة:

لقد تنوعت عبارات أهل العلم في بيان أنواع الشرك:

فمنهم من قسم الشرك إلى أكبر وأصغر [١]

وبعضهم قسمه إلى ثلاثة أقسام أكبر، وأصغر، وخفي [٢]

وبعضهم قسّمه إلى شرك ظاهر وشرك خفي، وقسم الظاهر إلى أكبر وأصغر، وقسم الخفي إلى أكبر وأصغر [٣]

وبعضهم قسمه حسب أنواع التوحيد الثلاثة (أي: الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية والشرك في الأسماء والصفات) [٤]

وبعضهم يقسمه إلى نوعين الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية، ويدخل الشرك في الأسماء والصفات ضمن النوع الأول [٥]

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤٨) وكذلك ابن باز وابن عثيمين والفوزان في مؤلفاتهم

(٢) ينظر: رسالة أنواع التوحيد وأنواع الشرك، ضمن الجامع الفريد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص ٣٤١)

(٣) الشرك الأصغر والخفي، مسند القحطاني، ص١٥

(٤) تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله (ص ٤٣)

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩١ – ٩٤)، ودرء التعارض لابن تيمية (٧/ ٣٩٠)، وتجريد التوحيد المفيد للمقريزي (ص ٨)

وجميع هذه التقسيمات لا تخرج عن المدلول الشرعي للشرك [١]

والتقسيم الأول-أن الشرك: أكبر وأصغر- هو التقسيم المشهور بين أهل العلم[٢] وممن اختار هذا التقسيم: ابن باز وعبد الرزاق عفيفي والفوزان وابن عثيمين وغيرهم[٣].

والأمر في هذا واسع "ولا مشاحّة في الاصطلاح"، والله أعلم.

---

(١) الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا (١/ ١٣٨ - ١٤١) و(منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة ص١٩٣)

(٢) يدل على ذلك ما جاء في "الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٩٥): (وسئل أيضا أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر رحمهم الله تعالى عن الشرك بالله...فأجابوا: قد ذكر العلماء رحمهم الله: أن الشرك نوعان: أكبر، وأصغر)

(٣) فتاوى اللجنة (١/ ٧٤٦ - ٧٥٠) و"مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٣٦٧)" و"شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ص: ٤٢" و"التوحيد للفوزان ص: ١٣ "وغيرها. وفي

الفصل الأول: أنواع الشرك:

وفيه ثلاثة مباحث:

ذكرنا فيما مضى ـ أن العلماء قد تنوعت تقسيماتهم للشرك باعتبارات متعددة؛ ولهذا سنذكر في المباحث الآتية ثلاثة منها، وهي:

١-الشرك نوعان: أكبر وأصغر.

٢-الشرك نوعان: شرك في الربوبية (ويدخل فيه الشرك في الأسماء والصفات)

وشرك في الألوهية.

٣-الشرك ثلاثة أنواع: شرك في الربوبية وشرك في الألوهية وشرك في الأسماء والصفات.

فهذه تقسيمات ثلاثة، وهي في حقيقتها متفقة غير مختلفة، وإنما اختلفت العبارة والاصطلاح، "ولا مشاحة في الاصطلاح" وفيما يلي نذكر ما تيسر من التفصيل والبيان لهذه التقسيمات الثلاثة لتكون الفائدة أعمّ. وبالله التوفيق.

المبحث الأول: تقسيم الشرك إلى نوعين: أكبر وأصغر:

وهذا التقسيم هو التقسيم المشهور بين أهل العلم(١) وممن اختار هذا التقسيم: ابن باز وعبد الرزاق عفيفي والفوزان وابن عثيمين وغيرهم(٢).

ولهذا المبحث أربعة فروع، وهي كما يلي:

الفرع الأول: ضابط الشرك الأكبر والأصغر:

الشرك الأكبر هو: "كل شرك أطلقه الشارع وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه" قاله ابن عثيمين رحمه الله(٣)

فالشرك الأكبر: أن يجعل لله ندًا أو شريكًا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته"(٤)

وأما الشرك الأصغر فهو : "كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا" انتهى من فتاوى اللجنة الدائمة، وهذا التعريف من أحسن وأجمع التعاريف التي ذكرها أهل العلم في هذا الباب.(٥)

---

(١) يدل على ذلك ما جاء في "الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٩٥): (وسئل أيضا أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر رحمهم الله تعالى عن الشرك بالله...فأجابوا: قد ذكر العلماء رحمهم الله: أن الشرك نوعان: أكبر، وأصغر)

(٢) فتاوى اللجنة (١/ ٧٤٦ - ٧٥٠) و"مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٣٦٧)" و"شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ص: ٤٢" و"التوحيد للفوزان ص: ١٣"وغيرها. وفي

(٣) (فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢/٢٠٢)

(٤) الشرك الأصغر والخفي، مسند القحطاني، ص١٦

(٥) (فتاوى اللجنة الدائمة ١/٧٤٨) وذكر نحو هذا الشيخ صالح آل الشيخ ثم قال: "وهذا هو القول الأضبط والأقرب والأولى وهو قول عامة أئمة الدعوة، وكذلك يُفْهَمْ من صنيع ابن القيم وابن تيمية رحمهم الله أنه يذهبون إليه، هو أنَّ الشرك الأصغر كل ذنب سمَّاهُ الشارع شركاً ولم يبلغ درجة الشرك الأكبر

والقول الثاني: أن ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشّرك الأكبر فيكون شركاً أصغر، وقد نحا إلى ذلك عدد من أهل العلم منهم الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله.

الفرع الثاني: هل جميع المعاصي تدخل في الشرك؟:

سئل الشيخ عبد العزيز الراجحي -حفظه الله-:

ما صحة من يقول: إن جميع المعاصي التي يرتكبها الإنسان هي داخلة في الشرك الأصغر؛ لأنه قدم هواه على ما نهى الله عنه؟

فأجاب بقوله: "بعض العلماء يقول: جميع المعاصي نوع من الهوى، والهوى شرك، لكن الصواب: أن المعاصي منها ما هو شرك ومنها ما ليس بشرك،، والشرك الأصغر منها: هو ما ورد في النصوص تسميته شركاً، كالحلف بغير الله، وما لم يسم في النصوص الشرعية شركاً فهو كبيرة من الكبائر "(١).

وقال الشيخ يوسف الغفيص: "توسع بعض المتأخرين من أهل العلم فصاروا يسمون كثيراً من الكبائر شركاً؛ لأن الكبيرة تنقص تمام التوحيد، ولا شك أن هذه التسمية فيها نظر، والصواب أنه لا يسمى عمل أو قول كفراً أو شركاً أو نفاقاً إلا إذا كان الشارع قد سماه كذلك؛ لأن هذه التسمية معتبرة بالقدر والصفة، فليست معتبرة بالقدر وحده؛ لأنها لو كانت معتبرة بالقدر وحده للزم من ذلك أن العمل الذي دلت الدلائل الشرعية على أنه أعظم من هذا العمل الذي سماه الشارع نفاقاً أنه من باب أولى أن يسمى نفاقاً. مثلاً: سمى الشارع الكذب نفاقاً: (إذا حدث كذب) ، ولم يُسَمِّ قتل النفس نفاقاً، مع أن قتل النفس أعظم من الكذب، فلو اعتبرنا مسألة القدر، لقلنا من باب أولى أن يسمى قتل النفس نفاقاً، إلا أن الصفة قضاء شرعي لا يجوز الاجتهاد فيه، ولهذا لما ذكر صلى الله عليه وسلم النفاق، ذكر من

والفرق بين التعريف الأول والثاني أنَّ هناك أعمال تكون وسيلةً للشرك الأكبر ولم يطلق عليه الشارع أنها شرك ولم يتفق العلماء على أنها شرك، فوسائل الشرك الأكبر كثيرة...إذاً لا يستقيم التعريف الثاني في عدد من الصّور، والأقرب والأولى هو الأول وهو أنْ يقال الشرك الأصغر هو كل ذنب أو معصية سماها الشارع شركا ولم تبلغ درجة الشرك الأكبر" اهـ (شرح العقيدة الطحاوية، صالح آل الشيخ، ص:٣٠٩)

وقال عبد العزيز آل عبد اللطيف: "ولا أنسى أن أشير إلى أن الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله قد عرّف الشرك الأصغر بما يلي : " كل وسيلة وذريعة يُتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة "

ويبدو لي -والله أعلم- أن الحد السابق للشرك الأصغر أكثر دقة وانضباطاً من هذا الحد الذي لا يمكن تمييزه وحصره" (الإخلاص والشرك الأصغر، د . عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف)

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الراجحي (٦/ ١٩، بترقيم الشاملة آليا)

الأعمال المخالفة ما هو مناسب لماهية النفاق، كالكذب والغدر والفجور في الخصومة، ونحو ذلك. وأيضاً سمى إباق العبد كفراً، لكن لو أن العبد قتل نفسه ما سماه الشارع كفراً، مع أنه سمى مقاتلة المسلمين بعضهم لبعض كفراً كما قال في حديث أبي بكر و عمر : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) ، ومن حديث ابن مسعود : (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) ، وقتل النفس أعظم من قتل الغير، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيمن قتل نفسه: (خالداً مخلداً فيها أبداً) ، وإن كان هذا الحرف -أبداً- ليس محفوظاً كما ذكره الإمام الترمذي ، وإن أخرجه الشيخان "[1].

وهكذا أيضًا يُقال: **ليست جميع المعاصي تدخل في الكفر الأصغر:**

جاء في تسهيل العقيدة الإسلامية ما يلي:

"قال ابن القيم في مدارج السالكين ١/٣٦٥: "المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر" وما ذكره ابن القيم – رحمه الله – فيه نظر، فإن من المعاصي ما هو كفر أكبر، ومنها ما هو كفر أصغر، ومنها ما هو دون الكفر الأصغر؛ كصغائر الذنوب، ومنها ما هو من الكبائر، ولكن لم يطلق عليها الشرع اسم "الكفر"، فهي لا تدخل في الكفر في الاصطلاح، وإن كان كثير من العلماء -ومنهم ابن القيم كما سبق- يدخلونها في كفر النعمة؛ لأنهم يتوسعون فيه، فيجعلون عدم شكر النعمة من كفر النعمة "[2]

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، الغفيص (ص: ٢٥١)

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد العزيز الجبرين (ص: ٤٤٥)

الفرع الثالث: الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

قال الشيخ الفوزان حفظه الله: هناك فروق بين الشرك الأكبر والأصغر، وهي:

١- الشرك الأكبر: يُخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يُخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد.

٢- الشرك الأكبرُ يخلَّدُ صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يُخلَّد صاحبُه فيها إن دَخَلها.

٣- الشركُ الأكبرُ يحبطُ جميعَ الأعمال، والشركُ الأصغرُ لا يُحبِطُ جميع الأعمال، وإنما يُحبِطُ الرياءُ والعملُ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاه فقط.

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيحهما.

٥ - الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين موالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحبّ ويُوالَى بقدر ما معه من التوحيد، ويُبغض ويُعادى بقدر ما فيه من الشرك الأصغر" اهـ[١]

---

(١) كتاب التوحيد للفوزان (ص١٢-١٥) وانظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة لسعيد بن وهف القحطاني (٥٦٧/١)

الفرع الرابع: بعض الأعمال التي تكون تارة شركًا أكبر وتارة شركًا أصغر:

وفيما يلي بيان وتوضيح لهذه الأعمال:

١- التوكل على غير الله:

تارة يكون شركًا أكبر، وتارة يكون أصغر. فالتوكل على غير الله له حالان:

١-فيما لا يقدر عليه إلا الله، كمن يتوكل على الأموات والغائبين والطواغيت في طلب رزق أو نصر وغيره. فهذا شرك أكبر لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله.

٢-على الأحياء الحاضرين فيما يقدرون عليه، كمن يتوكل على أمير أو رئيس في رزق أو معاش وغيره؛ فهذا شرك خفي، يدخل في الشرك الأصغر)[١]

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "والتوكل ينقسم إلى أقسام:

الأول: توكل عبادة وخضوع، وهو الاعتماد المطلق على من توكل عليه، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر؛ فيعتمد عليه اعتمادا كاملا، مع شعوره بافتقاره إليه؛ فهذا يجب إخلاصه لله تعالى، ومن صرفه لغير الله؛ فهو مشرك شركا أكبر؛ كالذين يعتمدون على الصالحين من الأموات والغائبين، وهذا لا يكون إلا ممن يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفيا في الكون، فيعتمد عليهم في جلب المنافع ودفع المضار.

الثاني: الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك، وهذا من الشرك الأصغر، وقال بعضهم: من الشرك الخفي، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار؛ فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر؛ فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب، بل جعله فوق السبب...)[٢]

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص٤٠، ٤٩٧ وحاشية كتاب التوحيد ص٢٥١

(٢) القول المفيد ٢/٨٩

٢-التعلق بغير الله:

التعلق بغير الله **يكون تارة شركًا أكبر وتارة شركًا أصغر** ، وقول بعض أهل العلم أنه يكون جائزًا في بعض الحالات فهذا تعبير فيه تسامح؛ لأن تلك الحال الجائزة يكون الشخص فيها متعلقًا بالله معتمدًا على ربه مع فعله للأسباب، فهو في الحقيقة متعلق بالله لا بالسبب. وهذا الذي قصده ابن عثيمين بقوله: "يتعلق بالسبب تعلقا مجردا لكونه سببا فقط، مع اعتماده الأصلي على الله".

وإذا عُرف المقصود فلا مشّاحة في التعبير والاصطلاح. والله المستعان.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

"أقسام التعلق بغير الله: الأول: ما ينافي التوحيد من أصله، وهو أن يتعلق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتمادا معرضا عن الله، مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، ولهذا إذا مستهم الضراء الشديدة يقولون: يا فلان! أنقذنا؛ فهذا لا شك أنه شرك أكبر مخرج من الملة.

الثاني: ما ينافي كمال التوحيد، وهو أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبب-وهو الله عز وجل-وعدم صرف قلبه إليه؛ فهذا نوع من الشرك، ولا نقول شرك أكبر؛ لأن هذا السبب جعله الله سببا.

الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقا مجردا لكونه سببا فقط، مع اعتماده الأصلي على الله؛ فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء لأبطل أثره، ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله عزوجل؛ فهذا لا ينافي التوحيد لا كمالا ولا أصلا، وعلى هذا لا إثم فيه.

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة، ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب، بل يعلقها بالله. فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقا كاملا، مع الغفلة عن المسبب، وهو الله، قد وقع في نوع من الشرك. أما إذا اعتقد أن المرتب سبب، والمسبب هو الله - سبحانه وتعالى -، وجعل الاعتماد على الله، وهو يشعر أن المرتب سبب؛ فهذا لا ينافي التوكل. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبب، وهو الله عزوجل. وجاء في الحديث: " من تعلق "، ولم يقل: من علق؛ لأن المتعلق بالشيء يتعلق به بقلبه وبنفسه، بحيث ينزل خوفه ورجاءه وأمله به، وليس كذلك من علق"[١]

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٨٣-١٨٤)

وقد ذكر ابن عثيمين -رحمه الله-أقسام التعلق بالأسباب، وكلامه في ذلك قريب من كلامه السابق، ونذكره هنا لمزيد الفائدة:

٣- التعلق بالأسباب:

ذكر ابن عثيمين رحمه الله أن التعلق بالأسباب على ثلاثة أقسام، وهي كما يلي:

"القسم الأول: ما ينافي التوحيد في أصله، وهو أن يتعلق الإنسان بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير ويعتمد عليه اعتماداً كاملاً معرضاً عن الله، مثل تعلق عبد القبور بمن فيها عند حلول المصائب. وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة، وحكم الفاعل ما ذكره الله -تعالى- بقوله: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) . (المائدة: الآية٧٢)

القسم الثاني: أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع غفلته عن المسبب وهو الله -تعالى- فهذا نوع من الشرك، ولكن لا يخرج من الملة، لأنه اعتمد على السبب ونسي المسبب وهو الله -تعالى-.

القسم الثالث: أن يتعلق بالسبب تعلقاً مجرداً لكونه سبباً فقط، مع اعتماده الأصلي على الله، فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء قطعه، ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب في مشيئة الله -عز وجل- فهذا لا ينافي التوحيد لا أصلاً ولا كمالاً"[١]

وذكر ابن عثيمين أن من أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا شرعيا أو قدريًا، فقد وقع في الشرك الأصغر، مثل أن يعلق خرزة يزعم أنها ترد عنه العين"[٢]

تنبيه: التوكل على غير الله والتعلق بغير الله والتعلق بالأسباب: هذه الثلاثة متقاربة من حيث المعنى والمراد، ولكن آثرنا أن نذكرها كلها زيادة في التوضيح والبيان. وبالله التوفيق.

---

(١) فتاوى أركان الإسلام، ابن عثيمين (ص: ٦٢)

(٢) انظر القول المفيد لابن عثيمين(١/ ٢٠٤) (٢/ ١١٣، ٣٧٨)

٤-الحلف بغير الله:

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»(١)

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "الحلف بغير الله شرك أصغر؛ لما روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» ، وإن قصد في قسمه تعظيم المقسم به كتعظيم الله فهو شرك أكبر

بكر أبو زيد ... عبد العزيز آل الشيخ ... صالح الفوزان ... عبد الله بن غديان ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز "(٢)

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "والحلف بغير الله شرك أكبر؛ إن اعتقد أن المحلوف به مساو لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا فهو شرك أصغر "(٣)

وقال صالح الفوزان رحمه الله: "والحلف بغير الله شركٌ أصغر، إنْ كان لا يقصد تعظيم المحلوف به كما يعظِّم الله، وإنْ كان يقصد تعظيم المحلوف به مثل ما يعظِّم الله فإن الحلف يكون شركاً أكبر "(٤)

وقال أيضًا: "وهو شرك أصغر، إلا إذا كان المحلوف به معظَّما عند الحالف إلى درجة عبادته له فهذا شرك أكبر "(٥)

---

(١) رواهاه أحمد والترمذي والحاكم وصححه الألباني

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة - ٢ (١/ ١٢٩)

(٣) القول المفيد (٢/ ٢١٤)

(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٥٩)

(٥) التوحيد للفوزان (ص: ٩٢)

٥-التبرك بالأحجار والأشجار ونحوها:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "إذا اعتقد أن البركة تحصل من غير الله بأن تبرّك بالشجر أو الحجر يعتقد أنه يمنح البركة، فهذ شرك أكبر، أما إذا اعتقد أن هذا الشيء سبب للبركة، والبركة من الله وهذا سبب لحصولها فهذا شرك أصغر "(١)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: "وتحقيق المقام: أن التبرك بالشجر، أو بالحجر أو بالقبر، أو ببقاع مختلفة، قد يكون شركا أكبر، وقد يكون شركا أصغر.

فيكون شركا أكبر: إذا طلب بركتها، معتقدا أنه بتمسحه بهذا الشجر، أو الحجر أو القبر، أو تمرغه عليه، أو التصاقه به: يتوسط له عند الله. فإذا اعتقد فيه أنه وسيلة إلى الله فهذا: اتخاذ إله مع الله – جل وعلا – وشرك أكبر، وهذا هو الذي كان يعتقده أهل الجاهلية في الأشجار والأحجار التي يعبدونها، وفي القبور التي يتبركون بها؛ يعتقدون أنهم إذا عكفوا عندها، وتمسحوا بها، أو نثروا ترابها على رؤوسهم، فإن هذه البقعة، أو صاحب هذه البقعة، أو الروحانية وهي: الروح التي تخدم هذه البقعة: أنه يتوسط له عند الله – جل وعلا – فهذا الفعل – إذًا – راجع إلى اتخاذ أنداد مع الله – جل وعلا –، وقد قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]

ويكون التبرك شركا أصغر: إذا كان يتخذ هذا التبرك بنثر التراب عليه، أو إلصاق الجسم به، أو التبرك بعين ونحوها، أسبابا لحصول البركة بدون اعتقاد أنها توصل وتقرب إلى الله، يعني: أنه جعلها أسبابا فقط، كما يفعل لابس التميمة، أو الحلقة، أو الخيط؛ فكذلك هذا المتبرك، يجعل تلك الأشياء أسبابا فإذا أخذ – من هذا حاله – تراب القبر، ونثره عليه لاعتقاده أن هذا التراب مبارك، وإذا لامس جسمه فإن جسمه يتبارك به أي: من جهة السببية: فهذا شرك أصغر؛ لأنه لا يكون عبادة لغير الله – جل وعلا – وإنما اعتقد ما ليس سببا مأذونا به شرعا: سببا.

وأما إذا تمسح بها كما هي الحال الأولى وتمرغ والتصق بها، لتوصله إلى الله – جل وعلا –، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة"(٢)

---

(١) دروس في شرح نواقض الإسلام، الشيخ الفوزان، ص: ٥٥،٥٦.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١/١٢٨-١٢٩

٦-التطير:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الطيرة شرك "(١)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك "(٢)

قال ابن عثيمين رحمه الله: "قوله (فقد أشرك) أي: شركا أكبر إن اعتقد أن هذا المتشائم به يفعل ويحدث الشر بنفسه، وإن اعتقده سببا فقط فهو أصغر". وقال أيضًا: "إذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه؛ فإنه قد أشرك حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سببا، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذلك يعتبر شركا من هذه الناحية، والقاعدة: "إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببا؛ فإنه مشرك شركا أصغر". لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله؛ فهو مشرك شركا أكبر؛ لأنه جعل لله شريكا في الخلق والإيجاد"(٣)

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني.

(٣) القول المفيد ١/٥٧٥-٥٧٧

٧-التمائم:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من علق تميمة فقد أشرك»(١)

قال ابن عثيمين رحمه الله: "قوله: " فقد أشرك ": هذا الشرك يكون أكبر إن اعتقد أنها ترفع أو تدفع بذاتها دون أمر الله، وإلا فهو أصغر "(٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي رحمه الله "ولبسها على قسمين: اعتقاد أنه سبب، فهذا شرك أصغر، أو اعتقاد أنه يدفع أو ينفع فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن هنا متصرفا بالنفع والضر غير الله"(٣)

قال ابن عثيمين رحمه الله: "ومثل ذلك الدبلة، والدبلة: خاتم يشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج؛ قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضر، ويقولون: إنه ما دام في يد الزوج؛ فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإن اعتقد أنها تفعل بنفسها؛ فهذا شرك أكبر، وإن اعتقد أن المسبب للمحبة هو الله؛ وأنها سبب فهذا شرك أصغر، وإن لم توجد هذه النية -وهي بعيدة ألا تصحبها-؛ ففيه تشبه بالنصارى، فإنها مأخوذة منهم.

وإن كانت من الذهب؛ فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث وهو لبس الذهب؛ فهي إما من الشرك، أو مضاهاة النصارى، أو تحريم النوع إن كانت للرجال، فإن خلت من ذلك فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم "(٤)

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني

(٢) القول المفيد (١/١٧١)

(٣) حاشية كتاب التوحيد، ص:٧٤

(٤) القول المفيد (١/١٨١،١٨٢)

٨- علم النجوم (علم التأثير):

قال ابن عثيمين رحمه الله: "إذا اعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر؛ لأن من ادعى أن مع الله خالقا، فهو مشرك شركا أكبر. وإذا اعتقد أنها سبب لحدوث الخير والشر، أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئا إلا بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر "(١)

وقال صالح الفوزان: "والنّهي عن التنجيم، كلّ ما فيه إضافة الأشياء إلى غيرِ الله عزّ وجلّ فإنّه منهيٌّ عنه، لأنّ الأُمور كلّها بيد الله سبحانه وتعالى، وهو خالقُها ومدبِّرها فتُضاف إليه سبحانه وتعالى ولا تُضاف إلى غيره لا إضافة سبّ ولا إضافة مدح، لأنّ في هذا تنقُّصاً لله عزّ وجلّ وإسناد الأمور إلى غيرِه.

وكما سبق: أنّه إذا اعتقد أنّ هذه الأشياء تصنع هذه الأشياء أو تُحدثها؛ فهذا شركٌ أكبر، لأنّه شركٌ في الرّبوبيّة.

وإنْ كان لا يعتقد ذلك، بل يعتقد أنّ الله هو الخالق المدبِّر، وإنّما نسب هذه الأشياء إلى هذه المخلوقات من باب أنّها أسبابٌ فقط: فهذا يكون محرَّماً ويكونُ من الشرك الأصغر "(٢)

---

(١) القول المفيد (٢/ ٥)، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٥٨٤)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٣٦)

٩- قول: مُطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا:

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله: "فإذا قال: مطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا، فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيرا في إنزال المطر فهذا شرك أكبر بالإجماع، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، كاعتقادهم في الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر، وإما أن ينسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاد أن الله هو الفاعل، وصحح الشارح أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم، وصرح ابن مفلح في الفروع أنه يحرم قول: مطرنا بنوء كذا، وجزم في الإنصاف بتحريمه، ولم يذكرا خلافا، وهو الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم ونفاه وأبطله، وأخبر أنه من أمر الجاهلية، حماية منه لجناب التوحيد، وسدا لذرائع الشرك ولو بالعبارات الموهمة التي لا يقصدها الإنسان، وذلك لأنه نسب ما هو من فعل الله إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر، ولا قدرة له على شيء فيكون شركا أصغر، والله أعلم"(١)

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: "قوله (مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا) إذا أراد بذلك أن النوء هو الذي أحدث المطر وهو المتصرف في الكون فهذا شرك أكبر ، وإن كان قصده أن النوء سبب فهذا أيضاً من أنواع الشرك ولكنه شرك أصغر فليس للنوء تسبب بل كله من الله عز وجل ، وأما إذا قال مطرنا في وقت كذا مطرنا في الصيف مطرنا في الشتاء في زمن الربيع في وقت الثريا فهذا لا بأس به من باب الإخبار عن الوقت، وأما بنوء كذا فلا يجوز لإطلاق النهي عن ذلك"(٢)

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "نسبة المطر إلى النوء تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

٢- نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

٣- نسبة وقت، وهذه جائزة، بأن يريد بقوله: مطرنا بنوء كذا؛ أي: جاءنا المطر في هذا النوء، أي في وقته.

---

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٣١)

(٢) التعليقات البازية على كتاب التوحيد (ص: ٥٠)

ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول: مطرنا بنوء كذا، ويجوز مطرنا في نوء كذا، وفرقوا بينهما أن الباء للسببية، وفي للظرفية، ومن ثم قال أهل العلم: إنه إذا قال: مطرنا بنوء كذا وجعل الباء للظرفية فهذا جائز "(١)

وقال صالح الفوزان حفظه الله: "وقد فصّل العلماء حكم ذلك فقالوا: إن اعتقد أنّ النجم هو الذي يوجد المطر؛ فهذا كفرٌ أكبر، وشركٌ أكبر مخرجٌ من الملَّة.

أما إذا اعتقد أنّ المطر ينزل بأمر الله وبتقدير الله سبحانه، ولكنه نسبه إلى النجم، أو إلى الطالع أو الغارب من باب المجاز أو السببية -كما يقولون- فهذا كفرٌ أصغر، وشركٌ أصغر، لكنه وسيلةٌ إلى الشرك الأكبر، لأن الله لم يجعل النجوم سبباً في نزول الأمطار، وإنما الأمطار تنزل بأمره سبحانه وتعالى، فالأمطار إنما تنزل بأمره وبسبب رحمته سبحانه وتعالى كما دلّتْ على ذلك آياتٌ كثيرة من القرآن: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ ، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾ "(٢)

١٠-قول ما شاء الله وشاء فلان ونحو ذلك:

عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود وصححه الألباني.

فمن قال (ما شاء الله وشاء فلان) واعتقد أن هذا الرجل أعظم من الله أو يساويه في التدبير والمشيئة فهذا شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك، وعلم أن الله فوق كل شيء فشركه أصغر؛ لأنه شرّك مع الله غيره بحرف الواو الذي يقتضي التسوية" ذكر هذا التفصيل ابن عثيمين رحمه الله(٣)

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣١)

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٥)

(٣) انظر القول المفيد (٢/٣٨٩،٣٩٧،٣٩٨،٤٠٢)

١١- تعبيد الاسم لغير الله:

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما يلي: "تعبيد الاسم لغير الله محرم، بإجماع العلماء"[١] وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "والإجماع على تحريم كل اسم معبد لغير الله - تعالى - مثل: عبد الرسول. عبد الكعبة. ونحوهما""[٢]

وأما قول ابن حزم رحمه الله: اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله؛ كعبد عمرو وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب)[٣]

فقد قال الشيخ الغنيمان: "وإخراج عبد المطلب من هذا الإجماع فيه نظر"[٤]وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "والصَّحيحُ في عبد المطَّلبِ المنع"[٥]

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "وقد سبق أن الصحيح أنه لا يجوز التعبيد للمطلب، وأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم " أنا ابن عبد المطلب " أنه من قبيل الإخبار، وليس إقرارا ولا إنشاء، والإنسان له أن ينتسب إلى أبيه وإن كان معبدا لغير الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "يا بني عبد مناف" وهذا تعبيد لغير الله لكنه من باب الإخبار"[٦]

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله:"وفي ((تسمية المولود)) ذكرت الأصل الثامن: في الأسماء المحرمة. وجاء فيه ما نصه:

اتَّفق المسلمون على أنَّه يحرُمُ كلُّ اسمٍ معبَّدٍ لغيرِ اللهِ تعالى؛ مِن شمسٍ أو وثنٍ أو بشرٍ- أغيرِ ذلك؛ مثلُ: عبدِ الرسولِ، عبدِ النبيِّ، عبدِ عليٍّ، عبدِ الحسينِ، عبدِ الأمير (يعني: أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رضي اللهُ عنهُ) ، عبدِ الصَّاحبِ (يعني: صاحِب الزَّمانِ المهديَّ المنتظر) ، وهي من تسمياتِ الرَّوافض!

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (٢٦/ ٣٦٥)

(٢) معجم المناهي اللفظية (ص: ٣٩١)

(٣) مراتب الإجماع لابن حزم ص١٥٤

(٤) شرح فتح المجيد للغنيمان (١١٥/ ١٢، بترقيم الشاملة آليا)

(٥) معجم المناهي اللفظية (ص: ٣٧١)

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣١١)

وقد غيَّر النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – كلَّ اسمٍ معبَّدٍ لغيرِ اللهِ تعالى؛ مثل: عبدِ العُزَّى، عبدِ الكعبة، عبدِ شمسٍ، عبدِ الحارثِ.

ومن هذا البابِ: غُلام رسول، غُلام محمّد؛ أي عبد الرسول ... وهكذا""[1]

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: "تحريم كل اسم معبَّد لغير الله: لأنه شركٌ في الربوبية والإلهية؛ لأن الخلق كلهم ملكٌ لله وعبيدٌ له"[2]

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: "تعبيد الأسماء لغير الله شرك ينافي كمال التّوحيد، إنْ كان المقصود مجرّد التسمية، أما إنْ كان المقصود تعبيد التألُّه لغير الله فإنّه شرك أكبر ينافي التّوحيد" وقال: "تعبيد الأسماء لغير الله يُعتبر من الشرك الأصغر، إذا لم يقصد به معنى العُبودية، فإنْ قصد به معنى العبوديّة والتألُّه صار من الشرك الأكبر، كما عليه عُبّاد القُبور الذين يسمّون أولادهم: (عبد الحسين) أو (عبد الرَّسول) أو غير ذلك، هؤلاء في الغالب يقصدون التألُّه، لا يقصدون مجرّد التّسمية وإنما يقصدون التألُّه بذلك والتعبُّد لهذه الأشياء لأنهم يعبدونها، فهذا يعتبر من الشرك الأكبر)[3]

(١) معجم المناهي اللفظية (ص: ٣٧١)

(٢) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٦١)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٠٠-٢٠٦)

المبحث الثانى:

تقسيم الشرك إلى نوعين: شرك فى الربوبية وشرك فى الألوهية:

وهذا تقسيم ذكره بعض أهل العلم، ؛ فالشرك على هذا نوعان: شرك في الربوبية وشرك في الألوهية.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فَالشِّرْكُ إنْ كَانَ شِرْكًا يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ. وَهُوَ نَوْعَانِ: - شِرْكٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَشِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ. فَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِلَهِيَّةِ فَهُوَ: أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا - أَيْ: مِثْلًا فِي عِبَادَتِهِ أَوْ مَحَبَّتِهِ أَوْ خَوْفِهِ أَوْ رَجَائِهِ أَوْ إنَابَتِهِ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ إلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ. وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَالشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ فَإِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ الْمُعْطِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ فَمَنْ شَهِدَ أَنَّ الْمُعْطِيَ أَوْ الْمَانِعَ أَوْ الضَّارَّ أَوْ النَّافِعَ أَوْ الْمُعِزَّ أَوْ الْمُذِلَّ غَيْرُهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِرُبُوبِيَّتِهِ"(١)

وقال العلامة ابن القيم: مبيناً نوعي الشرك الأكبر:

"الشرك شركان: النوع الأول: شرك يتعلق بذات المعبود، وأسمائه وصفاته وأفعاله.

النوع الثاني: شرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه ـ سبحانه ـ لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

ثم إن القسم الأول نوعان: أحدهما: شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[سورة الشعراء آية: ٢٣] وقال تعالى مخبراً عنه أنه قال لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[سورة غافر آية: ٣٦. ٣٧]

والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق. سبحانه. وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام: الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه. الثاني: تعطيل الصانع. سبحانه. عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.

الثالث: تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون: ما ثم خالق ومخلوق ولا هاهنا شيئان، بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه. ومنه شرك

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٩١-٩٢)

الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدوماً أصـلاً، بل لم يزل ولا يزال والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها بالعقول والنفوس. ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه، وأفعاله من غلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له اسماً ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه، إذ كمال الذات بأسمائها وصفتها.

النوع الثاني: شرك من جعل مع الله إلهاً آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهاً وأمه إلهاً. ومن هذا شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة.

ومن هذا شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته ولهذا كانوا أشباه المجوس. ومن هذا شرك الذي حاج إبراهيم في ربه: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[سورة البقرة آية: ٢٥٨] فهذا جعل نفسه نداً لله يحيي ويميت بزعمه كما يحيي الله ويميت فألزمه إبراهيم أن طرد قولك أن تقدر على الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي بها الله منها، وليس هذا انتقالاً كما زعم بعض أهل الجدل، بل إلزاماً على طرد الدليل إن كان حقاً.

ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباباً مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم. ومن هذا شرك عباد الشمس"(١)

وأما القسم الثاني: وهو ما يتعلق بمعاملته. سبحانه. فهو أربعة أنواع(٢):

النوع الأول: شرك الدعوة وقد أشار إليه ــ سبحانه ــ بقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[سورة العنكبوت آية: ٦٥]

النوع الثاني: شرك المحبة كما ذكر الله عن بعض الناس بقوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]

---

(١) (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٥٢ - ١٥٤) نقلًا عن "مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٣٧٨-٣٧٩)"

(٢) انظر الرسالة الأولى من "مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهما ص٦ ٧." نقلًا عن "مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٣٨٠-٣٨٣)"

النوع الثالث: شرك الطاعة المذكور في قوله ـــ تعالى ـــ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [سورة التوبة آية: ٣١] وفي الحديث عن عدي بن حاتم حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم؟ فقال: "بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم" رواه الترمذي

النوع الرابع: شرك النية والإرادة والقصد المشار إليه بقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة هود آية: ١٥. ١٦]

قال العلامة ابن القيم: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وهي ملة إبراهيم ومن رغب عنها فهو من أسفه السفهاء"(١)

مسألة: الفرق بين شرك الطاعة وشرك العبادة:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله: «وله -أي ابن أبي حاتم- عن قتادة قال: جعلا له شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته» ثم قال محمد بن عبد الوهاب: فيه مسائل ومنها: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها. ومنها: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة" انتهى من كتاب التوحيد للإمام المجدد

وقال الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله-في توضيح مسائل كتاب التوحيد: قوله: إن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها" أي أن التسمية بعبد الحارث إنما هو شرك بمجرد التسمية فقط ولم يقصد حقيقة ما أراده الشيطان من التعبيد له.

---

(١) الجواب الكافي ص١٥٩

قوله: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة" أي أن ما جرى بين الأبوين إن صح عنهما مجرد موافقة في التسمية فقط وهذا من شرك الطاعة وهو لا يصل إلى الشرك الأكبر ولم يقصدا حقيقة التعبيد للشيطان الذي هو الشرك الأكبر وهذا من إظهار العذر للأبوين "(١)

وقال صالح آل الشيخ: "عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته ": وهذا دليل على التفريق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة، فالشرك في العبادة كفر أكبر مخرج من الملة، أما الشرك في الطاعة فله درجات يبدأ من المعصية والمحرم وينتهي بالشرك الأكبر، فالشرك في الطاعة درجاته كثيرة، وليس درجة واحدة، فقد يحصل شرك في الطاعة فيكون معصية، ويحصل شرك في الطاعة فيكون كبيرة، ويحصل شرك في الطاعة ويكون كفرا أكبر، ونحو ذلك، أما الشرك في العبادة فهو كفر أكبر بالله -جل جلاله-؛ ولهذا فرق أهل العلم بين شرك الطاعة وشرك العبادة. "(٢)

وقال ابن عثيمين رحمه الله: قوله: "شركاء في طاعته" أي: أطاعاه فيما أمرهما به، لا في العبادة، لكن عبدا الولد لغير الله، وفرق بين الطاعة والعبادة، فلو أن أحدا أطاع شخصا في معصية الله لم يجعله شريكا مع الله في العبادة، لكن أطاعه في معصية الله.

وقوله: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة: وقبل ذلك نبيّن الفرق بين الطاعة وبين العبادة؛ فالطاعة إذا كانت منسوبة لله؛ فلا فرق بينها وبين العبادة، فإن عبادة الله طاعته. وأما الطاعة المنسوبة لغير الله؛ فإنها غير العبادة، فنحن نطيع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن لا نعبده، والإنسان قد يطيع ملكا من ملوك الدنيا وهو يكرهه. فالشرك بالطاعة: أنني أطعته لا حبا وتعظيما وذلا كما أحب الله وأتذلل له وأعظمه، ولكن طاعته اتباع لأمره فقط، هذا هو الفرق. وبناء على القصة؛ فإن آدم وحواء أطاعا الشيطان ولم يعبداه عبادة، وهذا مبني على صحة القصة "(٣)

وقال الشيخ الغنيمان: "الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة قوله: [وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته].

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد للدويش (ص: ٢١٧)

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٠١-٥٠٢)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣٠٨-٣١٢)

هنا نحتاج إلى معرفة الفرق بين الطاعة والعبادة، والشرك في الطاعة والعبادة. الشرك في الطاعة قد يكون شركاً في العبادة التي تتضمن الذل والخضوع، وقد لا يكون شركاً في العبادة؛ وذلك لأن الإنسان قد يطيع ظالماً معتدياً في أمره، إما خوفاً من سطوته أو غير ذلك، أو لرغبة في أمر من أمور الدنيا وهو يعرف أنها معصية، فتكون طاعته معصية وهي نوع من العبادة، ولكن ليست كالعبادة التي تتضمن الذل والخضوع والتعظيم؛ لأن هذه أركان العبادة: (أن يطيع ذالاً خاضعاً معظماً خائفاً راجياً). ثم كذلك: نحن ندرك أن هذا يطيع هذا وقلبه كاره له مبغض له، ويطيعه في أمر لا يجوز أن يطيعه فيه، فيكون القلب غير عابد له بل قد يلعنه في قلبه، بخلاف الذي يطيع رب العالمين. أما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو طاعة من يأمر بطاعة الله وينهى عن معصيته، فهذه لا تسمى طاعة عبادة، ولا تسمى عبادة لمن أمر، وإنما يطاع لأنه جاء بأمر الله.

قال الشارح رحمه الله: [قال شيخنا رحمه الله: إن هذا الشرك في مجرد تسمية لم يقصد حقيقتها، وهو محمل حسن، يبين أن ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث، إنما هو مجرد تسمية، لم يقصدا تعبيده لغير الله. وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته] هذا لا يكفي في تبرير هذه الحكاية، وكونه شركاً في الطاعة وليس شركاً في العبادة؛ لأن الشرك في الطاعة شرك، ولا يجوز أن يقع من نبي من الأنبياء، ولو كان مثل هذا وقع لذكر الله جل وعلا التوبة، وأنه تاب منها؛ لأنه لا يجوز أن يقر عليها"(١)

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (١١٥/ ١٥، بترقيم الشاملة آليا)

المبحث الثالث: تقسيم الشرك إلى ثلاثة أنواع: الشرك فى الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وأنواع ذلك:

وهذا أيضًا تقسيم معروف ذكره أهل العلم، وبيانه وتوضيحه كما يلي:

قال الشيخ الراجحي: "الشرك يكون في الربوبية، ويكون في الأسماء والصفات، ويكون في الألوهية، أي أنه يقابل أقسام التوحيد الثلاثة"(١)

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "وأصل الشرك أن تعدل بالله – تعالى – مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده"(٢)اهـ.

وهذا التعريف شامل لأنواع الشرك، فمن عدل بالله غيره في بعض ما يستحقه وحده بأن اعتقد شريكاً لله في التصرف، أو الخلق، أو نحوه من صفات الربوبية، فهو مشرك، ومن عدل بالله غيره في بعض أنواع العبادة فهو مشرك، ومن عدل بالله غيره في بعض ما يستحقه وحده من الصفات فهو مشرك. "(٣)

وقال الشيخ الألباني رحمه الله:

"إن نفي الشريك عن الله تعالى لا يتم إلا بنفي ثلاثة أنواع من الشرك:

الأول: الشرك في الربوبية: وذلك بأن يعتقد أن مع الله خالقا آخر – سبحانه وتعالى – كما هو اعتقاد المجوس القائلين بأن للشر خالقا غير الله سبحانه. وهذا النوع في هذه الأمة قليل والحمد لله وإن كان قريبا منه قول المعتزلة: إن الشر إنما هو من خلق الإنسان وإلى ذلك الإشارة بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " القدرية مجوس هذه الأمة "(٤)

الثاني: الشرك في الألوهية أو العبودية: وهو أن يعبد مع الله غيره من الأنبياء والصالحين كالاستغاثة بهم وندائهم عند الشدائد ونحو ذلك. وهذا مع الأسف في هذه الأمة كثير ويحمل وزره الأكبر أولئك المشايخ الذين يؤيدون هذا النوع من الشرك باسم التوسل " يسمونها بغير اسمها "

---

(١) دروس في العقيدة – الراجحي (٧/ ١٠، بترقيم الشاملة آليا)

(٢) الاستقامة ١/ ٣٤٤.

(٣) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية (ص: ٣٢٧)

(٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته " رقم (٤٣١٨) [٤٤٤٢]

الثالث: الشرك في الصفات: وذلك بأن يصف بعض خلقه تعالى ببعض الصفات الخاصة به عَزَّ وَجَلَّ كعلم الغيب مثلا وهذا النوع منتشر في كثير من الصوفية ومن تأثر بهم مثل قول بعضهم في مدحه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

هذه الأنواع الثلاثة من الشرك من نفاها عن الله في توحيده إياه فوحده في ذاته وفي عبادته وفي صفاته فهو الموحد الذي تشمله كل الفضائل الخاصة بالموحدين ومن أخل بشيء منه فهو الذي يتوجه إليه مثل قوله تعالى: (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [الزمر: ٦٥] فاحفظ هذا فإنه أهم شيء في العقيدة فلا جرم أن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بدأ به ومن شاء التفصيل فعليه بشرح هذا الكتاب وكتب شيوخ الإسلام ابن تيمة وابن القيم وابن عبد الوهاب وغيرهم ممن حذا حذوهم واتبع سبيلهم (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) [الحشر: ١٠]"(١)

وقال سعيد بن وهف القحطاني رحمه الله:

"الشرك. أ- تعريفه: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

١ - المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (فاطر: ٣).

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله بالله في شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] (البقرة: ١٦٥).

---

(١) تعليق الألباني على الطحاوية (ص: ٣١)

٢ – المعنى الخاص: وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا هو المعنى المتبادر من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة "(١)

وجاء في كتاب "تسهيل العقيدة الإسلامية" (٢) بيان أنواع الشرك الثلاثة مع بسط وتوضيح وتفصيل، وفيما يلي نذكر ما انتقيناه من الكتاب المذكور:

(للشرك الأكبر ثلاثة أقسام رئيسة هي:

القسم الأول: الشرك في الربوبية: وهو أن يجعل لغير الله تعالى معه نصيباً من الملك أو التدبير أو الخلق أو الرزق الاستقلالي "(٣)

ومن صور الشرك في هذا القسم:

١ – شرك النصارى الذين يقولون: " الله ثالث ثلاثة "، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور – وهو عندهم الإله المحمود – وحوادث الشر إلى الظلمة.

٢ – شرك القدرية الذين يزعمون أن الإنسان يخلق أفعاله.

٣ – شرك كثير من غلاة الصوفية والرافضة من عباد القبور الذين يعتقدون أن أرواح الأموات تتصرف بعد الموت فتقضي الحاجات وتفرج الكربات، أو يعتقدون أن بعض مشايخهم يتصرف في الكون أو يغيث من استغاث به ولو مع غيبته عنه.

٤ – الاستسقاء بالنجوم: وذلك باعتقاد أنها مصدر السقيا، وأنها التي تنزل الغيث بدون مشيئة الله تعالى، وأعظم من ذلك أن يعتقد أنها تتصرف في الكون بالخلق أو الرزق أو الإحياء أو الإماتة أو بالشفاء أو المرض أو الربح أو الخسارة، فهذا كله من الشرك الأكبر. قال الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني (ص: ٥٨)

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ١٥٢ وما بعدها) د. عبد العزيز الجبرين رحمه الله. وقد بذل مؤلفه فيه جهدًا ظاهرًا، وكان يراجع العلامة ابن باز والعلامة ابن عثيمين والعلامة البراك عند تأليفه كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه.

(٣) ينظر اقتضاء الصراط المستقيم: فصل النوع الثاني من الأمكنة ٢/ ٧١٠، الإرشاد إلى معرفة الأحكام للسعدي " الردة " ص٢٠٥.

تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] ، والمعنى تجعلون شكركم لله على ما رزقكم الله من الغيث والمطر أنكم تكذبون - أي تنسبونه إلى غيره - "(١)

القسم الثاني: الشرك في الأسماء والصفات:

وهو: أن يجعل لله تعالى مماثلاً في شيء من الأسماء أو الصفات، أو يصفه تعالى بشيء من صفات خلقه.

فمن سمّى غير الله باسم من أسماء الله تعالى معتقداً اتصاف هذا المخلوق بما دل عليه هذا الاسم مما اختص الله تعالى به، أو وصفه بصفة من صفات الله تعالى الخاصة به فهو مشرك في الأسماء والصفات.

وكذلك من وصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين فهو مشرك في الصفات.

ومن صور هذا الشرك:

١ - اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الله تعالى، كاشتقاق اسم "اللات" من "الإله"، و "العزى" من "العزيز"(٢)

٢- اعتقاد بعض غلاة الرافضة وبعض غلاة الصوفية أن بعض الأحياء أو الأموات يسمعون من دعاهم في أي مكان وفي أي وقت"(٣)

---

(١) ينظر في جميع الأنواع السابقة صحيح البخاري مع الفتح كتاب التوحيد باب " فلا تجعلوا لله أنداداً " ١٣/٤٩٠ - ٤٩٥، الشفا " مطبوع مع شرحه للقاري ٢/٥١٤ "، تفسير القرطبي للآية "٨٢" من سورة الواقعة ١٧/٢٢٩، ٢٣٠، مجموع الفتاوى١/٩٢، الاستغاثة ٢/٥٣٦، الجواب الكافي ص١٩٣، ١٩٤، شرح الطحاوية ص ٢٦ - ٢٨، ٣٨، تجريد التوحيد ص ٢٥، ٢٩، ٤٢، ٤٣، الدين الخالص ١/٦٩، ٧١، و٢/٨، ١٢٨- ١٣٤، تيسير العزيز الحميد: المقدمة ص٢٨، ٢٩، وباب من الشرك أن يستغيث بغير الله، وباب ما جاء في التنجيم، وباب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء، رسالة التوحيد للدهلوي ص ٢٠-٣١، ٤١، ٤٤، ٦٨، منهاج التأسيس والتقديس ص ٢٦٥، معارج القبول ص ٤٠١، ٤٧٥، ٤٨٥، ٥٦٠، ٩٨٠ - ٩٨٣، الإرشاد للفوزان ص ٨٨، ٩٣، عالم السحر للأشقر ص ٢٢٤، ٢٢٥، النواقض الاعتقادية للوهيبي " الشرك في الربوبية " ٢/٨٩ - ١١٢.

(٢) بدائع الفوائد ١/١٦٩، تيسير العزيز الحميد ص ٢٨.

(٣) " أعلام السنة المنشورة ص ٨٧، معارج القبول ٢/٤٧٥.

٣- شرك الممثلة: وهو اعتقاد أن صفات الخالق تماثل صفات المخلوق، كمن يقول: "يد الله كيدي"، أو " سمعه كسمعي "، أو "استواؤه كاستوائي"(١)، وهذا كله شرك، فالله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] .

٤- الشرك بدعوى علم الغيب، أو باعتقاد أن غير الله تعالى يعلم الغيب، فكل ما لم يطلع عليه الخلق ولم يعلموا به بأحد الحواس الخمس(٢) فهو من علم الغيب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، فمن ادَّعى أنَّ أحداً من الخلق يعلم الغيب، فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، لأن في ذلك ادعاء مشاركة الله تعالى في صفة من صفاته الخاصة به، وهي "علم الغيب".

ومن أمثلة الشرك بدعوى علم الغيب:

أ - اعتقاد أن الأنبياء أو أن بعض الأولياء والصالحين يعلمون الغيب: وهذا الاعتقاد يوجد عند غلاة الرافضة والصوفية، ولذلك تجدهم يستغيثون بالأنبياء والصالحين الميتين وهم بعيدون عن قبورهم،

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٧٠، الروح " الفرق بين اثبات حقائق الأسماء والصفات وبين التشبيه " ص ٣٥٤، تيسير العزيز الحميد ص٢٨.

(٢) وهي السمع والبصر. والشم واللمس والذوق، فمن سمع شيئاً أو أخبره مخبر من الجن أو الإنس بشيء رآه أو سمعه فقد علمه بطريق السمع، إما بنفسه، أو عن طريق سماع كلام هذا الذي رآه أو سمعه، وهكذا بقية الحواس.

وليس من ادعاء علم الغيب ما يعرف من نتائج بعض الأمور من النظر في مقدماتها، ولا الإخبار عن المسبَّبات من النظر في أسبابها، كما يحصل في علم الطب، من معرفة شفاء المرض بعلاج معين، ونحو ذلك، وكما يحصل في علم الفلك من رصد هبوب الرياح أو معرفة وقت الكسوف، ونحو ذلك - على تفصيل في ذلك لا يتسع المقام له -. ينظر مفتاح دار السعادة ص ٢١٧، ٢١٨، وينظر فتح المجيد والقول المفيد باب ما جاء في الكهان ونحوهم، وكتاب عالم السحر للأشقر " أدعياء الغيب " ص ٢٦٣.

وقد ذكر شيخنا محمد بن عثيمين في القول المفيد أن الإخبار عن أحوال الطقس في ٢٤ ساعة ونحوها ليس من ادَّعاء علم الغيب لأنه يستند إلى أمور حسية، وهي تكيف الجو، لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم، فيكون صالحاً لأن يمطر أو لا يمطر. وينظر مفتاح دار السعادة ٢/٢١٧.

ويدعون بعض الأحياء وهم غائبون عنهم، ويعتقدون أنهم جميعاً يعلمون بحالهم وأنهم يسمعون كلامهم، وهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة"(١).

ب- الكهانة: الكاهن هو الذي يدعي أنه يعلم الغيب. ومثله أو قريب منه " العرّاف "، و "الرمّال"، ونحوهم، فكل من ادعى أنه يعرف علم ما غاب عنه دون أن يخبره به مخبر، أو زعم أنه يعرف ما سيقع قبل وقوعه فهو مشرك شركاً أكبر، سواء ادّعى أنه يعرف ذلك عن طريق " الطرق بالحصى "، أم عن طريق حروف " أبا جاد"(٢)، أم عن طريق " الخط في الأرض "، أم عن طريق "قراءة الكف"، أم عن طريق "النظر في الفنجان"، أم غير ذلك، كل هذا من الشرك"(٣)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم "(٤)

---

(١) رسالة التوحيد للدهلوي ص ٢٠، ٣١، ٣٤، وينظر تيسير العزيز الحميد وفتح المجيد باب من الشرك أن يستغيث بغير الله. وينظر ما سبق في ختام الكلام على توحيد الربوبية، وينظر ما يأتي عند ذكر أمثلة الشرك في دعاء المسألة - إن شاء الله -.

(٢) ولا يجوز تعلم الحروف من أجل ذلك، أما تعلمها من أجل التهجي فلا بأس. ينظر التيسير ص٣٦٤.

(٣) ينظر شرح السنة ١٨١/١٢ - ١٨٤، شرح مسلم للنووي ٢٢٣/١٤، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٠/٣٥ - ١٩٧، تفسير القرطبي ٢/٧، ٣، مفتاح دار السعادة ١٢٥/٢ - ٢٤٢، فتح الباري ٢١٦/١٠، ٢١٧، شرح الطحاوية ص ٧٥٩، ٧٦٠، الفروع ١٧٧/٦، ١٧٨، الروض مع حاشيته لابن قاسم ٤١٣/٧، الزواجر ١٠٩/٢، الدين الخالص ٤٢٣/١ - ٤٥٥، و١٣٧/٢ - ١٤١، تيسير العزيز الحميد باب ما جاء في الكهان، معارج القبول ص ٥٥٩ - ٥٧٤، التوحيد للدهلوي ص٣٤، ٦٩، فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١٦٤/١، ١٦٥، عالم السحر للأشقر ص ١٣، الإرشاد للفوزان ص ٨٤، النواقض القولية والعملية للدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف ص ٥١٨ - ٥٢٢.

(٤) رواه البزار كما في الكشف "٣٠٤٤" من طريق الحسن عن عمران. وذكر الحافظ المنذري في الترغيب "٤٤٦٧" والحافظ ابن حجر في الفتح ٢١٧/١٠: أن إسناده جيد. ولشطره الأول شاهد من حديث ابن عباس عند البزار "٣٠٤٣". قال المنذري في الترغيب: " إسناده حسن ". وشاهد آخر من حديث علي رواه أبو نعيم في الحلية ١٩٥/٤. ولشطره الثاني شاهد عند أحمد ٤٢٩/٢ من حديث أبي هريرة بلفظ " من أتى كاهناً أو عرافاً ... " إلخ. وإسناده صحيح.

ج- اعتقاد بعض العامة أن السحرة أو الكهان يعلمون الغيب، أو تصديقه لهم في دعواهم معرفة ما سيقع في المستقبل"(١)، فمن اعتقد ذلك أو صدقهم فيه فقد وقع في الكفر والشرك المخرج من الملة"(٢)، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم "(٣)

د- التنجيم: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية المستقبلة.

وذلك أن المُنَجِّم يدعي من خلال النظر في النجوم معرفة ما سيقع في الأرض من نصر لقوم، أو هزيمة لآخرين، أو خسارة لرجل، أو ربح لأخر، ونحو ذلك، وهذا لا شك من دعوى علم الغيب، فهو شرك بالله تعالى"(٤)

---

(١) ومن ذلك تصديقهم في زعمهم أن الغيث سينزل حتماً في وقت كذا، أو أن الدولة الفلانية ستنتصر في وقت كذا، أو أن فلاناً سيكون حظه كذا، أو سيربح أو سيخسر أو سيموت في وقت كذا ونحو ذلك.

أما ما سبق وقوعه فقد يعلم به الكاهن عن طريق الجن الذين شاهدوا وقوعه وأخبروه فيكون علمه به بإخبار غيره له، وقد يغتر بعض الجهال بذلك فيصدقه في كل ما يخبر به. ينظر شرح مسلم للنووي ٢٢٣/١٤، وفتح الباري ١٠/ ٢١٧، وتيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، وقرة عيون الموحدين باب ما جاء في الكهان.

ولا يجوز تصديقهم فيما يزعمون أنه سيقع في المستقبل بدعوى أنهم عرفوا ذلك عن طريق سماع الجن لكلام الملائكة ثم إخبار الكاهن بذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر كما في صحيح البخاري "٥٧٦٢"، وصحيح مسلم "٢٢٢٨" أنهم يكذبون مع الكلمة التي سمعت مائة كذبة، وعليه فمن صدقهم فقد صدق بما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كذب وبما هو من دعوى علم الغيب، وظاهر الحديث أن من صدقهم بهذه الحجة يكفر، كما قال في تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٨.

(٢) ينظر المراجع التي سبق ذكرها قريباً عند الكلام على حكم الكهانة.

(٣) سبق تخريجه قريباً. أما مجرد الذهاب إلى الكاهن وسؤاله مع عدم تصديقه فهو محرم وكبيرةً من كبائر الذنوب، لقوله صلى الله عليه وسلم: " من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " رواه مسلم "٢٢٣٠" قال الحافظ في الفتح ٢١٧/١٠: " الوعيد جاء تارة بعدم قبول الصلاة وتارة بالتكفير، فيحمل على حالين من الآتي، أشار إلى ذلك القرطبي " وفيه حديث فيه ضعف يستأنس به لهذا الحمل. ينظر في الترغيب "٤٤٧٢"، وينظر معارج القبول ٥٧٢/٢.

(٤) تنظر المراجع التي سبق ذكرها قريباً عند بيان حكم الكهان، وينظر تيسير العزيز الحميد باب ما جاء في التنجيم، وباب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

ومما يفعله كثير من المشعوذين والدجاجلة أن يدعي أن لكل نجم تأثيراً معيناً على من ولد فيه، فيقول: فلان وُلِدَ في برج كذا فسيكون سعيداً، وفلان وُلِدَ في برج كذا فستكون حياته شقاء، ونحو ذلك، وهذا كله كذب، ولا يصدقه إلا جهلة الناس وسفهاؤهم، قال الشيخ ابن عثيمين: " فهذا اتخذ تعلُّم النجوم وسيلةً لادّعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة "(١)

القسم الثالث: الشرك في الألوهية:

وهو: اعتقاد أن غير الله تعالى يستحق أن يعبد أو صرف شيء من العبادة لغيره "(٢)

وأنواعه ثلاثة، هي:

الأول: اعتقاد شريك لله تعالى في الألوهية "(٣)

فمن اعتقد أن غير الله تعالى يستحق العبادة مع الله"(٤)أو يستحق أن يصرف له أي نوع من أنواع العبادة فهو مشرك في الألوهية.

ويدخل في هذا النوع من يسمي ولده أو يتسمى باسم يدل على التعبد لغير الله تعالى"(٥)، كمن يتسمى ب "عبد الرسول"، أو "عبد الحسين"، أو غير ذلك. فمن سمى ولده أو تسمى بشيء من هذه الأسماء التي فيها التعبد للمخلوق معتقداً أن هذا المخلوق يستحق أن يُعبَد فهو مشرك بالله تعالى.

النوع الثاني: صرف شيء من العبادات المحضة لغير الله تعالى:

فالعبادات المحضة بأنواعها القلبية والقولية والعملية والمالية حق لله تعالى لا يجوز أن تصرف لغيره – كما سبق بيان ذلك عند الكلام على توحيد الألوهية – فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر.

---

(١) القول المفيد باب ما جاء في التنجيم ٢/٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/٧٤، ٩١، الإرشاد للسعدي " الردة " ص٢٠٥، الدرر السنية ١/١٥٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٢٨ نقلاً عن القرطبي.

(٤) الإرشاد للسعدي: الردة ص ٢٠٥.

(٥) الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/١٠٤، رسالة التوحيد للدهلوي الهندي ص١٧، ٢٥، وينظر مجموع فتاوى ابن تيمية آخر ج١ ص ٣٧٨، ٣٧٩.

قال علاَّمة الهند: صديق حسن خان القنوجي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] قال رحمه الله: "قد تقرر أن العبادة لا تجوز إلا لله، وأنه هو المستحق لها، فكل ما يسمى في الشرع عبادة ويصدق عليه مسماها فإن الله يستحقه، ولا استحقاق لغيره فيها، ومن أشرك فيها أحداً من دون الله فقد جاء بالشرك، وكتب اسمه في ديوان الكفر"(١)

والشرك بصرف شيء من العبادة لغير الله له صور كثيرة، يمكن حصرها في الأمرين التاليين:

الأمر الأول: الشرك في دعاء المسألة:

دعاء المسألة هو أن يطلب العبد من ربه جلب مرغوب أو دفع مرهوب"(٢)

ويدخل في دعاء المسألة: الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والاستجارة "(٣)

والدعاء من أهم أنواع العبادة، فيجب صرفه لله تعالى، ولا يجوز لأحد أن يدعو غيره كائناً من كان، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨] ، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الدعاء هو العبادة "(٤) وقال صلى الله عليه سلم في وصيته لابن عباس: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله "(٥)، فمن دعا غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر – نسأل الله السلامة والعافية –.

---

(١) الدين الخالص باب في رد الإشراك في العبادات ٢/٥٢.

(٢) الاستغاثة ٢/٤٥٢، تيسير العزيز الحميد باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ص ١٨٠، وفتح المجيد ٢/٣٠١، مجموعة الرسائل ٥/٥٩٤.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٥/٢٢٧: "الاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء أو الطلب، وهي ألفاظ متقاربة "، وينظر الاستغاثة الموضع السابق.

(٤) رواه أحمد ٤/٢٧١، ٢٧٦، وأبو داود في الصلاة "٤٧٩"، والترمذي في التفسير "٣٢٤٧"، وقال الترمذي "حسن صحيح "، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي، وصححه كذلك النووي كما في فيض القدير ٣/٥٤٠، وابن باز في تحفة الأخيار ص١٣، والألباني في صحيح الترمذي. ومعنى الحديث: أن الدعاء من أفضل أنواع العبادة. ينظر شأن الدعاء للخطابي ص ٥، والفتح أول كتاب الدعاء ١١/٩٤، وفيض القدير ٣/٥٤٠.

(٥) رواه الإمام أحمد ١/٢٩٣، والترمذي في القيامة "٢٥١٦"، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

ومن أمثلة الشرك في دعاء المسألة ما يلي:

أ – أن يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، سواء أكان هذا المخلوق حياً أم ميتاً، نبياً أم ولياً أم ملكاً أم جنياً أم غيرهم، كأن يطلب منه شفاء مريضه أو نصره على الأعداء، أو كشف كربة، أو أن يغيثه، أو أن يعيذه، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا كله شرك أكبر، مخرج من الملة بإجماع المسلمين"(١)؛ لأنه دعا غير الله، واستغاث به، واستعاذ به، وهذا كله عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله بإجماع المسلمين، وصرفها لغيره شرك، ولأنه اعتقد في هذا المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى"(٢)

ب– دعاء الميت.

ج – دعاء الغائب.

فمن دعا غائباً أو دعا ميتاً، وهو يعتقد أن هذا المدعو يسمع كلامه أو يعلم بحاله فقد وقع في الشرك الأكبر، سواء أكان هذا المدعو نبياً أم ولياً، أم عبداً صالحاً أم غيرهم، وسواء طلب من هذا المدعو ما لا يقدر عليه إلا الله أم طلب منه أن يدعو الله تعالى له، ويشفع له عنده"(٣)، فهذا كله شرك بالله تعالى

---

(١) ينظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١/١٢٤، ١٩٤، و٢٧/٦٧ – ٨٧، ١٤٥، قاعدة في التوسل ص٥٨، ٥٩، قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام وعبادات أهل الشرك ص ٧٠، الاستغاثة ١/٣٧٦، و٢/٦١٩، مدارج السالكين "منزلة التوبة" ٣/٣٧٥، القول الفصل النفيس ص ٩٥، منهاج التأسيس ص ١٠٤، الدر النضيد ص ٢٨–٩٢، مصباح الظلام ص ١٨٨، الدرر السنية ٢/١٩٢ – ١٩٤، تيسير العزيز الحميد وفتح المجيد باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، والأبواب الأربعة بعده، مجموعة الرسائل ٤/٤٦٩، السنن والمبتدعات فصل في الأدعية المحرمة ص ٢١٢ – ٢٦٦، القول الجلي ص٥٦، سيف الله لصنع الله الحنفي ص٤٨.

(٢) الدر النضيد للشوكاني ص٦٩، ٧٠، "الكواكب الدرية للرباطي الحنفي ص٣٦–٣٩، الوسيلة لجوهر الباكستاني الحنفي ص٤٢ – ٦٧، التبيان للرستمي الحنفي ص ١٥٥ – ١٦١ نقلاً عن كتاب جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ص ١٤٧٢ – ١٤٧٤"، منهاج التأسيس ص ١٨٧، القول الفصل النفيس ص٨٢، حجة الله البالغة ١/١٨٥، صيانة الإنسان ص٣٧٣، مجموعة الرسائل ٥/٥٩٣ – ٦٠٣، ٦١٠ – ٦١٨، الصواعق المرسلة الشهابية ص ١٣٢ – ١٣٧، تصحيح الدعاء ص ٢٥١،٢٤٧.

(٣) وقريب من هذا من جاء إلى القبر وطلب من صاحبه أن يدعو الله له فهذا عمل محرم، وهو بدعة باتفاق السلف. ينظر قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام ... ص١١١ – ١٣٦، مجموع الفتاوى ١/٣٣٠، ٣٥١، ٣٥٤ و٢٧/٧٦، قاعدة في المحبة ص١٩٠ – ١٩٢، رسالة زيارة القبور لابن تيمية ص ٢٥، ٤٩، ٥٠، تلخيص الاستغاثة

مخرج من الملة؛ لما فيه من دعاء غير الله، ولما فيه من اعتقاد أن المخلوق يعلم الغيب، ولما فيه من اعتقاد إحاطة سمعه بالأصوات، وهذا كله من صفات الله تعالى التي اختص بها، فاعتقاد وجودها في غيره شرك مخرج من الملة"(١)

د - أن يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة في الدعاء(٢)، ويعتقد أن الله تعالى لا يجيب دعاء من دعاه مباشرة، بل لا بد من واسطة بين الخلق وبين الله في الدعاء، فهذه شفاعة شركية مخرجة من الملة"(٣)

ص ٥٧، الرد على الأخنائي ص ١٦٤، ١٦٥، ٢١٦، صيانة الإنسان ص ٣٦٠، القول الجلي ص ٥٦، تعليق ابن باز على الفتح كتاب الاستسقاء ٤٩٥/٢، تصحيح الدعاء ص ٢٥١.

وقد نصّ جمع من أهل العلم على أن هذا العمل شرك أكبر. ينظر مدارج السالكين ٣٦٩/١، إغاثة اللهفان: "الفرق بين زيارة الموحدين ... "٢١٨/١-٢٢٢، تطهير الاعتقاد ص١٥، الدين الخالص١٩١/١، ٢١٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٨، ٤١٣، و٥٧/٢، الدرر السنية ٨٥/١، ٢٢٤ و٢٣٨/٢، ٢٣٩، "تيسير العزيز الحميد وفتح المجيد باب من الشرك الاستعاذة بغير الله وباب الشفاعة"، "الكواكب الدرية للرباطي الحنفي ص ٧٧ - ١٠٨، والتبيان للرستمي الحنفي ص١٥٥-١٦١، والوسيلة لجوهر الباكستاني الحنفي ص ٤٢ - ٦٧ نقلاً عن كتاب جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية للدكتور شمس الدين الأفغاني ١٤٧٢/٣ - ١٤٧٤"، ويراجع الرسالة الصفدية ١٨٧/٢ - ٢٩١. وللتوسع في هذه المسألة ينظر مجموع الفتاوى ٣٠٣/٢٤، ٣٣١، ٣٣٢، الروح "المسألة الأولى"، تفسير الآية "٦٤" من النساء في تفسيري القرطبي وابن كثير، كتاب الدعاء للعروسي.

(١) مجموع الفتاوى ٨١/٢٧، ٨٢، رسالة التوحيد لإسماعيل الدهلوي ص ١٧، ٢٠ - ٢٣، ٣١، ٤٣، "مجموع فتاوى عبد الحي اللكنوي ٢٦٤/١ نقلاً عن كتاب الدعاء للعروسي ص٢٧٤، ٢٧٥، ٤٩٦"، مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن ص١٩٩ - ٢٠١، ٢٥٤، روح المعاني للألوسي ٦٧/١٣، و٢١٣/١٧، و١١/٢٤، صيانة الإنسان لمحمد بن بشير السهسواني الهندي ص٣٧٣ وتنظر المراجع المذكورة عند ذكر حكم الكهانة.

(٢) سواء أكانت هذه الواسطة من بني آدام كالأنبياء والصالحين أم من الملائكة أم من الجن أم من غيرهم.

(٣) ومثله من يعتقد أن الله تعالى يجيب دعاء الواسطة لحاجته إلى هذه الواسطة، أو يعتقد أن لهذه الواسطة حقاً على الله كما هو حال من يشفع عند الملوك، فهذا كله شرك مخرج من الملة. ينظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢٦/١- ١٣٥، ١٥٠- ١٦٣، و٣٤١/٢٤، إغاثة اللهفان ٦٢/١، رسالة التوحيد للدهلوي الهندي ص٤٦-٤٨.

واتخاذ الوسائط والشفعاء هو أصل شرك العرب(١)، فهم كانوا يزعمون أن الأصنام تماثيل لقوم صالحين، فيتقربون إليهم طالبين منهم الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] .

الأمر الثاني: الشرك في دعاء العبادة:

دعاء العبادة هو: عبادة الله تعالى بأنواع العبادات القلبية، والقولية، والفعلية كالمحبة، والخوف، والرجاء والصلاة، والصيام، والذبح، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى وغيرها.

وسمي هذا النوع "دعاء" باعتبار أن العابد لله بهذه العبادات طالب وسائل لله في المعنى، لأنه إنما فعل هذه العبادات رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب"(٢)، فهو داع لله تعالى بلسان حاله، لا بلسان مقاله.

ومن أمثلة الشرك في هذا النوع:

أ- شرك النية والإرادة والقصد:

هذا الشرك إنما يصدر من المنافق النفاق الأكبر، فقد يظهر الإسلام وهو غير مقر به في باطنه، فهو قد راءى بأصل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة:١٤] ، وقد يرائي ببعض العبادات، كالصلاة، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢]"(٣) ، فهم قد جمعوا بين الشرك والنفاق.

ب- الشرك في الخوف:

الخوف في أصله ينقسم إلى أربعة أقسام: ومنها:

---

(١) شرح الطحاوية ص٢٩، تطهير الاعتقاد ص١٥، بل هو أصل شرك الخلق كلهم. ينظر إغاثة اللهفان فصل في ما في الشرك والزنا من الخبث ٦٢/١، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٣٤/١، ١٣٥: " من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عُباد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وأنها وسائل يتقربون بها إلى الله، وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالى على النصارى".

(٢) بدائع الفوائد ٢/٣-٥، تيسير العزيز الحميد وفتح المجيد باب من الشرك أن يستغيث بغير الله، مقدمة تفسير السعدي ص ١٤.

(٣) وقد عدَّ بعض العلماء من هذا الشرك: الرياء المحض إذا صدر من المسلم، وإرادة الدنيا وحدها بالعبادة، ولعل الأقرب أن هذا من الشرك الأصغر، وسيأتي الكلام على ذلك عند الكلام على الرياء في الباب الآتي - إن شاء الله -.

- الخوف الشركي: وهو أن يخاف من مخلوق خوفاً مقترناً بالتعظيم والخضوع والمحبة. ومن ذلك الخوف من صنم أو من ميت خوفاً مقروناً بتعظيم ومحبة، فيخاف أن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته، كأن يخاف أن يصيبه بمرض أو بآفة في ماله، أو يخاف أن يغضب عليه؛ فيسلبه نِعَمَهُ فهذا من الشرك الأكبر، لأنه صرف عبادة الخوف والتعظيم لغير الله، ولما في ذلك من اعتقاد النفع والضر في غير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨] قال ابن عطية المالكي الأندلسي المولود سنة ٤٨١ هـ في تفسيره في تفسير هذه الآية: " يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة ".

ومن الخوف الشركي: أن يخاف من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كأن يخاف من مخلوق أن يصيبه بمرض بمشيئته وقدرته(١)

ج - الشرك في المحبة:

المحبة في أصلها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ومنها:

- محبة شركية، وهي أن يحب مخلوقاً محبة مقترنة بالخضوع والتعظيم، وهذه هي محبة العبودية، التي لا يجوز صرفها لغير الله، فمن صرفها لغيره فقد وقع في الشرك الأكبر (٢)، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] .

---

(١) فإن صحب هذا الخوف تعظيم فهو شرك في الألوهية كما سبق، وإن لم يصحبه تعظيم فهو شرك في الربوبية.

(٢) قاعدة في المحبة ص ٦٧-١٠٧ الجواب الكافي ص ١٩٥و٢٦٣-٢٧٥، طريق الهجرتين ص٣٨٣، جلاء الأفهام فصل تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بمحمد ص٩٣، والباب الخامس ص ٢٤٩، تفسير ابن كثير - تفسير الآية ١٦٥ من سورة البقرة، تجريد التوحيد ص٨٠،٨١، تيسير العزيز الحميد باب "ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً"، الدرر السنية ٢/٢٩١، الإرشاد للفوزان ص٦٠،٦١. وينظر الدين الخالص ١/٢١٩،٦٩.

وقال الحافظ ابن القيم في الجواب الكافي ص٣٠٠،٣٠١ عند كلامه على العشق: "وهو أقسام: تارة يكون كفراً، كمن اتخذ معشوقه نداً يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يغفره الله لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، وعلامة هذا العشق الشركي الكفري أن يقدم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه، وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله، فصار عبداً مخلصاً من كل وجه لمعشوقه، فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبوديته لمخلوق مثله، فإن العبودية هي كمال

د- الشرك في الرجاء: وهو أن يرجو من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله، كمن يرجو من مخلوق أن يرزقه ولداً، أو يرجو منه أن يشفيه بإرادته وقدرته، فهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة "(١)

هـ- الشرك في الصلاة والسجود والركوع:

فمن صلى أو سجد أو ركع أو انحنى لمخلوق محبة وخضوعاً له وتقرباً إليه "(٢)، فقد وقع في الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم(٣)

الحب والخضوع، وهذا قد استغرق قوة حبه وخضوعه وذلة لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية". وينظر التحفة العراقية "مجموع الفتاوى ١٠/٦٨-٧١".

قلت: وقد يقع في هذا الشرك من يحب مغنياً أو لاعباً محبة مفرطة تجعله يعظمه، فيحمله ذلك على الخضوع لذلك المحبوب بسبب تعظيمه له.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٤.

(٢) ومن ذلك السجود أمام المشايخ بوضع الرأس على الأرض أو تقبيل الأرض أمامهم، تعظيماً لهم وتقرباً إليهم. ينظر زاد المعاد: الطب: حلق الرأس ٤/١٥٨-١٦٠.

(٣) حكى هذا الإجماع في السجود القاضي عياض المالكي في آخر كتاب: "الشفاء" ٢/٥٢١، ٥٢٨، والحافظ ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص ٢١٥، وذكره ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي في كتابه الإعلام بقواطع الإسلام ص٢٠ نقلاً عن كتاب المواقف وشرحه، وينظر التمهيد ٥/٤٥، والاستغاثة ١/٣٥٦، و٢/٦٢٩، ومجموع الفتاوى ٢٧/٩٢، والجواب الكافي ص ١٩٦،١٩٩، وسيف الله لصنع الله الحنفي ص٦٩، والدين الخالص ١/٩٤، ورسالة التوحيد للدهلوي ص٥٣،٥٤، وينظر أيضاً رسالة "النواقض العملية" ففيها نقول كثيرة عن كثير من العلماء من جميع المذاهب في أن الصلاة والسجود والركوع والانحناء تقرباً إلى المخلوق شرك أكبر مخرج من الملة. وذكر البركوي الحنفي في إيقاظ النائمين ص ٧٩ أن الصلاة لغير الله حرام بالاتفاق.

هذا وإذا كان السجود ليس من باب العبادة، وإنما من باب التحية فهو حرام في ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكبيرة من كبائر الذنوب، لعموم النصوص الواردة في النهي عن السجود للمخلوق، ومثله الركوع والانحناء إذا كان من باب التحية فهو محرم أيضاً، لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الرجل يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " لا " رواه الإمام أحمد ٣/١٩٨، والترمذي "٢٧٢٨" وحسنه، وابن ماجه "٣٧٠٢". وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة "١٦٠".

وينظر الشفا لعياض ٢/٥٢١، مجموع الفتاوى ١/٣٧٧، تفسير ابن كثير - تفسير آية ١٠٠ من سورة يوسف - غاية المنتهى ٣/٣٣٧، كشاف القناع ٦/١٣٧، الزواجر "١٦٧"، أبجد العلوم ١/١٢٧.

قال الله تعالى: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] ، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢،١٦٣] وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما سجد له: " لا تفعل، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها "(١)

وقال صلى الله عليه وسلم: " ما ينبغي لأحدٍ أن يسجد لأحد "(٢)، ولأنه قد صرف شيئاً من العبادة لغير الله عز وجل، وصرف العبادة لغيره شرك بإجماع أهل العلم"(٣)".

و الشرك في الذبح:

الذبح في أصله ينقسم إلى أربعة أقسام: ومنها:

- الذبح تقرباً إلى مخلوق وتعظيماً له وخضوعاً له، فهذا عبادة -كما سبق- ولا يجوز التقرب به إلى غير الله"(٤)؛ فمن ذبح تقرباً إلى مخلوق وتعظيماً له فقد وقع في الشرك الأكبر وذبيحته محرمة لا يجوز أكلها،

---

(١) رواه الإمام أحمد ٣٨١/٤، وابن ماجه "١٨٥٣"، وابن حبان في صحيحه "٤١٧١" من حديث ابن أبي أوفى. وقال الألباني في الصحيحة "١٢٠٣": "إسناده صحيح على شرط مسلم"

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه "٤١٦٢" وغيره من حديث أبي هريرة. وإسناده حسن، وحسنه الألباني في الإرواء "١٩٩٨" وذكر له خمسة شواهد.

(٣) ينظر تيسير العزيز الحميد باب من الشرك أن يستغيث بغير الله ص ١٩٢.

(٤) ينظر الأشباه والنظائر للسيوطي المبحث الثالث فيما شرعت النية لأجله ص ١٢، شرح مسلم للنووي ١٤١/١٣، الأشباه والنظائر لابن نجيم: قاعدة الأمور بمقاصدها ص ٢٩، حاشية ابن عابدين: كتاب الذبائح ١٩٦،١٩٧/٥، شرح الأصول الستة للشيخ ابن عثيمين ص ٢٧،٢٨، وينظر في أنواع الذبائح المباحة الفتح: الأطعمة باب حق إجابة الوليمة، والروض مع حاشية لابن قاسم: النكاح باب الوليمة. وقال ابن نجيم الحنفي في الموضع السابق: " اعلم أن المدار على القصد عند ابتداء الذبح.. ويظهر ذلك أيضاً فيما لو ضافه أمير فذبح عند قدومه، فإن قصد التعظيم لا تحل وإن أضافه بها، وإن قصد الإكرام تحل وإن أطعمه غيرها ". وقال الشيخ ابن عثيمين في القول المفيد باب ما جاء في الذبح لغير الله: " لو قدم السلطان إلى بلد فذبحنا له، فإن كان تقرباً وتعظيماً فإنه شرك أكبر، وتحرم هذه الذبائح، وعلامة ذلك أننا نذبحها في وجهه ثم ندعها. أما لو ذبحناها إكراماً له وضيافة، وطبخت وأكلت، فهذا من باب الإكرام، وليس بشرك ".

سـواء أكان هذا المخلوق من الإنس أم من الجن أم من الملائكة أم كان قبراً، أم غيره، وقد حكى نظام الدين الشافعي النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦هـ إجماع العلماء على ذلك"(١)

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٣،١٦٢] (٢)، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر٢] ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لعن الله من ذبح لغير الله ". رواه مسلم"

---

(١) فقد حكى في تفسيره في تفسير الآية ١٧٣ من البقرة ١٢٠/٢ إجماع أهل العلم على أن ذبيحة المسلم التي قصد بها التقرب إلى غير الله ذبيحة مرتد وعلى أن المسلم قد صار بهذا الذبح مرتداً، وينظر الدين الخالص ٦١/٢، وذكر في فتح المجيد باب ماجاء في الذبح لغير الله ٢٧٠/١ أنه لا اختلاف بين العلماء في ذلك.

وذكر الإمام النووي الشافعي في شرح مسلم ١٤١/١٣ أن من ذبح لغير الله فعله محرم. ثم قال: "نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفرا، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً".

وقال علامة اليمن الإمام محمد بن علي الشوكاني في الدر النضيد ص٧٥: "النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف". وقال الإمام الشوكاني أيضاً في رسالة "شرح الصدور بتحريم رفع القبور"ص٣٤،٣٥:"ومن المفاسد البالغة إلى حد يرمى بصاحبه إلى وراء حائط الإسلام ويلقيه على رأسه من أعلى مكان الدين: أن كثيراً منهم يأتي بأحسن ما يملكه من الأنعام وأجود ما يحوزه من المواشي فينحره عند ذلك القبر، متقرباً به إليه، راجياً ما يضمر حصوله منه، فيهلّ به لغير الله، ويتعبد به لوثن من الأوثان، إذ أنه لا فرق بين النحائر لأحجار منصوبة يسمونها وثناً، وبين قبر لميت يسمونه قبراً، ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئاً ولا يؤثر تحليلاً ولا تحريماً، ولاشك أن النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبد الله العباد بها، كالهدايا والفدية والضحايا، فالمتقرب بها إلى القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته واستجلاب الخير منه واستدفاع الشر به، وهذه عبادة لاشك فيها، وكفاك من شر سماعه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا عقر في الإسلام " قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر- يعني بقراً أو شياهاً. رواه أبو داود بإسناد صحيح". انتهى كلامه رحمه الله، وينظر التوحيد لعلامة الهند إسماعيل الدهلوي ص ٥٧-٦١، والشرك ومظاهره لعلامة الجزائر الشيخ مبارك الميلي ص٢٤٧-٢٧٢.

(٢) النسك هو الذبح. وقوله "ومحياي ومماتي" أي إن جميع أعمالي لله تعالى، وهو المتصرف فيَّ في حياتي وبعد مماتي. ينظر تفسير البغوي وتفسير ابن كثير وتفسير الشوكاني وتفسير السعدي لهذه الآية، وسيف الله لصنع الله الحنفي ص٦٩، وتيسير العزيز الحميد وفتح المجيد والقول المفيد باب ما جاء في الذبح لغير الله.

ز – الشرك في النذر والزكاة والصدقة:

النذر هو: إلزام مكلف مختار نفسه عبادة لله تعالى غير واجبة عليه بأصل الشرع، كأن يقول: لله علي نذر أن أفعل كذا، أو لله علي أن أصلي أو أصوم كذا، أو أتصدق بكذا، أو ما أشبه ذلك.

والنذر عبادة من العبادات، لا يجوز أن يصرف لغير الله تعالى، فمن نذر لمخلوق كأن يقول: لفلان علي نذر أن أصوم يوماً، أو لقبر فلان علي أن أتصدق بكذا، أو إن شفي مريضي أو جاء غائبي للشيخ فلان علي أن أتصدق بكذا، أو لقبره علي أن أتصدق بكذا، فقد أجمع أهل العلم على أن نذره محرم وباطل "(١)، وعلى أن من فعل ذلك قد أشرك بالله تعالى الشرك الأكبر المخرج من الملة "(٢)، لأنه صرف عبادة النذر لغير الله، ولأنه يعتقد أن الميت ينفع ويضر من دون الله، وهذا كله شرك "(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨٦/١، و١١/٣١، ٢٧، و٣٥/٣٥٤، منهاج السنة ٤٤٠/٢، كشاف القناع ٢٧٦/٦. وينظر الدر المختار للحصكفي الحنفي مع حاشيته لابن عابدين آخر كتاب الصيام ١٢٨/٢، والبحر الرائق لابن نجيم الحنفي ٣٢٠/٢ نقلاً عن الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي، ونقل حكاية هذا الإجماع أيضا جمع من علماء الحنفية، وكذلك نقل جماعة من الحنفية الإجماع على أنه لا يجوز الوفاء به. ينظر رسالة "جهود علماء الحنفية" ص١٥٥٠-١٥٥٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عند ذكره لنذر الدهن للقبور لتنوَّر به: " وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين، لا يجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة، فإن فيهم شبهاً من السدنة التي كانت عند اللات والعزى ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله. والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} . والذين اجتاز بهم موسى وقومه، قال تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ} فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها أو لسدنة الأبداد –وهي الأصنام– التي في الهند والمجاورين عندها". ينظر فتح المجيد ص٢٨٨،٢٨٩. وينظر مجموع الفتاوى ٥٠٤/١١، الدين الخالص ١٨٣/١، الدرر السنية ٢٩٨/١-٣٠٢.

(٢) ينظر مجموع الفتاوى ٢٨٦/١، التوضيح عن توحيد الخلاق ص ٢٨٢، الدين الخالص ١٨٣/١، و٦٠/٢، سيف الله لصنع الله الحنفي ص٦٩، السنن والمبتدعات للشقيري المصري ص٧٤-٧٦.

(٣) حاشية ابن عابدين آخر كتاب الصيام ١٢٨/٢.

ومثله إخراج زكاة المال وتقديم الهدايا والصدقات إلى قبر ميت تقرباً إليه، أو تقديمها إلى سدنة القبر(١)تقرباً إلى الميت، أو تقديمها إلى الفقراء الذين يذهبون إلى القبر تقرباً إلى الميت، فهذا كله من الشرك الأكبر أيضاً، لما فيه من عبادة غير الله ومن اعتقاد أن هذا الميت ينفع أو يضر من دون الله، قال الشيخ قاسم الحنفي: "ما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأموات تقرباً إليهم حرام بإجماع المسلمين(٢)، فمن زكى أو تصدق تديناً تقرباً إلى غير الله فقد وقع في الشرك الأكبر(٣).

ح - الشرك في الصيام والحج:

الصيام والحج من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله بالإجماع، فمن تعبَّد بها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر، وذلك كمن يصوم أو يحج إلى الكعبة تقرباً إلى ولي أو ميت أو غيرهما من المخلوقين، وكمن يحج إلى قبر تقرباً إلى صاحبه فهذا كله من الشرك الأكبر المخرج من الملة، سواء أفعله العبد أم اعتقد جوازه(٤)

ط- الشرك في الطواف:

الطواف عبادة بدنية لا يجوز أن تصرف إلا لله تعالى، ولا يجوز أن يطاف إلا بالكعبة المشرفة، وهذا كله مجمع عليه، فمن طاف بقبر نبي أو عبد صالح أو بمنزل معين أو حتى بالكعبة المشرفة تقرباً إلى غير الله تعالى، فقد وقع في الشرك الأكبر بإجماع المسلمين"(٥).

---

(١) من المعلوم أن وضع سدنة للقبر يأخذون الهدايا والصدقات من البدع المحرمة، ومن الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الجهلة في الشرك الأكبر، وينظر كلام شيخ الإسلام الذي سبق نقله قريباً، وسيأتي الكلام على هذه المسألة بشيء من التوسع عند الكلام على وسائل الشرك - إن شاء الله تعالى-.

(٢) البحر الرائق ٣٢٠/٢، نقلاً عن الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي. وقد سبق قريبا نقل كلام الإمام الشوكاني في أن إخراج صدقة المال عبادة بلا خلاف.

(٣) مجموع الفتاوى ٧٥/١.

(٤) منهاج السنة ٤٤٠/٢، درء تعارض العقل والنقل ٢٢٨/١،٢٢٧، مجموع الفتاوى ٣٥١/١،٧٥، الصارم المنكي ص ٢١٥، الدين الخالص، ٥٨/٢، رسالة التوحيد للدهلوي الفصل الرابع ص ٥٨،٥٧.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٠٨/٢، الصارم المنكي ص ٢١٥، وينظر الجواب الكافي ص ٢٠٠،١٩٩،١٩٦ الدين الخالص ٩٤/٢،٥٨، رسالة التوحيد للعلامة إسماعيل الدهلوي الهندي الفصل الرابع ص ٥٥، ٥٦.

وهكذا بقية العبادات كالتوكُّل(١)، والتبرك، والتعظيم البالغ(٢)، والخضوع(٣)، وقراءة القرآن، والذكر، والأذان(٤) والتوبة والإنابة فهذه كلها عبادات لا يجوز أن تصرف لغير الله، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر(٥)

النوع الثالث من أنواع الشرك في الألوهية: الشرك في الحكم والطاعة:

ومن صور الشرك في هذا النوع:

١- أن يعتقد أحد أن حكم غير الله أفضل من حكم الله أو مثله، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، لأنه مكذب للقرآن، فهو مكذب لقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً﴾ [المائدة: ٥٠] ، ولقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] وهذا استفهام تقريري، أي أن الله تعالى أحكم الحاكمين، فليس حكم أحد غيره أحسن من حكمه ولا مثله.

٢- أن يعتقد أحد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقد خلاف ما دلت عليه النصوص القطعية من الكتاب والسنة، وخلاف ما دل عليه الإجماع القطعي من المسلمين من تحريم الحكم بغير ما أنزل الله(٦)

---

(١) ينظر في الشرك في هذه العبادة: التحفة العراقية، مجموع الفتاوى ٧٩/٧، الفوائد ص ١٦٣،٢٠٨،٢١١، مدارج السالكين "منزلة التوكل" ٥٢١،٥٢٢/٣، الجواب الكافي ص ١٩٩،٢٠٠، تيسير العزيز الحميد، فتح المجيد، قرة عيون الموحدين، القول المفيد باب "وعلى الله فتوكلوا"، مجموعة التوحيد ٢٨٥/١، ٤١٥، ٤٧٤، الإرشاد للفوزان ص ٦٤.

(٢) مرقاة المفاتيح، باب دفن الميت ٣٧٢/٢.

(٣) الخضوع عبادة لله تعالى بلا خلاف كما قال الإمام الشوكاني، وقد سبق نقل كلامه في الشرك في النذر.

(٤) حكى العيني في عمدة القاري شرح الحديث الأول ٣١/١: أن هذه الأقوال كلها عبادات بلا خلاف. وينظر الجواب الكافي ص ١٩٩.

(٥) ينظر في الشرك في هذه العبادات: مجموع الفتاوى ٧١،٢٩١،٣٥١/١، مدارج السالكين ٣٧٤/١، زاد المعاد: الطب " حلق الرأس " ١٥٨/٤-١٦٢، الجواب الكافي ص ١٩٦،١٩٧،٢٠٠، تجريد التوحيد ص٣١، ٣٨، ٤٥، تيسير العزيز الحميد ص ٢٤-٢٦، الدرر السنية ٣١٨/٢، جهود علماء الحنفية ص ١٥٧٥ وغيرها.

(٦) ينظر تفسير الآيات "٦٠-٦٥" من سورة النساء، وتفسير الآيات "٤٤-٥٠" من سورة المائدة، وتفسير الآيتين "٣١، ٣٧" من سورة التوبة في تفاسير ابن جرير والقرطبي وابن كثير والشوكاني وابن سعدي والشنقيطي، التمهيد ٢٢٦/٤، مجموع الفتاوى ٩٧/١، ٩٨، و٢٦٧/٣، و٦٧/٧-٧٢، و٣٧٣/٣٥، وشرح الطحاوية ص ٤٤٦، والدين الخالص ٦٦/٢، ٦٧، وتيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، والقول المفيد باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما

٣- أن يضع تشريعاً أو قانوناً مخالفاً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويحكم به(١)، معتقداً جواز الحكم بهذا القانون، أو معتقداً أن هذا القانون خير من حكم الله أو مثله(٢)، فهذا شرك مخرج من الملة.

٤- من يحكم بعادات آبائه وأجداده أو عادات قبيلته - وهي ما تسمى عند بعضهم ب: السُّلُوم - وهو يعلم أنها مخالفة لحكم الله، معتقداً أنها أفضل من حكم الله أو مثله أو أنه يجوز الحكم بها، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

٥- أن يطيع من يحكم بغير شرع الله عن رضى، مقدماً لقولهم على شرع الله، ساخطاً لحكم الله، أو معتقداً جواز الحكم بغيره، أو معتقداً أن هذا الحكم أو القانون أفضل من حكم الله أو مثله(٣)ومثل

حرم، والباب بعده، ورسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة السابق المطبوعة ضمن فتاويه ٢٨٤/١٢-٢٩١، ورسالة فتنة التكفير للألباني، وتقديم شيخنا عبد العزيز بن باز - رحمه الله - لها، وتعليق شيخنا محمد بن عثيمين عليها، ورسالة تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن "مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٣٦/١-١٧٣"،ورسالة النواقض القولية والعملية ص٣١٢-٣٤٣، ورسالة النواقض الاعتقادية الفصل الأخير ٢٢٢/٢-٢٣٢، ورسالة الحكم بغير ما أنزل الله للدكتور عبد الرحمن المحمود، ورسالة الغلو ص ٢٨٩-٣٠٠.

(١) أما لو حكم بغير الشرع في قضية واحدة وشبهها لشهوة أو رشوة أو نحوهما، فهذا من الشرك الأصغر. تنظر أكثر المراجع السابقة.

(٢) وهذا هو ظاهر حال أغلب الذين يضعون هذه القوانين ويحكمون بها، ومثلهم الذين يحكمون بعادات "سلوم" قبائلهم. ينظر تعليق الشيخ ابن عثيمين على رسالة فتنة التكفير ص ٣٥.

أما من وضع هذا القانون مكرها أو تحت ضغط من غيره، مع اعتقاده حرمة الحكم به وأن حكم الله تعالى أفضل منه، فقد ذهب بعض العلماء إلى أنه لا يكفر، قال الشيخ ابن عثيمين في الموضع السابق عند كلامه على هذه المسألة: " قد يكون الذي يحمله على ذلك أي على وضع قانون والحكم به خوفاً من أناس آخرين أقوى منه إذا لم يطبقه، فيكون مداهناً لهم، فحينئذ نقول: إن هذا كالمداهن في بقية المعاصي "، ولبعض العلماء خلاف في هذه المسألة، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن مجرد تحكيم قانون أو نظام عام مخالف لشرع الله تعالى كفرٌ مخرجٌ من الملة ولو لم يصحبه اعتقاد أن هذا القانون أفضل من شرع الله أو مثله أو يجوز الحكم به، وقد استدل أصحاب هذا القول بعموم آية المائدة الآتية، رقم "٤٤" ينظر في هذا القول أكثر المراجع السابقة.

(٣) أما من تابع من يحكم بغير الشرع مع أنه كان راضياً بحكم الله معتقداً أنه أفضل وأصلح للعباد ولكن تابع هؤلاء لهوى في نفسه، كأن يريد وظيفة ونحو ذلك فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يكفر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع

هؤلاء من يتبع أو يتحاكم إلى الأعراف القبلية – التي تسمى: السُّلوم – المخالفة لحكم الله تعالى، مع علمه بمخالفتها للشرع، معتقداً جواز الحكم بها، أو أنها أفضل من الشرع أو مثله، فهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة"(١)والدليل على أن هذا كله شرك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى:﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] ، وروي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فقلت: إنا لسنا نعبدهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "أليس يحرِّمون ما أحلَّ اللهُ، فتُحرِّمونه، ويُحِلُّون ما حرَّم الله، فتحلُّونه؟ " قال: قلت: بلى. فقال صلى الله عليه وسلم: " فتلك عبادتهم "(٢). فذكر في هذا الحديث أن طاعتهم في مخالفة الشرع عبادة لهم، وذكر الله تعالى في آخر الآية أن ذلك شرك، ولأن من كره شرع الله كفر، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٩].

٦- من يدعو إلى عدم تحكيم شرع الله، وإلى تحكيم القوانين الوضعية محاربةً للإسلام وبغضاً له، كالذين يدعون إلى سفور المرأة واختلاطها بالرجال الأجانب في المدارس والوظائف وإلى التعامل بالربا، وإلى منع تعدد الزوجات، وغير ذلك مما فيه دعوة إلى محاربة شرع الله، فالذي يدعو إلى ذلك مع علمه بأنه يدعو إلى المنكر وإلى محاربة شرع الله ظاهر حاله أنه لم يدع إلى ذلك إلا لما وقع في قلبه من الإعجاب بالكفار وقوانينهم واعتقاده أنها أفضل من شرع الله، ولما وقع في قلبه من كره لدين الإسلام وأحكامه،

الفتاوى ٧٠/٧ عند كلامه على هذه المسألة: " أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أصحاب الذنوب "، وقال الشيخ ابن عثيمين في القول المفيد ١٥٨/٢ : " إننا لو قلنا بكفرهم لزم من ذلك تكفير كل صاحب معصية يعرف أنه عاص لله ويعلم أنه حكم الله ".

(١) وألحق بهم بعض العلماء من يقلد العلماء أو المذاهب الفقهية ويترك الدليل لقول مقلده، فيقدم قول مقلده عليه تعصُّباً له. ينظر فتح المجيد آخر باب من أطاع العلماء....، والدين الخالص ٦٦/٢، وينظر تفسير الآية "٣١" من التوبة في تفسير الشوكاني.

(٢) رواه الترمذي في التفسير "٣٠٩٥"، وابن جرير في تفسيره "١٦٦٣١-١٦٦٣٣"، وابن أبي حاتم في تفسيره "١٠٠٥٧". وقد حسَّنه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ٦٧/٣، والشيخ محمد ناصرالدين في صحيح الترمذي "٢٤٧١".

وهذا كله شرك وكفر مخرج من الملة، ومن كانت هذه حقيقة حاله فقد وقع في الشرك الأكبر، وإن كان يظهر أنه من المسلمين فهو نفاق أيضاً؛ للأدلة التي سبق ذكرها في الفقرة السابقة، بل هنا أولى؛ لأن الدعوة إلى الشيء شر من مجرد اتباعه(١)

انتهى هذا المبحث منقولًا من كتاب "تسهيل العقيدة الإسلامية"بشيء من الاختصار.

(١) ينظر في جميع الصور السابقة أكثر المراجع المذكورة عند بيان الصورتين الأوليين لهذا النوع

الشِّرْك فِي الْأُلُوهِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الشِّرْكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: "وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَكَ مَا قَدَّمْنَا مِنْ أَنَّ الشِّرْكَ فِي الْأُلُوهِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الشِّرْكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَلَا بُدَّ"(١)

وقال د. ناصر العقل:

"الشركان -الشرك في الإلهية والشرك في الربوبية-متلازمان في أفعال العباد؛ لأن الذي يشرك في الإلهية لابد أن يقع منه شرك في الربوبية، فإذا عبدوا غير الله طلبوا من غير الله واستمدوا العون من غير الله، فهم توهموا أنه قد يكون للمعبود من دون الله منع أو إعطاء وهكذا، ولذا فإذا حدث الشرك في الإلهية فالغالب أنه يجر إلى الشرك في الربوبية، وكذلك العكس، فهما متلازمان، والفروق بين الأمرين إنما هي فروق علمية، وأما من الناحية العملية فيندر أن من يشرك بالربوبية يسلم من شرك الإلهية، وكذلك العكس، بل لا يمكن أن يكون شرك في الإلهية إلا ويستتبعه شرك في الربوبية. لكن الفارق بينهما: أن موضوع الربوبية متعلق بالتدبير وأفعال الله عز وجل، أي: أن كل ما يتعلق بأفعال الله وتدبيره يسمى ربوبية، ومن ذلك أن أسماءه وصفاته وغير ذلك مما يتعلق بالأفعال والتدبير هي أقرب إلى الربوبية، ومع ذلك قد يكون فيها جوانب الربوبية، وأما الإلهية فهو كل ما يتعلق بتوجه القلب والجوارح إلى الله عز وجل، وهذا بالنسبة للمسلم، وأما الشرك فيتوجه إلى الأصنام"(٢)

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٨٦)

(٢) شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية (٩/ ٥، بترقيم الشاملة آليا)

الفصل الثانى: الخوف من الشرك وبيان أنه أعظم الذنوب:

الخوف من الشرك لأنه أعظم الذنوب:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله -في كتاب التوحيد: "باب الخوف من الشرك وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] " قال الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-في شرح هذا الباب: "لما كان الشرك أعظم ذنب عُصِيَ الله به، ولهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، من إباحة دماء أهله وأموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه؛ نبه المصنف بهذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه" اهـ (١)

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله:

"الشرك أعظم الذنوب؛ وذلك لأمور:

١-لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحدًا فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]

٢-أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]

٣- أن الله حرم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلّد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]

٤-أن الشرك يُحبط جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٨٧)

٥-أن المشرك حلال الدم والمال، قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» (١)

٦- أن الشرك أكبر الكبائر - قال صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين» الحديث(٢)

٧- أن الشرك تنقص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنها - فمن أشرك بالله فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادة لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقة لله".اهـ(٣)

٨- يحرم أن يتزوج المشرك بمسلمة، كما يحرم أن يتزوج المسلم مشركة(٤)"، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١] .

٩ - إذا مات المشرك فلا يُغسل، ولا يُكفن، ولا يُصلى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وإنما يحفر له حفرة بعيدة عن الناس ويدفن فيها، لئلا يؤذي الناس برائحته الكريهة (٥)

---

(١) رواه البخاري ومسلم. وقوله صلى الله عليه وسلم " حتى يقولوا: لا إله إلا الله " يفسّره قوله صلى الله عليه وسلم: "من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه" رواه مسلم. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: " أجمع العلماء على أن من قال: "لا إله إلا الله" ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات" وقاله كذلك الشيخ ابن قاسم رحمه الله (فتح المجيد ص١١٢) و(حاشية كتاب التوحيد ص٧٢)

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) عقيدة التوحيد للفوزان (ص٧٤) وكتاب التوحيد للفوزان (ص١٠) وانظر: فتح المجيد (ص٨٥)

(٤) ويستثنى من ذلك نساء أهل الكتاب - اليهود والنصارى - كما قال تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} [المائدة: ٥] . وينظر تفسير الآية ٢٢١ من سورة البقرة في تفسير ابن كثير.

(٥) ينظر المبدع، والروض مع حاشيته لابن قاسم كتاب الجنائز وكتاب المرتد، الدين الخالص ١/١٨٧، ١٩٣، ٢٤٢ - ٢٤٨، ٣٤٣ - ٣٩٠، الضياء اللامع " فضل الصلاة وحكم تاركها " ص ٢٩٤.

والثامن والتاسع من هذه الأمور نقلتها من "تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ١٥١)" د. عبد العزيز الجبرين رحمه الله.

فهذه بعض الأمور التي تدل على خطر الشرك الأكبر وأنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه. والله المستعان.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله:"وقال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] أي اجعلني وبنيّ في جانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها. وقد استجاب الله تعالى دعاءه، وجعل بنيه أنبياء، وجنبهم عبادة الأصنام، وقد بيّن ما يوجب الخوف من ذلك بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦] فإنه هو الواقع في كل زمان. فإذا عرف الإنسان أن كثيرا وقعوا في الشرك الأكبر وضلوا بعبادة الأصنام: أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذي لا يغفره الله. قال إبراهيم التيمي: " من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ " رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به وبما يخلصه منه: من العلم بالله، وبما بعث به رسوله من توحيده، والنهي عن الشرك به"اه(١)

قال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: "وحقيقة الخوف من الشرك صدق الالتجاء إلى الله والاعتماد عليه والابتهال والتضرع إليه، والبحث والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه، ليسلم من الوقوع فيه"اه(٢).

---

(١) فتح المجيد ص٧٤)

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص ٤٨)

مسائل ملحقة:

هذه بعض المسائل المتعلقة بهذا الباب الثاني(الشرك وأنواعه وخطره)، نذكرها هنا إتمامًا الفائدة.

كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك:

قال المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-في كتاب التوحيد: "باب من الشرك: الاستعاذة بغير الله وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾

ثم قال: من مسائل الباب: الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك"(١)

قال ابن عثيمين رحمه الله: "ومعنى كلامه: أنه قد يكون الشيء من الشرك، ولو حصل لك فيه منفعة، فلا يلزم من حصول النفع أن ينتفي الشرك، فالإنسان قد ينتفع بما هو شرك. مثال ذلك: الجن، فقد يعيذونك، وهذا شرك مع أن فيه منفعة.مثال آخر: قد يسجد إنسان لملك، فيهبه أموالا وقصورا، وهذا شرك مع أن فيه منفعة"(٢)

وقال الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله-في توضيح هذه المسألة: "الخامسة "أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك" أي أنهم إذا استعاذوا بكبير الجن سلموا من شرهم فهذه هي المنفعة ولكن مثل هذا لا يدل على جوازه وأنه ليس من الشرك بل يؤخذ ذلك من أدلة الشرع وهي قد دلت على أنه شرك فإن قدر أن فيه منفعة فهذا لا يبيحه لأن فيه من المفاسد أضعاف ذلك"(٣)

وقال الشيخ سليمان الحمدان رحمه الله: "قال تعالى: ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾ فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه

---

(١) التوحيد لابن عبد الوهاب (ص: ٤١)

(٢) القول المفيد (١/ ٢٥٨)

(٣) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ٨٧)

له. قال ابن القيم رحمه الله تعالى [بدائع الفوائد ٢/ ٢٣٥]: «ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به وتقرَّب إليه بما يحب فقد عبده، وإن لم يسمِّ ذلك عبادة ويسميه استخداماً، وصدق هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة ؛ فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو»(١)

وقال الشيخ الغنيمان: "وليس كل ما فيه نفع يكون جائز الفعل، فعبادة الشيطان قد يكون فيها نفع لمن يعبد الشيطان، مثلاً إذا عبد أحد الشيطان يذهب الشيطان ويأتيه بشيء مما يريده ويطلبه من أمور الدنيا أو المنافع المعنوية، وهذا يقع كثيراً وهو من أعظم المحرمات، فليس الشيء الذي فيه منفعة مباحاً، بل يجب على الإنسان أن يتقيد بشرع الله جل وعلا، ويتقيد بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مع أن هذه الأمور في الواقع لا تنفع ولا تضر، قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨] يعني: هو كافي من توكل عليه، فمن يكون حسبه فهو يكفيه وحده"(٢)

المراد بقوله: ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا)):

قال ابن القيم رحمه الله: "وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْآخَرُ «لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا عَدَا الشِّرْكَ كُلَّهُ صَغَائِرُ، بَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا فَذُنُوبُهُ مَغْفُورَةٌ كَائِنَةً مَا كَانَتْ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ ارْتِبَاطُ إِيمَانِ الْقُلُوبِ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَتَعَلُّقُهَا بِهَا، وَإِلَّا لَمْ يُفْهَمْ مُرَادُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقَعُ الْخَلْطُ وَالتَّخْبِيطُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا النَّفْيَ الْعَامَّ لِلشِّرْكِ - أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا الْبَتَّةَ - لَا يَصْدُرُ مِنْ مُصِرٍّ عَلَى مَعْصِيَةٍ أَبَدًا، وَلَا يُمْكِنُ مُدْمِنُ الْكَبِيرَةِ وَالْمُصِرُّ عَلَى الصَّغِيرَةِ أَنْ يَصْفُوَ لَهُ التَّوْحِيدُ، حَتَّى لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى جَدَلِيٍّ لَا حَظَّ لَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، بَلْ قَلْبُهُ كَالْحَجَرِ أَوْ أَقْسَى، يَقُولُ: وَمَا الْمَانِعُ؟ وَمَا وَجْهُ الْإِحَالَةِ؟ وَلَوْ فُرِضَ ذَلِكَ وَاقِعًا لَمْ يَلْزَمْ مِنْهُ مُحَالٌ لِذَاتِهِ! .

---

(١) الدر النضيد (ص: ٩٦)

(٢) شرح فتح المجيد للغنيمان (٣٦/ ٤، بترقيم الشاملة آليا)

فَدَعْ هَذَا الْقَلْبَ الْمَفْتُونَ بِجَدَلِهِ وَجَهْلِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُوجِبُ مِنْ خَوْفِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَرَجَائِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَحُبِّهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَذُلِّهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَوَكُّلِهِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ مَا يَصِيرُ بِهِ مُنْغَمِسًا فِي بِحَارِ الشِّرْكِ، وَالْحَاكِمُ فِي هَذَا مَا يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ، إِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، فَإِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِالْقَلْبِ فَيُورِثَهُ خَوْفًا مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَذَلِكَ شِرْكٌ، وَيُورِثُهُ مَحَبَّةً لِغَيْرِ اللَّهِ، وَاسْتِعَانَةً بِغَيْرِهِ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوصِلُهُ إِلَى غَرَضِهِ، فَيَكُونُ عَمَلُهُ لَا بِاللَّهِ وَلَا لِلَّهِ، وَهَذَا حَقِيقَةُ الشِّرْكِ.

نَعَمْ قَدْ يَكُونُ مَعَهُ تَوْحِيدُ أَبِي جَهْلٍ، وَعُبَّادِ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ الِاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنْجَى هَذَا التَّوْحِيدُ وَحْدَهُ، لِأَنْجَى عُبَّادَ الْأَصْنَامِ، وَالشَّأْنُ فِي تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُوَحِّدِينَ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، مُصِرًّا عَلَيْهَا، غَيْرَ تَائِبٍ مِنْهَا، مَعَ كَمَالِ تَوْحِيدِهِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ الْحُبِّ وَالْخُضُوعِ، وَالذُّلِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ لِلرَّبِّ تَعَالَى "(١)

وقال الشيخ الغنيمان: "قوله: (ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً) شرط كفيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله، صغيره وكبيره، ولا يسلم من ذلك إلا من سلم الله تعالى، وذلك هو القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨ - ٨٩].

قال ابن رجب رحمه الله: "إن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة" إلى أن قال: "فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وخشية وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها وإن كانت مثل زبد البحر" انتهى ملخصاً.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى الحديث: (ويعطى لأهل التوحيد الذين لم يشوبوه بالشرك ما لا يعطى لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئاً البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده؛ فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٥-٣٣٦)

لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضـــمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غســـل الذنوب ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة والدافع لها قوي). انتهى "[١]

((ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه)) لتخليص القلب من رق إحسان الخلق:

قال الشـــيخ ابن قاســـم رحمه الله في كلامه عن حديث: ((ومن صـــنع إليكم معروفا فكافئوه)) والمكافأة تخلص القلب من رق إحسان الخلق، ولا شك أنك إذا لم تكافئ من صنع إليك معروفا بقي في قلبك له نوع تأله، فشرع قطع ذلك بالمكافأة ولو كافرا، وهو أولى من مكافأة المسلم، إذ منة المسلم أسلم من منة الكافر "[٢]

بيع أَستار الكعبة من وسائل الشرك أَو من الشرك:

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: "بيع أَستار الكعبة: لا ريب أَنه من وسائل الشرك أَو من الشرك، لما يقصدونه من أَخذها من التماس البركة من غير الله "[٣]

حكم قول: بسم الوطن والشعب-بسم الله واسم الملك:

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله -عن قول: بسم الوطن والشعب[٤]وبسم الله واسم الملك؟

فأجاب بقوله: طلب البركة والعون من غير الله شرك[٥] والأَخير من التنديد "[٦]

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن قول: "بسم الوطن" "باسم الشعب" "باسم العروبة":

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (١٤/ ٨، بترقيم الشاملة آليا)

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٤٨)

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٠٢)

(٤) إذا قيلت عند افتتاح الخطب أو الكتب

(٥) لان هذا معنى البسملة

(٦) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٠٥)

فقال: فيه تفصيل:

١-إن قصد أن يُعبّر عن العرب أو أهل البلد فلا بأس.

٢-وإن قصد التبرك والاستعانة فهو نوع شرك، وقد يصل إلى درجة الشرك الأكبر، حسب ما يقوم بقلب صاحبه من التعظيم لمن استعان به) قاله ابن عثيمين[١]

تحريم الانحناء عند السلام ووضع اليد على الجبهة:

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "لا يجوز الانحناء تحية للمسلم ولا للكافر لا بالجزء الأعلى من البدن ولا بالرأس؛ لأن الانحناء تحية عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده.

عبد الله بن قعود ... عبد الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز "[٢]

وجاء فيها أيضًا: " لا يجوز الانحناء في السلام؛ لأن ذلك ركوع، والركوع عبادة لا تجوز إلا لله، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه «قيل له: يا رسول الله: الرجل يلقى أخاه أينحني له؟ قال: "لا »[٣]، وسواء انحنى له قائما أو جالسا فهو حرام.

بكر أبو زيد .. صالح الفوزان ... عبد الله بن غديان ... عبد العزيز آل الشيخ ... عبد العزيز بن باز "[٤]

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: "الانحناء عند السلام حرام إذا قصد به التحية. وأَما إن قصد به العبادة فكفر[٥] ووضع اليد على الجبهة مثل السجود ويدخل في الشرك "[٦]

---

(١) انظر فتوى ابن عثيمين في المناهي اللفظية رقم ٢٤

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (١/ ٢٣٣)

(٣) سنن الترمذي الاستئذان والآداب (٢٧٢٨) ، سنن ابن ماجه الأدب (٣٧٠٢)

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (٢٤/ ١٣١)

(٥) وانظر مجموع فتاوي ابن تيمية جـ١ ص٣٧٧

(٦) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٠٩)

حكم تَقْبِيلِ الْأَرْضِ وَرَفْعُ الرَّأْسِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ السُّجُودُ أمام الْمُلُوكِ ونحوهم ومن أُكره عليه:

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية- رَحِمَهُ اللَّهُ -: عَمَّنْ يَبُوسُ الْأَرْضَ دَائِمًا هَلْ يَأْثَمُ؟ وَعَمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِسَبَبِ أَخْذِ رِزْقٍ وَهُوَ مُكْرَهٌ كَذَلِكَ؟

فَأَجَابَ: أَمَّا تَقْبِيلُ الْأَرْضِ وَرَفْعُ الرَّأْسِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ السُّجُودُ مِمَّا يُفْعَلُ قُدَّامَ بَعْضِ الشُّيُوخِ وَبَعْضِ الْمُلُوكِ: فَلَا يَجُوزُ؛ بَلْ لَا يَجُوزُ الِانْحِنَاءُ كَالرُّكُوعِ أَيْضًا كَمَا قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: لَا)) وَلَمَّا رَجَعَ مُعَاذٌ مِنْ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتهمْ فِي الشَّامِ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَيَذْكُرُونَ ذَلِكَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ. فَقَالَ: كَذَبُوا عَلَيْهِمْ لَوْ كُنْت آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدِ لَأَمَرْت الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ أَجْلِ حَقِّهِ عَلَيْهَا يَا مُعَاذُ إنَّهُ لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إلَّا لِلَّهِ))[1] . وَأَمَّا فِعْلُ ذَلِكَ تَدَيُّنًا وَتَقَرُّبًا فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ وَمَنْ اعْتَقَدَ مِثْلَ هَذَا قُرْبَةً وَتَدَيُّنًا فَهُوَ ضَالٌّ مُفْتَرٍ بَلْ يُبَيَّنُ لَهُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِدِينِ وَلَا قُرْبَةٍ فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى ذَلِكَ اُسْتُتِيبَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ.

وَأَمَّا إذَا أُكْرِهَ الرَّجُلُ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ لَأَفْضَى- إلَى ضَرْبِهِ أَوْ حَبْسِهِ أَوْ أَخْذِ مَالِهِ أَوْ قَطْعِ رِزْقِهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الضَّرَرِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّ الْإِكْرَاهَ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ يُبِيحُ الْفِعْلَ الْمُحَرَّمَ كَشُرْبِ الْخَمْرِ وَنَحْوِهِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنْ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ؛ وَلَكِنْ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكْرَهَهُ بِقَلْبِهِ وَيَحْرِصَ عَلَى الِامْتِنَاعِ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ الصِّدْقَ أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ يُعَافَى بِبَرَكَةِ صِدْقِهِ مِنْ الْأَمْرِ بِذَلِكَ. وَذَهَبَ طَائِفَةٌ إلَى أَنَّهُ لَا يُبِيحُ إلَّا الْأَقْوَالَ دُونَ الْأَفْعَالِ: وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَنَحْوِهِ قَالُوا إنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ وَهُوَ الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى عَنْ أَحْمَدَ. وَأَمَّا فِعْلُ ذَلِكَ لِأَجْلِ فُضُولِ الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ فَلَا وَإِذَا أُكْرِهَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَنَوَى بِقَلْبِهِ أَنَّ هَذَا الْخُضُوعَ لِلَّهِ تَعَالَى: كَانَ حَسَنًا مِثْلَ أَنْ يَكْرَهَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَيَنْوِيَ مَعْنًى جَائِزًا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ "[2]

---

(١) صححه الألباني في الصحيحة

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣٧٢-٣٧٣)

إذا استعاذ الإنس بالجن أجابوهم لأنهم يرون أنه حصل لهم الشرف والرئاسة على الإنس:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كَانَ الرَّجُلُ مِنْ الْإِنْسِ يَنْزِلُ بِالْوَادِي - وَالْأَوْدِيَةُ مَظَانُّ الْجِنِّ؛ فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ بِالْأَوْدِيَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُونَ بِأَعَالِي الْأَرْضِ - فَكَانَ الْإِنْسِيُّ - يَقُولُ: أَعُوذُ بِعَظِيمِ هَذَا الْوَادِي مِنْ سُفَهَائِهِ فَلَمَّا رَأَتْ الْجِنُّ أَنَّ الْإِنْسَ تَسْتَعِيذُ بِهَا زَادَ طُغْيَانُهُمْ وَغَيْرُهُمْ وَبِهَذَا يُجِيبُونَ الْمُعَزِّمَ وَالرَّاقِيَ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ مُلُوكِهِمْ فَإِنَّهُ يُقْسِمُ عَلَيْهِمْ بِأَسْمَاءِ مَنْ يُعَظِّمُونَهُ فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ الرِّئَاسَةِ وَالشَّرَفِ عَلَى الْإِنْسِ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطُوهُمْ بَعْضَ سُؤْلِهِمْ لَا سِيَّمَا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِنْسَ أَشْرَفُ مِنْهُمْ وَأَعْظَمُ قَدْرًا فَإِذَا خَضَعَتْ الْإِنْسُ لَهُمْ وَاسْتَعَاذَتْ بِهِمْ كَانَ بِمَنْزِلَةِ أَكَابِرِ النَّاسِ إذَا خَضَعَ لِأَصَاغِرِهِمْ لِيَقْضِيَ لَهُ حَاجَتَهُ. ثُمَّ الشَّيَاطِينُ مِنْهُمْ مَنْ يَخْتَارُ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ وَمَعَاصِي الرَّبِّ. وَإِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ مِنْ الشَّيَاطِينِ يَشْتَهُونَ الشَّرَّ - وَيَلْتَذُّونَ بِهِ وَيَطْلُبُونَهُ وَيَحْرِصُونَ عَلَيْهِ بِمُقْتَضَى - خُبْثِ أَنْفُسِهِمْ وَإِنْ كَانَ مُوجِبًا لِعَذَابِهِمْ وَعَذَابِ مَنْ يُغْوُونَهُ كَمَا قَالَ إبْلِيسُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . وَالْإِنْسَانُ إذَا فَسَدَتْ نَفْسُهُ أَوْ مِزَاجُهُ يَشْتَهِي مَا يَضُرُّهُ وَيَلْتَذُّ بِهِ؛ بَلْ يَعْشَقُ ذَلِكَ عِشْقًا يُفْسِدُ عَقْلَهُ وَدِينَهُ وَخُلُقَهُ وَبَدَنَهُ وَمَالَهُ وَالشَّيْطَانُ هُوَ نَفْسُهُ خَبِيثٌ فَإِذَا تَقَرَّبَ صَاحِبُ الْعَزَائِمِ وَالْأَقْسَامِ وَكُتُبِ الرُّوحَانِيَّاتِ السِّحْرِيَّةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ إلَيْهِمْ بِمَا يُحِبُّونَهُ مِنْ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ صَارَ ذَلِكَ كَالرِّشْوَةِ وَالْبِرْطِيلِ لَهُمْ فَيَقْضُونَ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ كَمَنْ يُعْطِي غَيْرَهُ مَالًا لِيَقْتُلَ لَهُ مَنْ يُرِيدُ قَتْلَهُ أَوْ يُعِينَهُ عَلَى فَاحِشَةٍ أَوْ يَنَالَ مَعَهُ فَاحِشَةً. وَلِهَذَا كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ يَكْتُبُونَ فِيهَا كَلَامَ اللَّهِ بِالنَّجَاسَةِ - وَقَدْ يَقْلِبُونَ حُرُوفَ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إمَّا حُرُوفُ الْفَاتِحَةِ وَإِمَّا حُرُوفُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَأَمَّا غَيْرُهُمَا - إمَّا دَمٌ وَإِمَّا غَيْرُهُ وَإِمَّا بِغَيْرِ نَجَاسَةٍ. أَوْ يَكْتُبُونَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَرْضَاهُ الشَّيْطَانُ أَوْ يَتَكَلَّمُونَ بِذَلِكَ. فَإِذَا قَالُوا أَوْ كَتَبُوا مَا تَرْضَاهُ الشَّيَاطِينُ أَعَانَتْهُمْ عَلَى بَعْضِ أَغْرَاضِهِمْ إمَّا تَغْوِيرُ مَاءٍ مِنْ الْمِيَاهِ وَإِمَّا أَنْ يَحْمِلَ فِي الْهَوَاءِ إلَى بَعْضِ الْأَمْكِنَةِ وَإِمَّا أَنْ يَأْتِيَهُ بِمَالٍ مِنْ أَمْوَالِ بَعْضِ النَّاسِ كَمَا تَسْرِقُهُ الشَّيَاطِينُ مِنْ أَمْوَالِ الْخَائِنِينَ وَمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَأْتِي بِهِ وَإِمَّا غَيْرُ ذَلِكَ. وَأَعْرِفُ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنْ الْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ وَمَنْ وَقَعَتْ لَهُ مِمَّنْ أَعْرِفُهُ مَا يَطُولُ حِكَايَتُهُ؛ فَإِنَّهُمْ كَثِيرُونَ جِدًّا"(١)

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٣-٣٥)

الباب الثالث:

أنواع الشرك الأصغر وأحكامه ومسائله :

ذكرنا فيما سبق أن الشرك الأصغر هو : "كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا" انتهى من فتاوى اللجنة الدائمة، وهذا التعريف من أحسن وأجمع التعاريف التي ذكرها أهل العلم في هذا الباب.(١)

وسنذكر -بعون الله- أنواع الشرك الأصغر وأحكامه ومسائله، وقد حرصنا -بحمد الله-على جمع مسائل هذا الباب وترتيبها وتقسيمها؛ لأننا أحوج ما نكون إلى التفقّه في هذا الباب ومعرفة أحكامه ودقائقه والعمل بمقتضى ذلك.

والكلام عن أحكام ومسائل هذا الباب سيكون في فصول ثلاثة، وذلك كما يلي:

---

(١) (فتاوى اللجنة الدائمة ٧٤٨/١) وذكر نحو هذا الشيخ صالح آل الشيخ ثم قال: "وهذا هو القول الأضبط والأقرب والأولى وهو قول عامة أئمة الدعوة، وكذلك يُفْهَمْ من صنيع ابن القيم وابن تيمية رحمهم الله أنهم يذهبون إليه، هو أنَّ الشرك الأصغر كل ذنب سمَّاهُ الشارع شركاً ولم يبلغ درجة الشرك الأكبر.

والقول الثاني: أن ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشّرك الأكبر فيكون شركاً أصغر، وقد نحا إلى ذلك عدد من أهل العلم منهم الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله.

والفرق بين التعريف الأول والثاني أنَّ هناك أعمال تكون وسيلةً للشرك الأكبر ولم يطلق عليه الشارع أنها شرك ولم يتفق العلماء على أنها شرك، فوسائل الشرك الأكبر كثيرة...إذاً لا يستقيم التعريف الثاني في عدد من الصّور، والأقرب والأولى هو الأول وهو أنْ يقال الشرك الأصغر هو كل ذنب أو معصية سماها الشارع شركا ولم تبلغ درجة الشرك الأكبر" اهـ (شرح العقيدة الطحاوية، صالح آل الشيخ، ص:٣٠٩)

الفصل الأول: الشرك الأصغر نوعان:

"لقد قسّم كثير من العلماء الشرك الأصغر إلى نوعين:

١- شرك ظاهر جلي: وهو نوعان:

أ-شرك الأقوال والألفاظ.

ب-شرك الأفعال.

٢-شرك خفي: وهو ما يكون في الإرادات والنيات، أي ما يكون من أعمال القلوب"(١)

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "الشرك الأصغر قسمان: القسم الأول: شرك ظاهر على اللسان والجوارح وهو: ألفاظ وأفعال، فالألفاظ كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان. وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفًا من العين وغيرها.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملًا مما يتقرب به إلى الله؛ يريد به ثناء الناس عليه، كأن يُحسن صلاته، أو يتصدق؛ لأجل أن يُمدح ويُثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس، فيُثنوا عليه ويمدحوه، ومنه: العملُ لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي، أو يجاهد لأجل المال" اهـ(٢)

---

(١) الشرك الأصغر والخفي، مسند القحطاني، ص٢٩

(٢) نص كلامه: "والشرك الأصغر قسمان: القسم الأول: شرك ظاهر، وهو: ألفاظ وأفعال. فالألفاظ كالحلف بغير الله - قال صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك» وقوله: ما شاء الله وشئت - قال صلى الله عليه وسلم: لما قال رجل: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله ندّا؟! قل: ما شاء الله وحده»، وقول: لولا الله وفلان ... ومثله قول: ما لي إلا الله وأنت. وهذا من بركات الله وبركاتك.

وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمائم خوفاً من العين وغيرها، إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر. لأن الله لم يجعل هذه أسبابا. أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر، لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي، وهو الشرك في الإرادات والنيات - كالرياء والسمعة - كأن يعمل عملا مما يتقرب به إلى الله، يريد به ثناء الناس عليه - كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويُثنى عليه. أو يتلفظ بالذكر

الشرك الخفي وما ورد فيه:

جاءت أحاديث فيها ذكر الشرك الخفي مرادًا به الشرك الأصغر وليس المراد بذلك الحصر، وإنما المراد به التنبيه على خطره؛ فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن الشرك الخفي قد يكون شركًا أصغر وقد يكون أكبر، وهكذا الشرك الجلي منه أصغر ومنه أكبر.

قال ابن باز رحمه الله: "الشرك الخفي لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سمي خفيا، فالشرك يكون خفيا ويكون جليا"(١)

وقال أيضًا:"أما الشرك الخفي فإنه يعمهما فيقع في الأكبر كشرك المنافقين؛ لأنهم يخفون عقائدهم الباطلة، ويتظاهرون بالإسلام رياء وخوفا على أنفسهم، ويكون في الشرك الأصغر كالرياء، كما في حديث محمود بن لبيد المتقدم وحديث أبي سعيد المذكور.. والله ولي التوفيق"(٢)

وقال ابن عثيمين: "الشرك الخفي هو ما يتعلق بالقلب من حيث لا يطلع عليه إلا الله، وهو إما أن يكون أكبر وإما أن يكون أصغر"(٣)

ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه...ومنه العمل لأجل الطمع الدنيوي - كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال - أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة إن أُعطي رضي وإن لم يعط سخط».

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له. وقل من ينجو منه. فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا من غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته - والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته" [الجواب الكافي ص ١١٥]. اهـ نقلًا عن "التوحيد، للفوزان: ص: ١٤" و"عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها ، الفوزان ص: ٧٧" وقال ابن القيم: "وَأَمَّا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ فَكَيَسِيرِ الرِّيَاءِ، وَالتَّصَنُّعِ لِلْخَلْقِ، وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، كَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» وَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَهَذَا مِنَ اللَّهِ وَمِنْكَ، وَإِنَّا بِاللَّهِ وَبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا شِرْكًا أَكْبَرَ، بِحَسَبِ قَائِلِهِ وَمَقْصِدِهِ" اهـ مدارج السالكين (١/ ٣٥٢)

(١) (مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٧)

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٢٩٠)

(٣) (فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٤/ ٢، بترقيم الشاملة آليا)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟: الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل))[١]

وعن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء"[٢].

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "في حديث أبي سعيد: أن الشرك ينقسم إلى شرك ظاهر وشرك خفي، حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الشرك الخفي" فهذا دليل على أنّ هناك شركاً ظاهراً، وهو الشرك في الأعمال الظاهرة كالركوع والسجود والدعاء والذبح والنذر. فإذا صرفت هذه العبادات لغير الله صار شركاً ظاهراً. أما الرياء فإنه شركٌ خفي يكون في القلوب والمقاصِد" [٣]

فالشرك الجلي: ما كان ظاهرًا، ومنه ما يكون شركًا أكبر ومنه ما يكون شركًا أصغر.

وأما الشرك الخفي، فقد قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "وفي حديث محمود بن لبيد تسمية الشرك الخفي بالشرك الأصغر فظاهره أن الشرك الخفي من الأصغر مطلقا وهو ظاهر قول الجمهور".[٤]

ولكن ذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الشرك الخفي يكون في النوعين: الأصغر والأكبر، وممن صرّح بهذا ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله تعالى كما تقدم، وهذا هو الصواب. والله تعالى أعلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال)): أي: أشد خوف خافه صلى الله عليه وسلم على أصحابه أكثر مما خافه عليهم من فتنة المسيح الدجال؛ لخفائه وقوة الداعي إليه، وعسر التخلص منه، لما يزينه الشيطان والنفس الأمارة في قلب صاحبه. **وسماه خفيًّا؛** لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره، أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٩٧)

(٤) تيسير العزيز الحميد – مكتبة الرياض (ص: ٤٧١)

(٥) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ص٢٦٧

وعن معقل بن يسار قال: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ! لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ ". قَالَ: "قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ"(١)

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول: اللّٰهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم تقولها ثلاث مرات»(٢)

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل»(٣)

وعن ابن عباس مرفوعًا: «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا»(٤)

وخلاصة القول أن **الشرك الخفي**: ما يكون في الإرادات والنيات أي ما يكون من أعمال القلوب" هذا هو الصواب والله أعلم(٥)

قد يقع العبد في الشرك الأصغر أو الخفي وهو لا يعلم :

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله-عند كلامه عن الحديث الذي فيه هذا الدعاء-: " اللّٰهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم "(٦)

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص٢٦٥-٢٦٦

(٢) رواه الحكيم وصححه الألباني

(٣) رواه الحاكم وحسنه الألباني

(٤) رواه الحكيم وصححه الألباني، ورواه أحمد عن عائشة وأبي موسى

(٥) الشرك الأصغر والخفي، مسند القحطاني، ص٢٩. وذكر أن هذا قول كثير من العلماء

(٦) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني

قال : قوله: «وأستغفرك لما لا أعلم»: قد يقع في الشرك الأصغر أو الخفي، وهو لا يعلم، ويظهر شيء من ذلك على فلتات لسانه، وهو لا يقصد، ولمثل ذلك شرع هذا الدعاء.

فهذا يدل على أن الشرك أمره عظيم، فلا يتهاونن أحد بهذا الأمر "(١)

علاج الشرك الأصغر الظاهر الجلي:

ذكرنا فيما مضى أن الشرك الأصغر نوعان: ظاهر جلي وهو شرك الأقوال والألفاظ والأفعال، وشرك خفي وهو شرك النيات والإرادات. وسنذكر هنا علاج النوع الأول وهو الظاهر الجلي.

علاج الشرك الأصغر الجلي:

أولًا: علاج شرك الأقوال والألفاظ: علاج هذا النوع من الشرك بأمور:

١- التفقه في دين الله تعالى، ومعرفة ما لا يجوز من الأقوال والألفاظ والحذر منها، فالجهل سبب كل شر.

٢-وجوب ترك هذه الألفاظ وما شابهها مهما كان قصد الإنسان ونيته، فالألفاظ الشركية أو التي فيها إشكال أو مشابهة يجب تركها وصيانة اللسان منها كما أمر تعالى المؤمنين في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب))(٢)

٣-معرفة ما ورد في فضل الإخلاص وما وعد الله أهله من السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

٤-معرفة ما ورد في التحذير من الشرك وبيان عاقبة أهله في الدنيا والآخرة.

٥-أن نعلم أن الألفاظ الشركية التي عدّها العلماء من الشرك الأصغر قد تصل بصاحبها والعياذ بالله إلى الشرك الأكبر بحسب مقصده وما يقع في قلبه كما مر معنا "(٣)

---

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد ١/٥٨

(٢) متفق عليه.

(٣) نقلًا عن كتاب الشرك الأصغر والخفي لمسند القحطاني ص٤٢

ثانيًا: علاج شرك الأفعال: وذلك بأمور: .

١-التفقه في دين الله تعالى ومعرفة هذه الأعمال الشركية والحذر منها حيث ثبت أن الجهل من أعظم أسباب الوقوع في مثل هذه الأعمال الشركية.

٢- أن نعلم أن التوكل على الله والاعتماد عليه من أخص مظاهر العبودية لله تعالى؛ ولذلك قال سبحانه ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فعلى المؤمن أن يعرف التوكل الصحيح على الله تعالى و يحققه في جميع شؤون حياته؛ فإن التعلق بغير الله تعالى هو أساس الشرك وقاعدته التي بني عليها.

٣- أن نعلم أن تعطيل الأسباب نقص في العقل وقدح في الشرع، وأن التعلق بها نقص في التوحيد وشرك قد يصل بصاحبه إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله.

٤- معرفة الأسباب المشروعة والاستغناء بها عن الأسباب الشركية مع تحقيق الاعتماد على مسبب الأسباب سبحانه ومصرف الأمور ومدبر الكون الذي كتب وقدر المقادير وما هو كائن إلى يوم القيامة قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم. فحامل التوحيد لا يحمل هم الأسباب مع بذله لها ولا تشغله عن الاعتماد على ربه مسبب الأسباب سبحانه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز "(١).

٥-إذا وجد المسلم في نفسه تطيرًا أو تشاؤما فليستعذ بالله تعالى وليقل: " اللّهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك" ولينته.

٦- لا يملك الضر والنفع إلا الله تعالى كما أنه لا أحد يعلم الغيب إلا الله عز وجل قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ وقال سبحانه ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾ .

٧-أن نعلم أنه إذا كانت الأسباب المشروعة للعلاج قد يقع بها الشرك فإنه من باب أولى الحذر والبعد عن أسباب الشرك الأكبر كالسحر والكهانة وما شابهها فهذه الأعمال الشركية من أخطر ما يهدد العقيدة

---

(١) رواه مسلم

وصفاء التوحيد والإخلاص ومما يثير غضب الرب سبحانه وتعالى لأنها منازعة له عز وجل فيما لا يملكه إلا هو سبحانه، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من إتيان السحرة والكهنة والمشعوذين وأمثالهم أشد تحذير فقال :" من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما "(١). وقال عليه الصلاة والسلام:" من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد" (٢) وقال عليه الصلاة والسلام " ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له"(٣) .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: ونصيحتي لكل من يتعلق بهذه الأمور أن يتوب إلى الله ويستغفره وأن يعتمد على الله وحده ويتوكل عليه في كل الأمور مع أخذه بالأسباب الشرعية والحسية المباحة وأن يدع هذه الأمور الجاهلية ويبتعد عنها ويحذر سؤال أهلها أو تصديقهم طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وحفاظا على دينه وعقيدته وحذرا من غضب الله عليه وابتعادا عن أسباب الشرك والكفر التي من مات عليها خسر الدنيا والآخرة" (٤)انتهى(٥)

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني

(٣) رواه البزار وصححه الألباني

(٤) مجموع الفتاوى (٢/١٢١،١٢٢)

(٥) نقلًا من كتاب الشرك الأصغر والخفي لمسند القحطاني ص ٥٥ – ٥٧

قولهم:(الشرك الأصغر أكبر من الكبائر) باعتبار الجنس وليس على إطلاقه:

الشرك الأصغر وإن كان من الكبائر، لكن الكبائر على مراتب، وبعضها أكبر من بعض[١]، فقول السلف: الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، هذا باعتبار الجنس؛ لأن الشرك الأصغر يخلّ بالعقيدة ويتعلق بالقلوب وصرفها عن الله، بخلاف الكبائر؛ فإنها لا تخل بالعقيدة، والحامل على فعلها: مجرد الشهوات.

وبهذا يتبين أن قولهم (الشرك الأصغر أكبر من الكبائر)[٢] أن هذا باعتبار الجنس، وليس باعتبار الآحاد على الإطلاق. والله أعلم.

وهذا البيان والتوضيح هو الذي قرره جمع من أهل العلم، وسنذكر فيما يلي ما تيسر من كلامهم:

قال ابن قاسم في حاشيته على كتاب التوحيد: "وقال ابن مسعود: (لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا) رواه الطبراني وابن جرير وغيرهما، قال المنذري: ورواته رواة الصحيح.

وجاء عن ابن عباس وابن عمر نحوه، وذلك أن الحلف بالله كاذبا كبيرة، والحلف بغير الله شرك وكفر، وإن كان أصغر فهو أكبر من الكبائر بإجماع السلف" (٣)

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: "قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائل كتاب التوحيد: (فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر) قال الفوزان: فالشرك الأصغر أكبر من

---

(١) قال صاحب كتا ب (ضوابط التكفير، ص: ١٨٠-١٨١): "الشرك الأصغر وإن كان من الكبائر، لكنها على مراتب، وبعضها أكبر من بعض، كما في الحديث: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ... الشرك بالله وعقوق الوالدين ... الحديث) متفق عليه، وعليه يفهم قول ابن مسعود رضي الله عنه: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً) فمراده: أن الشرك بالحلف بغير الله وإن كان من الكبائر لكنه أكبر من الحلف الكاذب. وعلى هذا يمكن أن يفهم قول الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله عن الشرك الأصغر إنه أكبر من الكبائر، وهو كقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن الشرك الأصغر إن رتبته فوق رتبة الكبائر، ولا يلزم من قولهما إخراج الشرك الأصغر عن مسمى الكبائر"

(٢) قال الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله: " الصواب: أنه -يعني الشرك الأصغر والكفر الأصغر- أكبر من الكبائر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه كفراً وشركاً وهو أكبر الكبائر" شرح كتاب الإيمان لأبي عبيد - الراجحي (١١/ ٢٤، بترقيم الشاملة آليا)

(٣) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٠٣)

الكبائر، لأن المعاصي وإن كانت كبائر إذا لم تكن شركاً، فلا تخل بالعقيدة وأما الشرك الأصغر فإنه يخلّ بالعقيدة"(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ لَأَنْ أَحْلِفَ بِاَللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا.وذلك بأنه إذا حلف بالله فقد جمع سيئة الكذب مع حسنة التوحيد، وإذا حلف بغيره فقد جمع مع الصدق سيئة الشرك، والتوحيد أعظم من الصدق، والشرك أعظم من الكذب". وقال ابن تيمية أيضًا: "لِأَنَّ حَسَنَةَ التَّوْحِيدِ أَعْظَمُ مِنْ حَسَنَةِ الصِّدْقِ وَسَبَبُ الْكَذِبِ أَسْهَلُ مِنْ سَبَبِ الشِّرْكِ" (٢)

وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله: "والشرك الأصغر أكبر من الكبائر؛ لأنه يتعلق بالقلوب وصرفها عن الله، بخلاف الكبائر فإنها طاعة للهوى والشيطان؛ ولأن الشرك الأصغر وسيلة إلى الشرك الأكبر. ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً)، وهذا من فقهه رضي الله عنه وتقواه؛ لأن الحلف بالله -وإن كان الشخص كاذباً- يعتبر توحيداً، بخلاف الحلف بغير الله وإن صدق، فهو شرك، فحلفه بالله كاذباً معه حسنة ومعه سيئة، معه حسنة التوحيد ومعه سيئة الكذب، والحالف بغير الله صادقاً معه حسنة ومعه سيئة، فمعه حسنة الصدق وسيئة الشرك، وإذا قارنت بين حسنة التوحيد وحسنة الصدق تجد أن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وإذا قارنت بين سيئة الشرك وسيئة الكذب وجدت أن سيئة الشرك أعظم من سيئة الكذب، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه هذه المقالة: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً) "(٣).

وقال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله: "والذي يظهر.والله أعلم.أن الشرك الأصغر ليس على مرتبة واحدة بل بعضه أعظم إثما، وتحريما من بعض.

والظاهر أيضا: أن قول السلف الشرك الأصغر أكبر من الكبائر يعني مما هو من جنسه كالحلفِ، فالحلفُ بغير الله أكبر من الحلف بالله كذبا كما في أثر ابن مسعود، وجنس الشرك أكبر من جنس الكبائر، ولا يلزم

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٣٩)

(٢) جواب في الحلف بغير الله والصلاة إلى القبور، ويليه: فصل في الاستغاثة، لابن تيمية (ص: ٢٦) والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٥٢)

(٣) دروس في العقيدة - الراجحي (١٢/ ٢، بترقيم الشاملة آليا)

من ذلك أن يكون كل ما قيل: إنه شرك أصغر يكون أكبر من كل الكبائر، ففي الكبائر ما جاء فيه من التغليظ، والوعيد الشديد ما لم يأت مثلُه في بعض أنواع الشرك الأصغر. والله اعلم"[1].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: "الكبائر العملية – التي ليس معها اعتقاد – هي من حيث جنس المحرم والكبيرة أقل مرتبة من الشرك الأصغر فضلا عن الشرك الأكبر؛ ولهذا نقول: إن جنس الشرك الأصغر ، هذا جنسه أعظم من حيث الذنب والكبيرة من جنس الكبائر العملية التي لا يصحب فاعلها حين فِعلها اعتقاد" وقال أيضًا: " الشرك الأصغر هو من حيث جنسه أكبر من الكبائر العملية، فأنواع الشرك الأصغر كلها من حيث الجنس أعظم. نعم: هي من الكبائر، لكنها من حيث الجنس أعظم من كبائر العمل التي لا يصاحبها اعتقاد؛ لأن الكبائر العملية، ليس فيها سوء ظن بالله – جل وعلا – وليس فيها صرف عبادة لغير الله، أو نسبة شيء لغير الله – جل وعلا – والحامل له على فعلها: مجرد الشهوات، وأما في الأخرى فالحامل له على فعلها: اعتقاده بغير الله، وجعل غير الله – جل وعلا – ندا لله سبحانه وتعالى، وأعظم الذنب أن يجعل المرء لله ندا وهو خلقه – جل وعلا"[2].

وقال يوسف الغفيص: " الشرك الأصغر أعظم من كبائر الذنوب بالجنس لا بالآحاد: إن الشرك الأصغر أعظم من كبائر الذنوب، وهذا باعتبار الجنس، وليس باعتبار الآحاد، والقصد أنه لا يلزم أن الذنب إذا سماه الشارع كفراً أن يكون أعظم من سائر الذنوب، وإنما هذه الجملة إذا عبر بها بعض من أهل السنة فمرادهم الجنس، وقول ابن مسعود: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً)، صحيح، لكن لا يلزم أن يكون هذا مطرداً، وإنما يعتبر الأمر إذا أمكن بالجنس وليس بسائر الآحاد على الإطلاق"[3].

---

(١) لقاءات ملتقى أهل الحديث بالعلماء (٢/ ٢-٣بترقيم الشاملة آليا)

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١١٨،٦٠٧)

(٣) شرح الطحاوية – يوسف الغفيص (٢٣/ ١٧، بترقيم الشاملة آليا)

هل الشرك الأصغر تحت المشيئة مثل الكبائر أم أنه لا يُغفر إلا بتوبة:

اتفق العلماء على أن مرتكب الشرك الأصغر غير خارج من الملة، وأنه لا يخلد في النار، ولكن هل يكون تحت المشيئة إن لم يتب كما هو حال أصحاب الكبائر الآخرين، أو يكون تحت الوعيد بأن لا يغفر له إذا لم يتب؟ اختلفوا فيه على قولين:

الأول: أنه تحت الوعيد لعموم قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فالشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، لأن قوله:﴿أن يشرك به﴾ مؤول بمصدر تقديره: شركا به، وهو نكرة في سياق النفي، فيفيد العموم. وهذا قول الشيخ عبد الرحمن بن حسن[١] والشيخ أبا بطين[٢] والشيخ صديق حسن خان[٣]والشيخ عبد الرحمن بن قاسم[٤]والفوزان وعبد العزيز الراجحي وصالح آل الشيخ وغيرهم.

الثاني: أنه تحت المشيئة، والمراد بقوله في الآية: ﴿أن يشرك به ﴾ الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر، فإنه يُغفر لأنه دون الشرك الأكبر، فلا يخرج من الملة، وكل ذنب لا يخرج من الملة، فإنه تحت المشيئة.

وهذا قول أكثر المفسرين واختاره الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي[٥]وصرح به حفيده سليمان بن عبد الله[٦] وعبد الرحمن البراك وزيد المدخلي وصالح البليهي[٧] وعبد العزيز السلمان[٨] وغيرهم، وإليه يومىء كلام ابن القيم [٩] والسعدي وحافظ الحكمي رحمهم الله.

---

(١) (قرة عيون الموحدين ٤٦ و مجموعة الرسائل و المسائل النجدية ٢/ ٣٦/٢)

(٢) الدرر السنية ٣٨٨/١٠

(٣) (الدين الخالص ١/ ٣٨٨)

(٤) (حاشية كتاب التوحيد ٤٩ – ٥١)

(٥) تاريخ نجد ص ٤٣٩

(٦) (التوضيح عن توحيد الخلاق، ص: ٣١٥-٣١٦)

(٧) (عقيدة المسلمين) (١/ ٣٣٩).

(٨) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص: ٧٩)

(٩) (إغاثة اللهفان ٥٩/١) و(الجواب الكافي) (ص: ٣١٦) وقال خالد المصلح: "هذا قول ابن القيم رحمه الله كما صرح به في أكثر من موضع "(شرح كشف الشبهات لخالد المصلح (٤/ ٤، بترقيم الشاملة آليا). ولكن ذكر بعضهم أن ابن القيم جزم في (طريق الهجرتين) بأنه لا يُغفر.

قال ابن عثيمين: "وشيخ الإسلام ابن تيمية اختلف كلامه، فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر"(١)

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-في كلام نفيس له: "من لحظ إلى عموم الآية، وأنه لم يخص شركاً دون شرك أدخل فيها الشرك الأصغر وقال إنه لا يغفر بل لا بد أن يعذب صاحبه، لأن من لم يغفر له لا بد أن يعاقب، ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره ولا بخلوده في النار وأنه يعذب عذاباً أبديا ـ لأن هذا مذهب الخوارج المنحرفين. وإنما يقولون يعذب عذاباً بقدر شركه ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة.

وأما من قال إن الشرك الأصغر لا يدخل في الشرك المذكور في هذه الآية، وإنما هو تحت المشيئة فإنهم يحتجون بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ فيقولون كما أن بإجماع الأئمة أن الشرك الأصغر لا يدخل تحت هذه الآية التي حكم الله بها للمشرك بتحريم الجنة والخلود في النار فلا يدخل في تلك الآية وكذلك لا يدخل في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، لأن العمل هنا مفرد مضاف ويشمل الأعمال كلها، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها إلا الشرك الأكبر.

قالوا وإذا فارق الشرك الأكبر في تلك الأحكام السابقة بأنه لا يحكم عليه بالكفر والخروج من الإسلام ولا بالخلود في النار، فارقه في كونه مثل الذنوب التي دون الشرك وأنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه؛ ولأن مشاركته للكبائر في أحكامها الدنيوية والأخروية أكثر من مشاركته للشرك الأكبر.

ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات وبين السيئات التي هي دون الشرك الأكبر لأن الشرك الأكبر؛ لا موازنة بينه وبين غيره فإنه لا يبقى معه عمل ينفع. وأما السيئات التي دونه فيقع بينها الموازنة من رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة بلا عذاب، ومن رجحت سيئاته على حسناته، استحق دخول النار بقدر ذنوبه، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف الذين مآلهم إلى دخول الجنة، ولكن الأولون قد يجيبون عن هذا بأنه قد يعذب صاحب الشرك الأصغر قبل الموازنة، إما في البرزخ، وإما قبل ذلك أو بعده في عرصات القيامة، فيقول الآخرون: وكذلك الكبائر قد يعذب صاحبها قبل

---

(١) "مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله" (٢/٢٠٣) وانظر: (تفسير آيات أشكلت على كثير من الناس) (١/ ٣٦١ - ٣٦٥) و((تلخيص كتاب الاستغاثة)) (١/ ٣٠١)

الموازنة فتسقط الموازنة بها فلا يختص بذلك الشرك الأصغر، ومن تأمل الأدلة من الكتاب والسنة أمكنه أن يعرف الراجح من القولين "[1]اهـ

"وقد استدل أصحاب القول الأول بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦] . لكن أجاب أصحاب القول الثاني عن هذا الاستدلال بأمرين:

١ - أن الآيتين في الشرك الأكبر؛ لأنهما وردتا في ضمن آيات تتحدث عن المشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

٢- أن الآيات الأخرى في كتاب الله تعالى والتي رتب فيها الحكم على وصف الشرك لم يختلف أهل العلم في أن المراد به في هذه الآيات الشرك الأكبر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] ، وكقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] ، فكذلك آيتا النساء. وهذا هو الأقرب "[2]

وقالوا: الشرك الأصغر مثل بقية الكبائر تحت المشيئة ، والآية في الشرك الأكبر فقط ، فقوله سبحانه :﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ أي: الشرك الأكبر، وقوله : ﴿ ويغفر ما دون ذلك﴾ أي : الشرك الأصغر والمعاصي كبائرها وصغائرها . قالوا : لأن سياق الآية يدل على أنه الشرك الأكبر .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-مستدلًا على أن الشرك الأصغر يدخل تحت المشيئة: " قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ولحديث عبادة بن الصامت وحديث أبي ذر وغيره المتفق عليه ولأن الشرك الأصغر دون الأكبر فيدخل تحت المشيئة، والآية واردة في الشرك الأكبر بخصوصه...ومن قال بأن إطلاق الآية يدل على أنه لا يُغفر؛ فالجواب عن ذلك ما تقدم من أنه داخل في الدون فهو تحت المشيئة ويصدر من خواص الأمة ولا قائل بوجوب العذاب والحكم به عليهم إذ لا يسلم منه غالباً إلاَّ من عصمه الله وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

---

(١) ضمن فتاوى بعثها السعدي إلى الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين، وهذه الفتاوى مؤرخة بتاريخ ١٣٧٤/٦/٢٩هـ مخطوطه). نقلا عن كتاب" الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة (ص: ١٨٨)، د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد. وقد ذكر أن الشيخ السعدي يرى أن الشرك الأصغر مثل الكبائر داخل تحت مشيئة الله.

(٢) تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ٣٦٣)

أجمعين" ثم قال: " فتعين أن يكون الشرك الأصغر ذنباً كبيراً كبقية الذنوب التي تقبل الغفران من علام الغيوب"[1]اهـ.

وأيضًا يُقال: إن الشرك الأصغر أعظم من كبائر الذنوب جنسًا لا فردًا؛ فمن قتل مئة نفس أعظم ذنبًا ممن حلف مرّة واحدة بغير الله مع عدم اعتقاد التسوية في التعظيم، وهذا القاتل لمئة نفس تحت المشيئة بإجماع أهل السنة؛ فيكون ما دونه من باب أولى. والله أعلم.

وبهذا يظهر أن الراجح -والله أعلم-هو القول الثاني أن الشرك الأصغر يدخل تحت المشيئة. والله أعلم.[2]

(١) (التوضيح عن توحيد الخلاق، ص: ٣١٥-٣١٦)

(٢) انظر: (التوضيح عن توحيد الخلاق، ص: ٣١٥-٣١٦) و(القول المفيد لابن عثيمين ١/ ٢٠٨) و(الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا- ١/ ١٧٣) و(الإخلاص حقيقته ونواقضه، عبد الله الأحمدي ص٢٧٠) و(الشرك الأصغر حقيقته و أحكامه و أنواعه/ عبد الله السليم) و(قواعد ومسائل في توحيد الإلهية لعبد العزيز الريس ص١٢)و(تسهيل العقيدة الإسلامية ص: ٣٦٣) وفي حاشيته:وينظر: تلخيص الاستغاثة "ص١٤٨"، مدارج السالكين ١/٣٠٨، ٣٦٨، ٣٧٣، الدرر السنية ٢/١٨٥، الدين الخالص ١/٣٨٧، ٣٨٨، قرة عيون الموحدين ص٤٦، رسالة "الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة" للعبّاد ص١٩٤، ١٩٥)

خطر الشرك الأصغر:

خطر الشرك الأصغر عظيم، وذلك لأمور:

١-قلة من ينجو منه

٢ -أن من صور الشرك الأصغر الرياء، وهو يحبط العمل.

٣ -أنه خفي جدًا، فيحتاج المسلم أن يتابع نفسه ويتفقّد نيته؛ لأنه قد يدخل على الإنسان وهو لا يشعر)[١]

٤-أنه يقع في العبادات والأعمال الصالحة كالرياء ونحوه، وكم عانى وشكى منه الصالحون.

٥-أنه أعظم من كبائر الذنوب كما تقدم.

٦-أن العلماء قد اختلفوا فيه هل يُغفر أم لا-كما تقدم-، وهذا مما يدل على عظيم خطره.

٧- أنه وسيلة إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله.

---

(١) الشرك الأصغر وخطورته والتحذير منه، د.مديحة السدحان ص١٧

مسائل ملحقة:

النهي عن الشرك في الألفاظ أتى بالتدريج:

قوله صلى الله غليه وسلم: ((وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلَا تَقُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ) وفِي لَفْظِ أَحْمَدَ (كَانَ يَمْنَعُنِي الحَيَاءُ مِنْكُمْ)(١)

قوله (كَانَ يَمْنَعُنِي الحَيَاءُ مِنْكُمْ): حَيَاؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُم لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الحَيَاءِ مِنَ الإِنْكَارِ عَلَيْهِم؛ بَلْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُهَا؛ وَلَكِنَّهُ يَستَحْيِي أَنْ يَذْكُرَهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِإِنْكَارِهَا، فَلَمَّا جَاءَ الأَمْرُ الإِلَهِيُّ بِالرُّؤيَا الصَّالِحَةِ أَنْكَرَهَا وَلَمْ يَستَحْي فِي ذَلكَ.

- هَذِهِ المَسَائِلُ لَيْسَتْ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ وَإِنَّمَا مِنَ الأَصْغَرِ، وَتَحْرِيْمُ الشِّرْكِ فِي الأَلْفَاظِ أَتَى بِالتَّدْرِيْجِ فِي تَارِيْخِ بَعْثَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ وَتَبْلِيْغِهِ أُمَّتَهُ بِالأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، أَمَّا الشِّرْكُ الأَكْبَرُ - الجَلِيُّ - فَقَدْ نَفَاهُ مِنْ أَوَّلِ الرِّسَالَةِ"(٢)

وقال صالح آل الشيخ: "وهذه المسائل ليست من الشرك الأكبر، بل من الأصغر، كما دل عليه قوله في آخره: «قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها» والنهي عن الشرك في الألفاظ أتى بالتدريج في تاريخ بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وتبليغه أمته بالأوامر والنواهي، فكان الحلف بالآباء جائزا، ثم نهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك. وكذلك قول: ما شاء الله وشئت، ثم نهاهم عن ذلك؛ ولهذا قال المصنف في مسائل كتاب التوحيد: فيه أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لقوله: «كان يمنعني كذا وكذا» ، " وأما الشرك الأكبر فلا يجوز أن يؤخر إنكاره أو أن يمنع عنه مانع، أما شرك الألفاظ فقد يؤخر بعضه لتتم المصلحة العظمى، أما الشرك الأكبر فلا مصلحة تبقى مع وجوده"(٣)

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني

(٢) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد (ص: ٣٧٥-٣٧٧)

(٣) (التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٤٦٥-٤٦٦)

((تركته وشركه)) دليل على أن الشرك يحبط العمل سواء كان أكبر أو أصغر:

عن أبي هريرة مرفوعًا: قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» [رواه مسلم] في قوله: "تركته وشركه" دليل على أن الشرك يُحْبِط العمل سواءً كان أكبر أو أصغر "(١)

الاستدلال على الشرك الأصغر بما نزل في الأكبر:

قال ابن قاسم في حاشية كتاب التوحيد: ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه " رأي رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾: في استدلال حذيفة بهذه الآية على أنه شرك، دليل على صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما نزل في الأكبر؛ لشمول الآية النوعين، ودخوله في مسمى الشرك "(٢)

وقال سليمان بن عبد الله رحمه الله: "استدل حذيفة بهذه الآية على أن تعليق الخيط ونحوه مما ذكر شرك، أي: أصغر كما تقدم في الحديث، ففيه صحة الاستدلال بما نزل في الأكبر على الأصغر، ومعنى الآية أن الله أخبر عن المشركين أنهم يجمعون بين الإيمان بالله، أي: بوجوده، وأنه الخالق الرزاق المحيي المميت، ثم مع ذلك يشركون في عبادته فسرها بذلك ابن عباس وعطاء ومجاهد والضحاك وابن زيد وغيرهم "(٣)

وقال أيضًا: فإن السلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر، كما استدل حذيفة وابن عباس وغيرهما "(٤)

وقال ابن قاسم في حاشية كتاب التوحيد: (باب قول الله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس في الآية: (الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي ، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٩٥)

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٨١)

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٢٩)

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٢١)

البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت): وإن كانت الآية نزلت في الأكبر، فالسلف يحتجون بها نزل في الأكبر على الأصغر، كما فسرها ابن عباس وغيره"(١)

وقال صالح آل الشيخ في شرحه لكتاب التوحيد: " باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما " وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى - وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى - أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى - تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى - إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ١٩ - ٢٣] قال الشيخ سليمان بن عبد الله: إن كان التبرك شركا أكبر: فظاهر في الاستدلال بالآية وإن كان شركا أصغر: فالسلف يستدلون بها نزل في الأكبر على ما يريدون من الاستدلال، في مسائل الشرك الأصغر "(٢)

(١) حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٠٠-٣٠١)

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ١٢١-١٢٩)

الفصل الثانى: تعريف الرياء وأنواعه وأحكامه:

تعريف الإخلاص والرياء:

تعريف الإخلاص :

" (الْإِخْلَاصُ: تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ) قَالَه الهروي في كتابه "منازل السائرين

قال ابن القيم في شرحه: " أَيْ لَا يُمَازِجُ عَمَلَهُ مَا يَشُوبُهُ مِنْ شَوَائِبَ إِرَادَاتُ النَّفْسِ إِمَّا طَلَبُ التَّزَيُّنِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِمَّا طَلَبُ مَدْحِهِمْ، وَالْهَرَبُ مِنْ ذَمِّهِمْ، أَوْ طَلَبُ تَعْظِيمِهِمْ، أَوْ طَلَبُ أَمْوَالِهِمْ أَوْ خِدْمَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَقَضَائِهِمْ حَوَائِجَهُ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالشَّوَائِبِ، الَّتِي عَقْدُ مُتَفَرِّقَاتِهَا هُوَ إِرَادَةُ مَا سِوَى اللَّهِ بِعَمَلِهِ، كَائِنًا مَا كَانَ "(١)

حكم الإخلاص وأهميته:

أجمع العلماء على أن الأعمال القلبية أعظم وأهم وآكد من أعمال الجوارح.

وأهم الأعمال القلبية: إخلاص الدين لله تعالى، فهو أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين، وهو بمنزلة الروح من الجسد.

وقد أجمع العلماء على فرضية الإخلاص ووجوبه وأن العمل بدونه يكون هباء منثورًا)(٢)

---

(١) مدارج السالكين ٢/٩٣

(٢) الشرك الأصغر والخفي، مسند القحطاني، ص١٦٥. وذكر في الحاشية ما يلي: مقاصد المكلفين(٣٧٧)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام(٢٦/٢٤) (٢٠/٧٠)، جامع العلوم والحكم لابن رجب، شرح الحديث الأول، ومدارج السالكين ٢/٩٠، وكتاب الإخلاص لحسين عوايشة، ورسالة الإخلاص والشرك الأصغر(٤)

تعريف الرياء:

"**الرياء في اللغة**: مشتق من الرؤية، وهي النظر، يقال: راءيته، مراءاة، ورياء، إذا أريته على خلاف ما أنا عليه"(١)

وأما في الاصطلاح؛ فقد قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: (قال الحافظ ابن حجر: " هو مشتق من الرؤية. والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها. **والفرق بينه وبين السمعة**: أن الرياء لما يُرى من العمل كالصلاة. والسمعة لما يُسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله")(٢).

الرياء لا يدخل في العبادات القلبية:

الرياء لا يكون إلا في العبادات الظاهرة، وأما في العبادات القلبية فهذا لا يكون؛ لأنه لا يمكن أن يرائي بعبادة لا يراها الناس. وأما التسميع فيكون في العبادات الظاهرة والقلبية.

فعبادات القلوب مصونة عن الرياء؛ إذ لا رياء إلا بأفعال ظاهرة تُرى، وأما التسميع فعام لأعمال القلوب والجوارح "(٣)

قال الزركشي ــ رحمه الله: "الْعَمَلُ يَنْقَسِمُ إلَى قَلْبِيٍّ وَبَدَنِيٍّ وَالْقَلْبِيُّ أَفْضَلُ، وَمِنْ شَرَفِهِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهُ الرِّيَاءُ وَإِنَّمَا يَدْخُلُ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ، وَالرِّيَاءُ آفَةُ كُلِّ عِبَادَةٍ"(٤)

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٣٢٦)، الصحاح (٦/ ٢٣٤٨)، لسان العرب (١٤/ ٢٩٦)، القاموس المحيط (ص ١٦٥٨) نقلًا عن "منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة، أحمد عسيري، ص٢٦٠

(٢) فتح المجيد،ص٣٦٨

(٣) ينظر: السنن الصغرى للبيهقي، ٢٠/١، وقواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، ١٠٧/١-١٠٨، والفتاوى الكبرى لابن تيمية، ٥/١، والمنثور للزركشي، ٤٢٢/٢ نقلًا عن " الإخلاص وحقيقته" لعبد الله بن عيسى، ص٣١٢

(٤) المنثور في القواعد للزركشي، ٤٢٢/٢

حكم الرياء:

الرياء كما سيأتي نوعان: شرك أكبر: وهو رياء المنافقين، كما قال الله عنهم:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:١٤٢) فهذا الرياء شرك أكبر، وهو أعظم المحرمات، بل إن أصحابه يكونون أشدّ عذابًا من غيرهم من المشركين، قال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء:١٤٥)

وأما النوع الثاني: فهو الرياء الذي يقع فيه المسلم بسبب تقصيره وغفلته: "وقد وردت أدلة كثيرة تدل على تحريمه وعظم عقوبة فاعله، وأنه يبطل العمل الذي يصاحبه، منها حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء، يقول الله عز وجل لأصحاب ذلك يوم القيامة إذا جازى الناس: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟! " رواه أحمد وصححه الألباني، وحديث أبي هريرة في خبر الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، وهم رجل قاتل في الجهاد حتى قتل، ليقال: جرئ، ورجل تعلّم العلم وعلّمه أو قرأ القرآن ليقال: عالم أو قارئ، ورجل تصدَّق ليُقال: جواد" رواه مسلم، وَعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ هُوَ لِلَّذِي عَمِلَهُ ". رَوَاهُ مُسلم "(١)

فالرياء مذموم لأن فيه الغفلة عن تعظيم الله والإخلاص له، واتخاذ العبادة وسيلة إلى تعظيم النفس؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: " التزيّن بالمراءاة عين عبادة النفس "(٢)

---

(١) انظر: (تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ص٣٧٠)

(٢) مدارج السالكين ٢/٨٤

أَغْرَاضُ الرِّيَاءِ ثَلَاثَةٌ:

قال القرافي رحمه الله: "وَأَغْرَاضُ الرِّيَاءِ ثَلَاثَةٌ اسْتِجْلَابُ الْخُيُورِ وَدَرْءُ الشُّرُورِ وَالتَّعْظِيمُ مِنَ الْخَلْقِ "(١)

وقال أيضًا: "وَأَغْرَاضُ الرِّيَاءِ ثَلَاثَةٌ التَّعْظِيمُ وَجَلْبُ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَدَفْعُ الْمَضَارِّ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأَخِيرَانِ يَتَفَرَّعَانِ عَنْ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ إذَا عَظُمَ انْجَلَبَتْ إلَيْهِ الْمَصَالِحُ وَانْدَفَعَتْ عَنْهُ الْمَفَاسِدُ فَهُوَ الْغَرَضُ الْكُلِّيُّ فِي الْحَقِيقَةِ فَهَذِهِ قَاعِدَةُ الرِّيَاءِ الْمُبْطِلَةُ لِلْأَعْمَالِ الْمُحَرَّمَةُ بِالْإِجْمَاعِ "(٢)

أقسام الرياء وأحواله:

ذكر أهل العلم للرياء تقسيمات متعددة، وكل تقسيم له اعتبار معيّن؛ فقد ذكروا أن الرياء نوعان: رياء محض(ويسمى رياء الإخلاص) ورياء الشرك، وهكذا قسّموا الرياء باعتبار آخر إلى قسمين: القسم الأول: شرك أكبر والقسم الثاني شرك أصغر.

وسنذكر فيما يلي توضيحا وبيانًا لهذه التقسيمات والأنواع:

التقسيم الأول: الرياء نوعان: رياء محض ورياء الشرك:

الأول: الرياء المحض: وهو أن يعمل المرء العمل لا يريد به وجه الله أبدًا، بل يريد به الناس وحدهم، ويسمى هذا النوع أيضًا: الرياء الخالص، ورياء الإخلاص، أي: ما خلص للخلق(٣)

الثاني: رياء الشرك: وهو الذي يريد به المرء من عبادته الناس ورب الناس، أي يعمل العبادة ويقصد بها وجه الله وأن يعظّمه الناس. قال القرافي: "وهو أخفّهما، وهو محرم بالإجماع "(٤)

---

(١) الذخيرة للقرافي ١٣/ ٢٥١

(٢) الفروق للقرافي ٣/ ٢٢

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١/ ٤٦ ، وقواعد الأحكام للعز بن عبد السلام، ١/ ١٠٧ ، والفواكه الدواني، لأحمد النفراوي، ٢/ ٣٢٨، والفروق للقرافي، ٣/ ٢٢ نقلا عن " الإخلاص وحقيقته" لعبد الله بن عيسى

(٤) ينظر قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ١/ ١٠٧، وشرح الأربعين للنووي، ١٧، والفروق للقرافي ٣/ ٢٢، والذخيرة للقرافي ١٣/ ٢٥١ نقلا عن " الإخلاص وحقيقته" لعبد الله بن عيسى

التقسيم الثاني: الرياء نوعان: شرك أكبر وشرك أصغر:

لقد دلّت النصوص على أن الرياء نوعان: شرك أكبر وشرك أصغر، وقد ذكر أهل العلم أحوال الإخلاص والرياء في العبادة.وفيما يلي نذكر خلاصة محرّرة لأحوال الإخلاص والرياء في العبادة وبعدها:

خلاصة أحوال الإخلاص والرياء في العبادة وبعدها:

للعبادة أحوال بحسب الإخلاص والرياء، وذلك كما يلي:

١-أن يكون أصل العمل خالصًا لله، ويستمر الإخلاص حتى تنتهي العبادة: وهذا أعلى المراتب، وهذه العبادة صحيحة ومقبولة وثوابها عظيم بإجماع العلماء.

٢- أن يكون أصل العمل خالصًا لله، ويستمر الإخلاص حتى تنتهي العبادة، ولكن بعد الانتهاء منها يقع العبد في العجب أو الغرور بها، أو يحب تعظيم الناس له بسببها، ونحو ذلك من المقاصد السيئة: فالراجح- والله أعلم-أن العبادة صحيحة ولكنه يأثم على المقاصد والأعمال السيئة التي وقعت بعد العبادة.

٣- أن يكون أصل العمل لله ثمّ يطرأ عليه الرياء، ولكن لا يسترسل معه، بل يدافعه ويتوب ويجاهد نفسه على الإخلاص؛ فهذا لا يضرّه، والعبادة صحيحة بلا خلاف.

٤- أن يكون أصل العمل لله ثمّ يطرأ عليه الرياء، ويسترسل العبد معه ويقع في الرياء؛ فهذا يُثاب على قدر نيته لله في هذه العبادة، سواء كانت العبادة مما ينبني آخره على أوله أو مما ينفصل آخره عن أوله. هذا هو الراجح والله أعلم.

٥- أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ الْأَوَّلُ لِغَيْرِ اللَّهِ، ثُمَّ يَعْرِضُ لَهُ قَلْب النِّيَّةِ لِلَّهِ، فَهَذَا لَا يُحْتَسَبُ لَهُ بِمَا مَضَى مِنْ الْعَمَلِ، وَيُحْتَسَبُ لَهُ مِنْ حِينِ قَلْبِ نِيَّتِهِ؛ ثُمَّ إنْ كَانَتْ الْعِبَادَةُ لَا يَصِحُّ آخِرُهَا إلَّا بِصِحَّةِ أَوَّلِهَا وَجَبَتْ الْإِعَادَةُ، كَالصَّلَاةِ، وَإِلَّا لَمْ تَجِبْ كَمَنْ أَحْرَمَ لِغَيْرِ اللَّهِ ثُمَّ قَلَبَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ عِنْدَ الْوُقُوفِ بعرفة" قاله ابن القيم.

٦-إن يكون الرياء مقصوداً في العمل من أوله ويستمرّ معه إلى آخره فإنّ هذا عملٌ مردود، لا يقبله الله سبحانه وتعالى. فمن صلّى لله وهو يحب أن يُمدح وأن يُثنى عليه، واستمرّ معه الرياء إلى آخر صلاته؛ فهذا لا تُقبل منه صلاته. قاله الفوزان.

٧-أن يكون القصد لغير الله في جميع الأعمال، وذلك فيمن أظهر الإسلام وأبطن الكفر، فإسلامه وعباداته إنما هي مراءاة للناس، ولأجل أن يُعصم ماله ودمه. فهذا رياء المنافقين، وهو شركٌ أكبر ، وهذا لا يصدر من مؤمن.

كلام أهل العلم وتقريراتهم في أقسام الرياء وأحواله:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله:

"**الرياء على قسمين**[1] :القسم الأول: شركٌ أكبر وهو: إذا كان قصد الإنسان بجميع أعماله مراءاة النّاس، ولا يقصد وجه الله أبداً، وإنما يقصد العيش مع المسلمين، وحقن دمه، وحفظ ماله، فهذا رياء المنافقين، وهو شركٌ أكبر ، وهذا لا يصدر من مؤمن.

القسم الثاني: قد يصدر من مؤمن، ويكون في بعض الأعمال، وهو: أن يكون العمل فيه قصدٌ لله وفيه قصدٌ لغير الله.

وهذا هو الشرك الأصغر. **وهذا النوع من الرياء له ثلاثة حالات:**

الحالة الأولى: إن كان مقصوداً في العمل من أوله واستمرّ معه إلى آخره فإنّ هذا عملٌ مردود، لا يقبله الله سبحانه وتعالى. فمن صلّى لله وهو يحب أن يُمدح وأن يُثنى عليه، واستمرّ معه الرياء إلى آخر صلاته؛ فهذا لا تُقبل منه صلاته، بدليل الحديث الآتي.

الحالة الثانية: أن يكون أصل العمل لله ثمّ يطرأ عليه الرياء. فهذا إن تاب منه صاحبه في الحال ودفعه، وأخلص العمل لله؛ فإنه لا يضر صاحبه قولاً واحداً[2]، لأن أصل العمل لله وطرأ الرياء، ثمّ دفعه وأخلص العمل لله وعاد إلى الإخلاص، فهذا لا يضرُّه.

الحالة الثالثة: أن يطرأ في أثناء العمل ويستمر معه. فهذا موضع خلاف بين أهل العلم؛ منهم من قال: إنه يحبط العمل كالنوع الأول، ومنهم من قال: إنه يثاب على قدر نيّته لله في هذا العمل. ذكر هذا التفصيل الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين" انتهى[3]

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز الريس: "الرياء: يكون شركًا أكبر ويكون شركًا أصغر، ومن أدلة أنه يكون شركًا أصغر قوله صلى الله عليه وسلم:((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) فسئل عنه فقال: ((الرياء))، ومن الأدلة على أنه يكون شركًا أكبر قوله تعالى عن المنافقين:{يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا}" (قواعد ومسائل في توحيد الألوهية ص٤٣-٤٤)

(٢) نص كلام ابن رجب: " فَإِنْ كَانَ خَاطِرًا وَدَفَعَهُ، فَلَا يَضُرُّهُ بِغَيْرِ خِلَافٍ" جامع العلوم والحكم (١/ ٨٢-٨٣)

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، (٢/ ٩٠) وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٨١-٨٣)

وذكر نحو هذا التقسيم ابن عثيمين رحمه الله، وفصّل في الحالة الثالثة، فقال: " أن يسترسل معه؛ فكل عمل ينشأ عن الرياء، فهو باطل، ولكن هل هذا البطلان يمتد إلى جميع العبادة أم لا؟ نقول: لا يخلو هذا من حالين:

الحالة الأولى: أن يكون آخر العبادة مبنيا على أولها، بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها؛ فهذه كلها فاسدة، وذلك مثل الصلاة؛ فالصلاة مثلا لا يمكن أن يفسد آخرها ولا يفسد أولها، وحينئذ تبطل الصلاة كلها؛ إذا طرأ الرياء في أثنائها ولم يدافعه(١)

الحالة الثانية: أن يكون أول العبادة منفصلا عن آخرها، بحيث يصح أولها دون آخرها، فما سبق الرياء؛ فهو صحيح، وما كان بعده؛ فهو باطل. مثال ذلك: رجل عنده مئة ريال، فتصدق بخمسين بنية خالصة، ثم تصدق بخمسين بقصد الرياء؛ فالأولى مقبولة، والثانية غير مقبولة؛ لأن آخرها منفك عن أولها" اهـ (٢)

والراجح -والله أعلم-في هذه المسألة: أنه إذا طرأ الرياء في أثناء العبادة واسترسل معه، وكان آخرها مبنيًا على أولها كالصلاة ونحوها أن العبادة صحيحة وليست باطلة، وبثاب العبد على قدر نيّته لله في هذا العمل، وهذا قول الحسن البصري ورجحه الإمام أحمد وابن جرير وابن القيم والسعدي والبراك وصالح آل الشيخ وغيرهم. والله أعلم.

قال ابن رجب: "وَإِنِ اسْتَرْسَلَ مَعَهُ، فَهَلْ يُحْبَطُ بِهِ عَمَلُهُ أَمْ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ وَيُجَازَى عَلَى أَصْلِ نِيَّتِهِ؟ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ قَدْ حَكَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، وَرَجَّحَا أَنَّ عَمَلَهُ لَا يَبْطُلُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ يُجَازَى بِنِيَّتِهِ الْأُولَى وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ"(٣)

وقد علّق أصحاب (الموسوعة العقدية-الدرر السنية ٣٨٦/٦) على كلام ابن رجب هذا بقولهم "الخلاف والله أعلم في قبول العمل أو بطلانه، وليس في النقصان والخلل الحاصل بسبب الاسترسال في الرياء".اهـ

---

(١) واختار هذا أيضًا الشيخ الغنيمان حيث قال: "إذا استرسل معه، أي: استدعاه واستمر معه في عمله، فهذا يبطل العمل بلا شك؛ لأن الأحاديث جاءت فيه صريحة عن النبي صلى الله عليه وسلم" [شرح فتح المجيد للغنيمان ١٢/٢٠ الشاملة]

(٢) القول المفيد لابن عثيمين (١/١١٧-١١٩)

(٣) جامع العلوم والحكم (١/٨٣).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء"(١).اهـ

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: "إذا عرض الرياء له في أثناء العبادة، فيكون ما زاده لأجل الرؤية باطلا، كما قال – عليه الصلاة والسلام –: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم" (٢) اهـ وكلام الشيخ صالح هنا فيه بيان للحديث، ويُفهم منه تحرير محل النزاع، أي أن الخلاف في بطلان العبادة كلها، هل تبطل أم لا؟ وأما جزء العبادة الذي وقع فيه الرياء فإنه يبطل لقوله سبحانه كما في الحديث القدسي: ((تركته وشركه)). وبهذا التقرير نجمع بين هذا الحديث القدسي وبين كلام العلماء كأحمد وابن جرير وغيرهم. وهذا التقرير يدل عليه كلام السعدي وأصحاب الموسوعة العقدية الذي ذكرناه سابقًا. والله أعلم.

ثم وجدت كلامًا للشيخ عبد العزيز الريس يوافق ما ذكرناه، حيث قال: "والصحيح في هذه المسألة –والله أعلم– ما رجحه أحمد وابن جرير أن عمله لا يبطل وأنه يُجازى بنيته الأولى قال تعالى:﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره﴾ أما ما راءى فيه فإنه مردود لقوله تعالى في الحديث القدسي "تركته وشركه" أي: العمل الذي عمله مشركًا فيه دون الباقي الذي لم يحصل فيه شرك. فإن قيل: هل تجب الإعادة؟ فيقال: الإعادة غير مشروعة إذ لادليل عليها، والأصل أنه دخل الصلاة دخولًا صحيحًا فلا ينتقل عنها إلا بدليل. وإلى عدم الإعادة ذهب شيخي الفاضل عبد الرحمن البراك حفظه الله" اهـ (٣)

إذًا فالشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله يختار: أن العبادة لا تبطل إذا استرسل صاحبها.

وممن قال أن العمل لا يبطل وأنه يُجازى بنيته الأولى: الحسن البصري والإمام أحمد وابن جرير وابن القيم والسعدي(٤)، وهذا هو الراجح في هذه المسألة. والله أعلم.

---

(١) (القول السديد ص١٤٧)

(٢) (التمهيد، ١/٥٣)

(٣) (قواعد ومسائل في توحيد الألوهية ص١٤-١٥)

(٤) انظر الإخلاص حقيقته ونواقضه، عبد الله بن عيسى الأحمدي، ص٣٢٨

وقد ذكر القولين الشيخ عبد العزيز الراجحي [١]، ذكر الخلاف ولم يرجّح، لكنه قال في بعض دروسه[٢]: " وإن استرسل فهو على خطر من حبوط العمل ".اهـ

والحاصل أن المسألة خطيرة فالواجب علينا الحذر من الرياء، وقد قال عبدة بن أبي لبابة رحمه الله: "أقرب الناس إلى الرياء آمنهم له"[٣]. والله المستعان.

إذا وقع الرياء بعد الانتهاء من العبادة، فهل يؤثر في العبادة؟

فيه خلاف، والأظهر أنه لا يبطلها؛ فالعبادة تمت صحيحة، والرياء لا يكون إلا مقارنًا للعبادة لا بعدها.

قال ابن القيم رحمه الله: "وفي الرياء اللاحق بعد العمل خلاف"[٤]واختار في موطن أنه لا يبطل، قال رحمه الله: " الرياء لا يكون إلا مقارناً للعمل، لأنه "فعال" من الرؤية التى صاحبها يعمل ليرى الناس عمله فلا يكون متراخياً، وهذا خلاف المن والأذى فإنه يكون مقارناً ومتراخياً، وتراخيه أكثر من مقارنته"[٥]

وقال ابن الجوزي رحمه الله- كما نقله عنه ابن مفلح رحمه الله-: "وَوُجُودُ الرِّيَاءِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ الْعِبَادَةِ لَا يُحْبِطُهَا لِأَنَّهُ قَدْ تَمَّ عَلَى نَعْتِ الْإِخْلَاصِ فَلَا يَنْعَطِفُ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ بَعْدَهُ" اهـ[٦]

وممن قال بأن العمل لا يبطل إذا ورد الرياء بعد الفراغ منه: ابن قدامة [٧] والغزالي وابن جزي[٨]

---

(١) كما في "شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية [١]، الأسئلة، ١٣/ ١٥ الشاملة] وغيره من دروسه

(٢) كما "فتاوى منوعة [١]،٣/٦٧، الشاملة)

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٢٢٩)

(٤) بدائع الفوائد ٣/٢٥٥

(٥) طريق الهجرتين، ص٣٦٨

(٦) الآداب الشرعية لابن مفلح، ١/١٣٢

(٧) كما في منهاج القاصدين

(٨) انظر " الإخلاص وحقيقته" لعبد الله بن عيسى، ص٣٣٠

حكم تحدثه بالعمل بعد الفراغ منه مراءاة وسمعة؟

قال الغزالي رحمه الله: " الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها"(١)

الْفَرْقُ بَيْنَ الرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ نفاق أَكْبَرُ وَبَيْنَ الرِّيَاءِ الذي هو شرك أصغر:

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: "وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ وَبَيْنَ الرِّيَاءِ الَّذِي سَمَّاهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شِرْكًا أَصْغَرَ خَفِيًّا هُوَ حَدِيثُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"، فَالنِّيَّةُ هِيَ الْفَرْقُ فِي الْعَمَلِ فِي تَعْيِينِهِ وَفِيمَا يُرَادُ بِهِ، وَقَدْ أُطْلِقَتِ النِّيَّةُ فِي الْقُرْآنِ بِلَفْظِ الِابْتِغَاءِ وَبِلَفْظِ الْإِرَادَةِ، فَإِنْ كَانَ الْبَاعِثُ على الْعَمَلِ هُوَ إِرَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَذَلِكَ النِّفَاقُ الْأَكْبَرُ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَنْ يُرِيدُ بِهِ جَاهًا وَرِئَاسَةً وَطَلَبَ دُنْيَا، وَمَنْ يُرِيدُ حَقْنَ دَمِهِ وَعِصْمَةَ مَالِهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَهَذَانَ ضِدَّانِ يُنَافِي أَحَدُهُمَا الْآخَرَ لَا مَحَالَةَ...

وَإِنْ كَانَ الْبَاعِثُ عَلَى الْعَمَلِ هُوَ إِرَادَةُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَالدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَكِنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الرِّيَاءُ فِي تَزْيِينِهِ وَتَحْسِينِهِ، فَذَلِكَ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ وَفَسَّرَهُ بِالرِّيَاءِ الْعَمَلِيِّ، وَزَادَهُ إِيضَاحًا بِقَوْلِهِ: "يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ"، وَهَذَا لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَكِنَّهُ يُنْقِصُ مِنَ الْعَمَلِ بِقَدْرِهِ، وَقَدْ يَغْلِبُ عَلَى الْعَمَلِ فَيُحْبِطُهُ كُلَّهُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَعْمَالَنَا كُلَّهَا صَالِحَةً وَاجْعَلْهَا لِوَجْهِكَ خَالِصَةً وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهَا شَيْئًا"(٢)

قال الشيخ عبد العزيز الريس:

"الرياء: يكون شركًا أكبر ويكون شركًا أصغر، ومن أدلة أنه يكون شركًا أصغر قوله صلى الله عليه وسلم:((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) فسئل عنه فقال: ((الرياء))، ومن الأدلة على أنه يكون شركًا أكبر قوله تعالى عن المنافقين:﴿يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا﴾، **فما ضابط الشرك الأكبر**

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/ ٣٩٤ وهذا الكتاب فيه مزالق وهنات كما نبّه على ذلك العلماء، وإن كان فيما يتعلق بأبواب الرياء ونحوه من أحسن من تكلم فيها والله أعلم

(٢) معارج القبول ٢/ ٤٩٣

والأصغر: -وذكر أقوالًا-ثم قال: والراجح أنه لا يكون الرياء كفرًا أكبر إلا بالرياء عند دخوله الدين، فيكون أكبر إذا كان مرائيًا في نطقه بالشهادتين التي تدخله في الدين"(١)

من دقائق الرياء وخفاياه:

قال عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف(٢): "وسأورد لك – أخي القارئ – بعضاً من دقائق الرياء وخفاياه ، وإلا فالحديث عن الرياء طويل جداً ، وحسبنا في هذا المقام أن نورد ثلاثة من تلك المسالك الدقيقة للرياء على النحو التالي :

أما أولها : فما ذكره أبو حامد الغزالي رحمه الله حيث قال -أثناء ذكره للرياء الخفي- : " وأخفى من ذلك أن يختفي (العامل بطاعته) بحيث لا يريد الاطلاع ، ولا يُسرّ بظهور طاعته ، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحبّ أن يبدءوه بالسلام ، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه ، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه ، وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان ، فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ، ووجد لذلك استبعاداً في نفسه ، كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يُطلع عليه ، ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ، ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ، ولم يكن خالياً عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل ، وكلُ ذلك يوشك أن يحبط الأجر ، ولا يسلم منه إلا الصّدّيقون " أ . هـ (٣)

وأما ثانيها : فهو أن يجعل الإخلاص لله وسيلة لا غاية وقصداً لأحد المطالب الدنيوية .

وقد نبّه شيخ الإسلام على تلك الآفة الخفية فكان مما قال : رحمه الله : " حُكي أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، قال : فأخلصت أربعين يوماً لم يتفجر شيء ، فذكرت ذلك لبعض العارفين ، فقال لي : إنما أخلصت للحكمة ، ولم تخلص لله تعالى "

---

(١) (قواعد ومسائل في توحيد الألوهية ص٤٣-٤٤)

(٢) كما في رسالته " الإخلاص والشرك الأصغر "

(٣) (الإحياء ٣/٣٠٥، ٣٠٦)

ثم قال ابن تيمية : " وذلك لأن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة ، أو نيل المكاشفات والتأثيرات ، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم إياه ، أو غير ذلك من المطالب ، وقد عرف أن ذلك يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه ، فإذا قصد أن يطالب ذلك بإخلاص لله وإرادة وجهه كان متناقضاً ؛ لأن من أراد شيئاً لغيره فالثاني هو المراد المقصود لذاته ، والأول يراد لكون وسيلة إليه ، فإذا قصد أن يخلص لله ليصير عالماً أو عارفاً أو ذا حكمة ، أو صاحب مكاشفات ، وتصرفات ونحو ذلك ، فهو هنا لم يرد الله ؛ بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى "(١)

ولذا يقول الشاطبي رحمه الله : " إن الفاعل للسبب عالماً بأن المسبب ليس إليه ، إذا وكله إلى فاعله وصرف نظره عنه كان أقرب إلى الإخلاص ، فالمكلفُ إذا لبّى الأمر والنهي في السبب من غير نظر إلى ما سوى الأمر والنهي ، خارج عن حظوظه ، قائم بحقوق ربه ، واقف موقف العبودية ، بخلاف ما إذا التفت إلى المسبب وراعاه ، فإنه عند الالتفات إليه متوجهٌ شطره ، فصار توجهُهُ إلى ربه بالسبب ، بواسطة التوجه إلى المسبب، ولا شكّ في تفاوت ما بين الرتبتين في الإخلاص "(٢) ولما ذكر الشاطبي حكاية : " من أخلص لله أربعين يوماً " قال رحمه الله : " وهذا واقعٌ كثيراً في ملاحظة المسببات (النتائج ، والعواقب) في الأسباب ، وربما غطّت ملاحظاتها فحالت بين المتسبب وبين مراعاة الأسباب ، وبذلك يصير العابد مستكثراً لعبادته ، والعالم مغتراً بعلمه إلى غير ذلك "(٣)

ومن دقائق الرياء – وهو ثالثها – ما أشار إليه ابن رجب رحمه الله بقوله : " وهنا نكتة دقيقة ، وهي أن الإنسان قد يذمُّ نفسه بين الناس ، يريد بذلك أن يرى الناس أنه متواضع عند نفسه ؛ فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به ، وهذا من دقائق أبواب الريا ، وقد نبه عليه السلف الصالح ، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير ، كفى بالنفس إطراءً أن تذمها على الملأ كأنك تريد بذمها زينتها ، وذلك عند الله سَفَهٌ "(٤)اهـ.

---

(١) (درء تعارض العقل والنقل ٦/٦٦، ٦٧)

(٢) (الموافقات ١/ ٢١٩- ٢٢٠)

(٣) (الموافقات ١/ ٢٢٠)

(٤) (شرح حديث : ما ذئبان جائعان ، ص ٤٦)

إِذَا سُرَّ الْإِنْسَانُ بِمَعْرِفَةِ طَاعَتِهِ هَلْ هُوَ مَذْمُومٌ؟

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمه الله – كما نقله عنه ابن مفلح رحمه الله–: "إِنْ كَانَ قَصْدُهُ إِخْفَاءَ الطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاصَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنَّهُ لَمَّا أَطْلَعَ عَلَيْهِ الْخَلْقَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَطْلَعَهُمْ وَأَظْهَرَ الْجَمِيلَ مِنْ أَحْوَالِهِ فَسُرَّ بِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَظَرِهِ لَهُ وَلُطْفِهِ بِهِ حَيْثُ كَانَ يَسْتُرُ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ فَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الطَّاعَةَ وَسَتَرَ الْمَعْصِيَةَ فَيَكُونُ فَرَحُهُ بِذَلِكَ لَا بِحَمْدِ النَّاسِ وَقِيَامِ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، أَوْ يَسْتَدِلُّ بِإِظْهَارِ اللَّهِ الْجَمِيلَ وَسَتْرِ الْقَبِيحَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ كَذَلِكَ يَفْعَلُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ. فَأَمَّا إِنْ كَانَ فَرَحُهُ بِإِطْلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ لِقِيَامِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُمْ حَتَّى يَمْدَحُوهُ وَيُعَظِّمُوهُ وَيَقْضُوا حَوَائِجَهُ فَهَذَا مَكْرُوهٌ مَذْمُومٌ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قِيلَ «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» فَأَمَّا إِذَا أَعْجَبَهُ لِيَعْلَمَ النَّاسُ مِنْهُ الْخَيْرَ وَيُكْرِمُونَهُ عَلَيْهِ فَهَذَا رِيَاءٌ"(١)

إذا وقع الرياء في الفرائض فهل يلزمه إعادة الفرائض التي راءى بها:

أما المنافق الذي كان يرائي ثم تاب وأسلم ظاهرًا وباطنًا، وكذلك من كثر الرياء في عباداته فهذان لا يلزمهما الإعادة، وإنما عليهما التوبة النصوح؛ لأن في إلزامهما بالإعادة تنفيرًا عن التوبة والاستقامة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فَالْمُنَافِقُ كَافِرٌ فِي الْبَاطِنِ، فَإِذَا آمَنَ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا قَدْ سَلَفَ، فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، كَمَا لَا يَجِبُ عَلَى الْكَافِرِ الْمُعْلِنِ إِذَا أَسْلَمَ. وَأَمَّا ثَوَابُهُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مَعَ التَّوْبَةِ: فَيُشْبِهُ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ صَالِحًا فِي كُفْرِهِ، ثُمَّ أَسْلَمَ هَلْ يُثَابُ عَلَيْهِ؟ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ. أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ: ﴿أَسْلَمْت عَلَى مَا سَلَفَ لَك مِنْ خَيْرٍ﴾ . وَأَمَّا الْمُرَائِي إِذَا تَابَ مِنْ الرِّيَاءِ مَعَ كَوْنِهِ كَانَ يَعْتَقِدُ الْوُجُوبَ، فَهُوَ شَبِيهٌ بِالْمَسْأَلَةِ الَّتِي نَتَكَلَّمُ فِيهَا، وَهِيَ مَسْأَلَةُ مَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ أَدَاءَ الْوَاجِبِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فِي الْبَاطِنِ، فَفِي إيجَابِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ تَنْفِيرٌ عَظِيمٌ عَنْ التَّوْبَةِ. فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَعِيشُ مُدَّةً طَوِيلَةً يُصَلِّي وَلَا يُزَكِّي، وَقَدْ لَا يَصُومُ أَيْضًا، وَلَا يُبَالِي مِنْ أَيْنَ كَسَبَ الْمَالَ: أَمِنْ حَلَالٍ؟ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟ وَلَا يَضْبِطُ حُدُودَ النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ فِي جَاهِلِيَّةٍ، إلَّا أَنَّهُ مُنْتَسِبٌ إلَى الْإِسْلَامِ، فَإِذَا هَدَاهُ اللَّهُ وَتَابَ

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح، ١/١٣٢

عَلَيْهِ. فَإِنْ أَوْجَبَ عَلَيْهِ قَضَاءَ جَمِيعِ مَا تَرَكَهُ مِنْ الْوَاجِبَاتِ، وَأَمَرَ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا اكْتَسَبَهُ مِنْ الْأَمْوَالِ، وَالْخُرُوجِ عَمَّا يُحِبُّهُ مِنْ الْإِبْضَاعِ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ صَارَتْ التَّوْبَةُ فِي حَقِّهِ عَذَابًا، وَكَانَ الْكُفْرُ حِينَئِذٍ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْلَامِ"(١)

وأما من وقع منه الرياء في بعض الأعمال فقد تقدم التفصيل في هذه المسألة، وأن من طرأ عليه الرياء في أثناء العبادة ولو استرسل أن الراجح -والله أعلم-أنها لا تبطل؛ فلا تلزمه الإعادة بخلاف من يكون معه الرياء من أول العبادة فهذا تبطل عباداته ويلزمه حينئذ أن يعيد تلك العبادة.

قال القرطبي رحمه الله: "قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَإِنَّمَا الرِّيَاءُ الْمُعْصِيَةُ أَنْ يُظْهِرَ الصلاة صَيْدًا لِلنَّاسِ وَطَرِيقًا إلَى الْأَكْلِ، فَهَذِهِ نِيَّةٌ لَا تُجْزِئُ وَعَلَيْهِ الْإِعَادَةُ"(٢)

وقال ابن القيم رحمه الله: " أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ الْأَوَّلُ لِغَيْرِ اللَّهِ، ثُمَّ يَعْرِضُ لَهُ قَلْب النِّيَّةِ لِلَّهِ، فَهَذَا لَا يُحْتَسَبُ لَهُ بِمَا مَضَى- مِنْ الْعَمَلِ، وَيُحْتَسَبُ لَهُ مِنْ حِينِ قَلْبِ نِيَّتِهِ؛ ثُمَّ إنْ كَانَتْ الْعِبَادَةُ لَا يَصِحُّ آخِرُهَا إلَّا بِصِحَّةِ أَوَّلِهَا وَجَبَتْ الْإِعَادَةُ، كَالصَّلَاةِ، وَإِلَّا لَمْ تَجِبْ كَمَنْ أَحْرَمَ لِغَيْرِ اللَّهِ ثُمَّ قَلَبَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ عِنْدَ الْوُقُوفِ وَالطَّوَافِ"(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢١-٢٢)

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٣)

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٢٤)

أمور لا تدخل في الرياء:

هناك أمور لا تدخل في الرياء، منها:

١-إظهار العبادة لأجل أن يقتدي به الناس، وخاصّة إذا كان الشخص قدوة.

٢-فرح الإنسان بطاعته؛ لأن ذلك دليل إيمانه، قال صلى الله عليه وسلم: "من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن"(١)

٣-فرحه بثناء الناس عليه، لقوله صلى الله عليه وسلم: "تلك عاجل بشرى المؤمن"(٢) ولكن هذا يقيد بأن يكون فرحه بالقبول لما يرجو من الثواب، وأما فرحه لترتفع منزلته ويعظمه الناس فهذا مذموم.(٣)

النشاط على فعل الخير مع الصالحين ليس من الرياء:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "نشاطك إذا كنت مع أهل الخير ، وفتورك إذا كنت وحدك ، هذا لا يدل على الرياء؛ وإنما هذا يدل على طبيعة النفس البشرية، ويدل على استحباب مخالطة أهل الخير لأنهم يُنشّطون على فعل الخير...فإذا كان قصدك بذلك أن يثنوا عليك ويمدحوك فهذا هو الرياء، وأما إذا كان قصدك لوجه الله عز وجل، وإنما تنشط إذا كنت مع المصلين والذاكرين ومع المتعبدين فهذا شيء طيب، وهذا من القدوة الحسنة"(٤)

---

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني

(٢) رواه مسلم

(٣) انظر الشرك الأصغر وخطورته والتحذير منه، د.مديحة السدحان ص٣١

(٤) (المنتقى من فتاوى صالح الفوزان ١/١٤٨)

وقد ذكر صاحب (مختصر منهاج القاصدين) شيئًا يتميّز به الإخلاص عن الرياء في هذه المواضع فقال: " قد يبيت الرجل مع المجتهدين ، فيصلون أكثر الليل ، وعادته قيام ساعة ، فيوافقهم ، أو يصومون فيصوم ، ولولا هم ما انبعث هذا النشاط؛ فربما ظن ظانٌ أن هذا رياء ، وليس كذلك على الإطلاق ، بل فيه تفصيل ، وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى ، ولكن تعوقه العوائق ، وتستهويه الغفلة ، فربما كانت مشاهدة الغير سبباً لزوال الغفلة واندفاع العوائق ، فإن الإنسان إذا كان في منزله تمكّن من النوم على فراشٍ وطي وتمتع بزوجته ، فإذا بات في مكان غريب ، اندفعت هذه الشواغل ، وحصلت له أسباب تبعث على الخير ،منها مشاهدة العابدين ؛ فقد يصده الشيطان قائلاً : إذا عملت غير عادتك كنت مرائياً ، فلا ينبغي أن يلتفت إليه ، وإنما ينبغي أن ينظر إلى قصده الباطن ، ولا يلتفت إلى وسواس الشيطان .

ويختبر أمره بأن يُمثّل القوم في مكان يراهم ولا يرونه ، فإن رأى نفسه تسخو بالتعبد فهو لله ، وإن لم تسخُ كان سخاؤها عندهم رياءً ، وقس على هذا "(١)

من كان له عبادة فلا يتركها لكونه بين الناس:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَمَنْ كَانَ لَهُ وِرْدٌ مَشْرُوعٌ مِنْ صَلَاةِ الضُّحَى أَوْ قِيَامِ لَيْلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُصَلِّيهِ حَيْثُ كَانَ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَدَعَ وِرْدَهُ الْمَشْرُوعَ لِأَجْلِ كَوْنِهِ بَيْنَ النَّاسِ إذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ سِرًّا لِلَّهِ مَعَ اجْتِهَادِهِ فِي سَلَامَتِهِ مِنْ الرِّيَاءِ وَمُفْسِدَاتِ الْإِخْلَاصِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْفُضَيْل بْنُ عِيَاضٍ: تَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ وَالْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ"(٢)

ترك العمل خوفًا من الرياء:

قال ابن مفلح رحمه الله: "فَصْلٌ لَا يَنْبَغِي تَرْكُ الْعَمَلِ الْمَشْرُوعِ خَوْفَ الرِّيَاءِ: قال ابْنِ الْجَوْزِيِّ: فَأَمَّا تَرْكُ الطَّاعَاتِ خَوْفًا مِنْ الرِّيَاءِ فَإِنْ كَانَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ غَيْرَ الدِّينِ فَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ؛ لِأَنَّهُ مَعْصِيَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ الدِّينَ وَكَانَ ذَلِكَ لِأَجْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُخْلِصًا فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتْرُكَ

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/١٧٤)

الْعَمَلَ؛ لِأَنَّ الْبَاعِثَ الدِّينُ، وَكَذَلِكَ إذَا تَرَكَ الْعَمَلَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُقَالَ: مُرَاءٍ، فَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ.

قَالَ إبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: إذَا أَتَاك الشَّيْطَانُ وَأَنْتَ فِي صَلَاةٍ، فَقَالَ: إنَّك مُرَاءٍ فَزِدْهَا طُولًا. وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ تَرَكَ الْعِبَادَةَ خَوْفًا مِنْ الرِّيَاءِ، فَيُحْمَلُ هَذَا عَلَى أَنَّهُمْ أَحَسُّوا مِنْ نُفُوسِهِمْ بِنَوْعِ تَزَيُّنٍ فَقَطَعُوا. وَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمِنْ هَذَا قَوْلِ الْأَعْمَشِ كُنْتُ عِنْدَ إبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ فَغَطَّى الْمُصْحَفَ، وَقَالَ: لَا يَظُنُّ أَنِّي أَقْرَأُ فِيهِ كُلَّ سَاعَةٍ"(١)

قال القرافي رحمه الله: "وَمَتَى عَرَضَ الرِّيَاءُ فِي الْعِبَادَةِ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهَا أَمر بِدفع الرياء وَعَمَلِ الْعِبَادَةِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ، وَلَصِقَ الرِّيَاءُ بِصَدْرِهِ، فَإِنْ كَانَتِ الْقُرْبَةُ مَنْدُوبَةً تَعَيَّنَ التَّرْكُ لِتَقَدُّمِ الْحَرَّمِ عَلَى الْمَنْدُوبِ، أَوْ وَاجِبَةً أُمِرَ بِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ؛ إذْ لَا سَبِيلَ لِتَرْكِ الْوَاجِبِ"(٢)

(ترك العمل لأجل الناس رياء) ليس على إطلاقه:

جاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" -في شرح وتوضيح قول الفضيل رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجلهم شرك- ما يلي :

"أما قوله: (إن العمل من أجل الناس شرك) فهو صحيح؛ لأن الأدلة من الكتاب والسنة تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وتحريم الرياء، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم: الشرك الأصغر.

وأما قوله: (إن ترك العمل من أجل الناس رياء) فليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل، والمعول في ذلك على النية؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى » مع العناية بتحري موافقة الشريعة في جميع الأعمال ... فإذا وقع للإنسان حالة ترك فيها العمل الذي لا يجب عليه؛ لئلا يظن به ما يضره فليس هذا من الرياء، بل هو من السياسة الشرعية، وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشى الفتنة به، أما الواجب فليس له أن يتركه إلا لعذر شرعي " (٣)

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح، ٢٦٦/١

(٢) الذخيرة للقرافي ٢٥١/١٣

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٧٦٨/١،٧٦٩)

لا يُنهى عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وَمَنْ نَهَى عَنْ أَمْرٍ مَشْرُوعٍ بِمُجَرَّدِ زَعْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ رِيَاءٌ فَنَهْيُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْأَعْمَالَ الْمَشْرُوعَةَ لَا يُنْهَى عَنْهَا خَوْفًا مِنْ الرِّيَاءِ بَلْ يُؤْمَرُ بِهَا وَبِالْإِخْلَاصِ فِيهَا .

الثَّانِي: لِأَنَّ الْإِنْكَارَ إنَّمَا يَقَعُ عَلَى مَا أَنْكَرَتْهُ الشَّرِيعَةُ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إنِّي لَمْ أومر أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَنْ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ؟﴾

الثَّالِثُ: أَنَّ تَسْوِيغَ مِثْلِ هَذَا يُفْضِي إلَى أَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالْفَسَادِ يُنْكِرُونَ عَلَى أَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ إذَا رَأَوْا مَنْ يُظْهِرُ أَمْرًا مَشْرُوعًا مَسْنُونًا قَالُوا: هَذَا مِرَاءٌ فَيَتْرُكُ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ إظْهَارَ الْأُمُورِ الْمَشْرُوعَةِ حَذَرًا مِنْ لَمْزِهِمْ وَذَمِّهِمْ فَيَتَعَطَّلُ الْخَيْرُ وَيَبْقَى لِأَهْلِ الشِّرْكِ شَوْكَةٌ يُظْهِرُونَ الشَّرَّ وَلَا أَحَدَ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَفَاسِدِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ مِثْلَ هَذَا مِنْ شَعَائِرِ الْمُنَافِقِينَ وَهُوَ الطعن عَلَى مَنْ يُظْهِرُ الْأَعْمَالَ الْمَشْرُوعَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ "(١).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٧٤-١٧٥) باختصار

حالات ثناء المرء على نفسه أربع:

قال الشيخان ابن عثيمين والفوزان: " أحوال ثناء المرء على نفسه أربع:

الحال الأولى: أن يريد بذلك التحدث بنعمة الله عليه فيما حباه به من الإيمان والثبات.

الحال الثانية: أن يريد بذلك تنشيط أمثاله ونظرائه على مثل ما كان عليه.

فهاتان الحالان محمودتان لما تشتملان عليه من هذه النية الطيبة.

الحال الثالثة: أن يريد بذلك الفخر والتباهي والإدلال على الله – عز وجل – بما هو عليه من الإيمان والثبات وهذا غير جائز لقوله تعالى:﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ الآية.

الحال الرابعة: أن يريد بذلك مجرد الخبر عن نفسه بما هو عليه من الإيمان والثبات فهذا جائز ولكن الأولى تركه"(١)

ينبغي التفقه في هذا الباب ومعرفة أنواع الرياء لأجل الحذر منها:

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما يلي:

س ٢ : كيف يمكن التخلص من الرياء والسمعة، وما هي الأدعية الواردة في ذلك، وكيف يمكن معرفة أن هذا العمل يقصد به الرياء؟

ج ٢ : جاهد نفسك في الإخلاص لله تعالى، والبعد عن الرياء واستعن بالله في هذا، واحرص على التعرف على الرياء وأنواعه والحذر منها، وتأمل في عاقبة الرياء في الدنيا والآخرة، فإن من تأمل ذلك كره إليه الرياء؛ لأن رياءه لن يجلب له نفع الناس، ولن يدفع عنه ضررهم، بل يجلب عليه سخط الله تعالى وغضبه ومقته، فيخسر بذلك الدنيا والآخرة، وفي (الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به » ومما يعين على الخلاص من هذا الداء: سؤال الله تعالى العافية، والتعوذ منه، والتذكر أنه من أعمال المنافقين المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقد ورد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – خاطب أصحابه قائلا: «أيها الناس اتقوا الشرك، فإنه أخفى من دبيب

---

(١) (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣/٩٧) و(المنتقى من فتاوى صالح الفوزان ١/٤٢٧)

النمل قالوا: وكيف نتقيه يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللّهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه » رواه أحمد والطبراني عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

بكر أبو زيد .. عبد العزيز آل الشيخ .. صالح الفوزان ..عبد الله بن غديان .. عبد العزيز بن باز(١)

سبب الخوف من الرياء أكثر من الدجال:

قوله صلى الله عليه وسلم: " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله؛ قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل " أي: أشد خوف خافه صلى الله عليه وسلم على أصحابه أكثر مما خافه عليهم من فتنة المسيح الدجال؛ لخفائه وقوة الداعي إليه، وعسر التخلص منه، لما يزينه الشيطان والنفس الأمارة في قلب صاحبه" قاله ابن قاسم في حاشيته(٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، فسئل عنه، فقال: "الرياء": هذا الحديث فيه الخوف من الشرك، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خافه على سادات المهاجرين والأنصار، وعلى أفضل هذه الأمة، فكيف بمن دونهم، وإذا كان هذا في الشرك الأصغر الذي لا يُخرج من الملّة فكيف بالشرك الأكبر- والعياذ بالله-" قاله الفوزان(٣).

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٦٠ ، المجموعة الثانية

(٢) (حاشية كتاب التوحيد، ص٢٦٧)

(٣) (إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/ ٩٧)

علاج الرياء والسمعة وأسباب الوقاية والسلامة منهما:

ينبغي للمسلم البعد عن الرياء والسمعة والحذر من الوقوع فيهما، وسنذكر هنا علاجهما وأسباب السلامة منهما.

"فمن أهمها:

١- تقوية الإيمان في القلب، ليعظم رجاء العبد لربه، ويعرض عمن سواه، ولأن قوة الإيمان في القلب من أعظم الأسباب التي يعصم الله بها العبد من وساوس الشيطان، ومن الانقياد لشهوات النفس.

٢- التزود من العلم الشرعي، وبالأخص علم العقيدة الإسلامية، ليكون ذلك حرزاً له بإذن الله من فتن الشبهات، وليعرف عظمة ربه جل وعلا، وضعف المخلوقين وفقرهم، فيحمله ذلك كله على مقت الرياء واحتقاره والبعد عنه، وليعرف أيضاً مداخل الشيطان ووساوسه، فيحذرها.

٣- الإكثار من الالتجاء إلى الله تعالى ودعائه أنه يعيذه من شر نفسه ومن شرور الشيطان ووساوسه(١)، وأن يرزقه الإخلاص فيما يأتي وما يذر، والإكثار من الأذكار الشرعية التي هي حصن من شرور النفس والشيطان.

٤- تذكر العقوبات الأخروية العظيمة التي تحصل للمرائي، ومن أعظمها أنه من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

٥- التفكُّر في حقارة المرائي وأنه من السفهاء والسَّفَلة؛ لأنه يضيع ثواب عمله الذي هو سبب لفوزه بالجنة ونجاته من عذاب القبر وشدة القيامة وعذاب النار من أجل مدح الناس والحصول على منزلة عند المخلوقين، فهو يبحث عن رضا المخلوق بمعصية الخالق.

---

(١) ومن أعظم الأدعية في ذلك ما جاء عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ ". قَالَ: "قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ"رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني. وجاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول: اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم تقولها ثلاث مرات» وصححه الألباني

٦- الحرص على كل ما هو سبب في البعد عن الرياء، وذلك بالحرص على إخفاء العبادات المستحبة، وبمدافعة الرياء عندما يخطر بالقلب، وبالبعد عن مجالسة المدّاحين وأهل الرياء، ونحو ذلك"(١)

٧- الحياء من الله. فالحياء يبعث على الإخلاص لله سبحانه وتعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم "الحياء لا يأتي الا بخير". متفق عليه.

٨- مجاهدة النفس: قال تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾

٩- محاسبة النفس: قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾، قال ابن القيم: "والمقصود ذكر علاج مرض القلب لاستيلاء النفس الأمارة عليه، وله علاجان، محاسبتها، ومخالفتها، وهلاك القلب من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها"(٢)

وأخرج اللألكائي في شرح اعتقاد أهل السنة رقم (٨٩٥) عن عبد الله بن المبارك أنه سئل عن قول الله عز وجل ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ﴾ [الكهف :١١٠] قال عبد الله: "من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملا صالحا ولا يخبر به أحدًا".

١٠- الإخلاص في الأعمال: فقد جاء عن أبي عبدالله محمد بن أحمد بن سالم البصري أنه قال:" تزال عن القلب ظلم الرياء بالإخلاص"(٣)

١١- التعرف على أنواع الرياء: جاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" في جواب من سأل: كيف يمكن التخلص من الرياء والسمعة ؟ جاء الجواب ومنه: "واحرص على التعرف على الرياء وأنواعه والحذر منها"(٤)

---

(١) هذه الستة منقولة من كتاب: (تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ص٣٧٠) وفي حاشيته: ينظر الرعاية ص٢٣٣-٢٤٢، مختصر منهاج القاصدين ص٢٨٣-٢٨٥، الزواجر "الكبيرة الثانية ٤٩/١، ٥٠"، مقاصد المكلفين للأشقر ص٤٦٥-٤٧٣، "نور الإخلاص"لسعيد بن علي القحطاني ص٢٠-٣٠، الإخلاص لحسين العوايشة ص٤١-٥٦، الإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز بن عبد اللطيف ص١٠-١٢، الشرك الأصغر لعبد الله السليم ص٩٥-٩٩.

(٢) إغاثة اللهفان (٧٨/١)

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٧٠/١٠)

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (٣٦٠/١) المجموعة الثانية

١٢-الخوف من الرياء وعدم الأمن من الوقوع فيه: فعن عبدة بن أبي لبابة قال " أقرب الناس إلى الرياء آمنهم منه"(١).

١٣-معرفة عاقبة الرياء في الدنيا: قال ابن القيم: " وقد جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول أن يُلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه، ويلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة، وللآخر المقت والبغضاء"(٢).

ومنها أيضًا(٣):

١٤-أن نعلم أن يسير الرياء الذي هو من الشرك الأصغر قد يجر والعياذ بالله إلى الرياء المحض الذي لا يكاد يصدر من مؤمن وإنما هو رياء المنافقين الذين توعدهم الله بالدرك الأسفل من النار.

١٥- أن نعلم أن الرياء والتسميع استهزاء بالله تعالى واستخفاف بعقابه سبحانه وعلمه واطلاعه على السرائر وما تخفي الصدور.

١٦-أن نعلم يقينا أن الرياء قد خافه النبي صلى الله عليه وسلم على خيار الأمة وساداتها وهم الصحابة بل أخبر كما مر معنا أنه أخوف عليهم من المسيح الدجال، فغيرهم أولى بالخوف منه والحذر من أسبابه؛ كما أن الرياء في الغالب هو داء الصالحين والعباد قبل غيرهم من الناس.

قال الطيبي -رحمه الله- عن الرياء: " وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها، يبتلى به العلماء والعباد، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة؛ فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات، وحملوها بالقهر على أصناف العبادات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل، فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحب مدحهم وفرحهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وألذ الشهوات، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته

---

(١) السير للذهبي(٥\٢٣٠)

(٢) إعلام الموقعين (٤\٢٠٠)

(٣) كما في كتاب الشرك الأصغر والخفي، مسند القحطاني، ص٧٣ -٧٧

وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها إلا العقول النافذة، قد أثبت اسمه عن الله تعالى من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها إلا الصديقون؛ ولذلك قيل: "آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة"، وهو أعظم شبكة للشياطين، فإذًا المحمود الخمول، إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف منه، كالأنبياء والخلفاء الراشدين، والعلماء المحققين والسلف الصالحين(١)

قال مسند القحطاني: وكثيرًا ما سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله إذا ذُكر عنده الشرك أو الرياء أو النفاق أو غيرها من المعاصي يقول بصوته المؤثر: نعوذ بالله نسأل الله السلامة والعافية ...إلخ كالخائف على نفسه رحمه الله.

فالواجب الخوف والحذر دائما وعدم الغفلة عن هذا الداء العضال "ومن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزلة" بإذن الله تعالى.

١٧-أن نعلم أن الخوف من عدم قبول العمل واتهام النفس من دأب الصالحين ومما أثنى الله على اهله ومدحهم كما في قوله ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ [المؤمنون :٦٠]

قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله: أهو الرجل يزني ويسرق ويخاف أن لا يتقبل منه؟ فقال صلى الله عليه وسلم "لا يا ابنة الصديق بل هو الرجل يصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه"(٢).

١٨- أن نعلم أن كلام الناس ومدحهم وذمهم لا يغير من الحقيقة شيئا ولا ينفع ولا يضر إلا إذا وافق الواقع، قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إن حمدي زين وذمي شين فقال عليه الصلاة والسلام "ذاك الله عز وجل"(٣).

١٩- الخوف من سوء الخاتمة: لأن المرائي قد أخرج نفسه من عداد الصادقين والصالحين فقد يختم له والعياذ بالله وهو على ريائه فيخسر الدنيا والآخرة؛ لأنه من مات على شيء بعث عليه، والناس يبعثون على نياتهم يوم القيامة، والأعمال بخواتيمها.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي ١١/ ٣٣٧٤ وعزاه المناوي في "فيض القدير ٣/١٩٦" إلى الغزالي

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني

(٣) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني

٢٠-أن نعلم أن السلامة من الرياء والسمعة ليست من الأمور المستحيلة وإلا لما كلفنا الله بذلك؛ مع أن حب المحمدة والثناء من الأمور المغروسة في أعماق النفس البشرية، فالواجب أن نبذل الأسباب ولا نيأس من رحمة الله ومن مع الله صدق الله معه والله لطيف بعباده سبحانه ولا يكلف نفسا إلا وسعها.

٢١-أن نعلم أن المرائي جاهل بربه مزور كذاب غشاش يعيش في هم وغم وعناء لأن من راقب الناس مات همّا، وأما من راقب الله سبحانه أصبح من المحسنين؛ والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. نسأل الله أن يجعلنا من عباده المخلصين" ا هـ.

الفصل الثالث:

إرادة الإنسان بعمله الدنيا وأنواعها وأحكامها:

تقدم فيما مضى أن من أنواع الشرك الأصغر: "الشرك الخفي" وهو الشرك في الإرادات والنيات ومنه:

١-الرياء والسمعة، وتقدم الكلام عنها في الفصل السابق.

٢-إرادة الإنسان بعمله الدنيا: والكلام هنا عن هذا النوع.

المراد بإرادة الإنسان بعمله الدنيا:

"وهو إرادته بالعمل الذي يُبتغى به وجه الله مطمعًا من مطامع الدنيا، وهو شرك في النيات والمقاصد، وينافي كمال التوحيد، ويحبط العمل الذي قارنه"(١)

الفرق بين بين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا:

الصحيح أن إرادة الدنيا أعم، فكل رياء فهو إرادة للدنيا، وليس كل إرادة للدنياء رياءً. والله أعلم

وقد جاء عن معاوية رضي الله عنه أنه لما بلغه حديث أبي هريرة في خبر الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، وهم رجل قاتل في الجهاد حتى قتل، ليقال: جرئ، ورجل تعلّم العلم وعلّمه أو قرأ القرآن ليقال: عالم أو قارئ، ورجل تصدَّق ليُقال: جواد"(٢) لما بلغ معاوية هذا الحديث بكى بكاء شديدًا وقال: صدق الله ورسوله:﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾[هود:١٥،١٦] فذكر معاوية للآية بعد حديث الثلاثة الذين وقع منهم الرياء يدل على أنه يرى أن الرياء داخل في إرادة الدنيا.

---

(١) (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، الفوزان، ص١٢٢) و(نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسُّنَّة، سعيد بن وهف القحطاني ص١٢٠)

(٢) رواه مسلم

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عبد الرحمن بن قاسم-رحمهما الله-:

"بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وهو ما إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء كما تقدم بيانه، كحال المنافقين. وهو أيضا إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام. ويفارق الرياء لكونه عمل عملا صالحا، أراد به عرضا من الدنيا، كمن يجاهد ليأخذ مالا، كما في الحديث"(١)

وجاء في كتاب "تسهيل العقيدة الإسلامية": (وقد أدخل بعض العلماء إرادة الدنيا في الرياء، والصحيح أن الرياء من إرادة الدنيا، لا العكس؛ لأن المرائي إما أن يريد أن يعظم في نفوس الخلق ليحصل على رئاسة أو مال من قبلهم ونحو ذلك، وهذا كله من الدنيا، وإما أن يريد مدح الناس والجلالة في أعينهم فقط، وهذا أيضاً من إرادة الدنيا؛ لأنه إنما يريد هذه الأمور العاجلة في هذه الحياة الدنيا، ولا يريد وجه الله والدار الآخرة، أما كون الإنسان يعمل العمل الصالح من أجل الوظيفة ونحو ذلك فهذا ليس من الرياء؛ لأنه لم يُرِ عمله أحداً، وإنما هو من إرادة الدنيا، وهي أعمّ من الرياء، وأفرد الرياء بمبحث مستقل لخطره)(٢)

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: "يجتمعان في العمل لغير وجه الله، وفي أنهما شرك خفي، لأن الإرادة والقصد من أعمال القلوب، فهما يجتمعان في هذا، لكن يفترقان في أن الرياء يراد به الجاه والشهرة، وأما طلب الدنيا فيراد به الطمع والعرض العاجل" اهـ(٣)

---

(١) فتح المجيد (ص: ٣٧٢) وحاشية كتاب التوحيد (ص: ٢٦٨)

(٢) ينظر: الفروق "الفرق١٢٢"، الموافقات ٢/٢١٧، فتح المجيد ص٤٣٧، رسالة "الشرك الأصغر"ص١٠٢-١٠٤. نقلًا عن "تسهيل العقيدة الإسلامية (ص: ٣٦٦)

(٣) (إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، الفوزان ٢/٩٩)

حكم إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود:١٥-١٦)

وهذه الآية تشمل كل من أراد بعمله الدنيا، فهي عامة في الكفار والمسلمين، وهذا قول أكثر المفسرين كما حكاه عنهم ابن الجوزي في تفسيره.(١)

وقال صالح آل الشيخ: "المسلم الذي أراد بعمله الدنيا يدخل في الآية؛ لأن السلف أدخلوا أصنافا من المسلمين في هذه الآية"(٢)"اهـ.

فالكفار والمشركون والمنافقون إذا عملوا عملًا صالحًا في نفسه كصدقة ونحوها فإنهم يدخلون في الآية، ويُخلّدون في النار خلودًا أبديًا، وأما المسلم إذا أراد بعمله الدنيا فإنه يدخل في الآية؛ فيحبط عمله الذي أشرك فيه وأراد به الدنيا، وما عداه لا يحبط؛ لأن معه أصل الإيمان".وهذا البيان في معنى الآية هو الذي قرره غير واحد من المحققين كابن القيم وسليمان بن عبد الله وغيرهما(٣)

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله-الآيتين السابقتين من سورة هود ثم قال: فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد والله الموفق. وكذلك قوله تعالى:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ومنه قوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾

فهذه ثلاث مواضع من القرآن يشبه بعضها بعضا ويصدق بعضها بعضا وتجتمع على معنى واحد وهو أن من كانت الدنيا مراده ولها يعمل فى غاية سعيه لم يكن له فى الاخرة نصيب ومن كانت الآخرة مراده ولها عمله وهى غاية سعيه فهى له.

بقي أن يقال: فما حكم من يريد الدنيا والآخرة فإنه داخل تحت حكم الإرادتين فبأيهما يلحق؟

قيل: من ها هنا نشأ الإشكال وظن من ظن من المفسرين أن الآية فى حق الكافر فإنه هو الذى يريد الدنيا دون الآخرة وهذا غير لازم طردا ولا عكسا فإن بعض الكفار قد يريد الآخرة وبعض المسلمين قد

---

(١) (زاد المسير لابن الجوزي ٢/٣٦٢)

(٢) (التمهيد ٢/٤٠٨)

(٣) (عدة الصابرين لابن القيم ص١٦٧،١٦٨) و(التوضيح عن توحيد الخلاق لسليمان بن عبد الله، ص٣١٤-٣١٦)

لا يكون مراده إلا الدنيا والله تعالى قد علق السعادة بإرادة الآخرة والشقاوة بإرادة الدنيا فاذا تجردت الإرادتان تجرد موجبهما ومقتضاهما وان اجتمعتا فحكم اجتماعهما حكم اجتماع البر والفجور والطاعة والمعصية والإيمان والشرك فى العبد وقد قال تعالى لخير الخلق بعد الرسل ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ وهذا خطاب للذين شهدوا معه الوقعة ولم يكن فيهم منافق ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: "ما شعرت أن أحدًا من أصحاب رسول الله يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية"

والذين أريدوا فى هذه الآية هم الذين أخلوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله بحفظه وهم من خيار المسلمين ولكن هذه إرادة عارضة حملتهم على ترك المركز والإقبال على كسب الغنائم بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها فهذه الإرادة لون وإرادة هؤلاء لون.

وها هنا أمر يجب التنبيه له وهو أنه لا يمكن إرادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الإيمان بالله ورسوله ولقائه أبدا فإن الإيمان بالله والدار الآخرة يستلزم إرادة العبد لرحمة الله والدار الآخرة بأعماله فحيث كان مراده بها الدنيا فهذا لا يجامع الإيمان أبدا وإن جامع الإقرار والعلم فالإيمان وراء ذلك والإقرار والمعرفة حاصلان لمن شهد الله سبحانه له بالكفر مع هذه المعرفة كفرعون وثمود واليهود الذين شاهدوا رسول الله وعرفوه كما عرفوا أبناءهم وهم من أكفر الخلق، فإرادة الدنيا وعاجلها بالأعمال قد تجامع هذه المعرفة والعلم ولكن الإيمان الذى هو وراء ذلك لا بد أن يريد صاحبه بأعماله الله والدار الآخرة والله المستعان)[1] انتهى كلام ابن القيم وقد نقلناه بطوله لما فيه من التقرير والتوضيح لهذه المسألة المهمّة.

وقد قال العلماء عن آية هود السابقة: هذه الآية فيها وعيد شديد.

(١) عدة الصابرين لابن القيم ١/ ٣٢١-٣٢٣

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس[1]، وإذا شيك فلا انتقش[2]» رواه البخاري.

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-في شرحه: "عبد الدينار والدرهم والخميصة، هو الذي يعمل العمل لأجل هذه الأشياء، ولولا هذه الأشياء لما تحركت همته في العمل، فهو إنما عمل لأجلها، لأجل هذه الدنيا... فسماه النبي عليه الصلاة والسلام عابدا للدينار، فدل ذلك على أنه من الشرك؛ لأن العبودية درجات، منها: عبودية الشرك الأصغر، ومنها عبودية الشرك الأكبر، فالذي يشرك بغير الله - جل وعلا - الشرك الأكبر هو عابد له، كأهل الأوثان، وعبدة الأصنام، وعبدة الصليب، وكذلك من يعمل الشرك الأصغر، ويتعلق قلبه بشيء من الدنيا فهو عابد، لذلك يقال: عبد هذا الشيء" اهـ[3]

---

(١) قال الحافظ: قوله (تعس وانتكس)أي: "عاوده المرض". وفي النهاية: "انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة". قال الطيبي: "فيه الترقي بالدعاء عليه؛ لأنه إذا تعس انكب على وجهه، وإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط" اهـ حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ص٢٧٢

(٢) أي: "إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش، دعاء عليه أيضا، حتى لو تصيبه الشوكة في رجله لم يجد من يأخذها بالمنقاش، لحقارته وهوانه والمراد أن من كانت هذه حاله فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوءه في العواقب، وأنه يجد أثر هذه الدعوات، في الوقوع فيما يضره في العاجلة والآجلة" (حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ص٢٧٢)

(٣) (التمهيد ١/٤٠٩،٤١٠)

أحوال من أراد بعمله الدنيا ومن أخلص[1] :

لهذه المسألة المهمّة ست حالات بحسب النيات والمقاصد، وهي كما يلي:

١- أن يريد العبد بإسلامه ودخوله في الدين: الدنيا، فهذا شرك أكبر كالمنافق فإنه ما أراد بإسلامه إلا الدنيا. قاله ابن باز رحمه الله.

٢-أن تكون إرادة الدنيا بعمل الآخرة خالصة للدنيا، فإن العمل يبطل وينتفي الإخلاص في هذا العمل، قولًا واحدًا لأهل العلم. قال ابن باز: وهذا من الشرك الأصغر.

٣-أن تكون إرادة الدنيا بعمل الآخرة غالبة لإرادة الآخرة، فإن العمل يبطل، وينتفي الإخلاص في هذا العمل، وصاحب هذا العمل آثم بهذه النية. والله أعلم.

٤- أن تكون إرادة الدنيا بعمل الآخرة مساوية لإرادة الآخرة، فإن العمل يبطل، ولا ثواب له، وهل يأثم: قيل: يخرج لا له ولا عليه، وقيل: بل يأثم وهو الأظهر. والله أعلم.

٥-أن تكون إرادة الآخرة هي الغالبة، أي أن الباعث على العمل وجه الله ويكون المقصد الدنيوي تابعاً له، فهذا لا يأثم، ولكنه يفوته كمال الأجر. وهذا قول الجمهور.

٦-أن تكون النية خالصة لله تعالى، فهذه أعلى المراتب[2]، وأجر صاحبها أعظم من غيره، ومن الأدلة على ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"[3]

وهذا التفصيل، هو الخلاصة في هذه المسألة الكبيرة الجليلة. والله أعلم.

---

(١) من المراجع التي استفدنا منها في هذا البحث: كتاب (الإخلاص حقيقته ونواقضه، عبد الله بن عيسى الأحمدي، ص٣٥٥ وما بعدها) وقد بسط الكلام في هذه المسألة

(٢) قال السبكي رحمه الله: "فَمَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَلَمْ يَقْصِدْ أَمْرًا آخَرَ فَهُوَ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ" فتاوى السبكي (١/ ١٦٥)

(٣) متفق عليه

كلام أهل العلم في تفاصيل وأحوال إرادة العبد بعمله الدنيا :

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد: (باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا) قال العلامة ابن باز في شرحه: " إرادة العبد بعمله الدنيا: تارة يكون شركاً أكبر وتارة يكون شركاً أصغر؛ فإن أراد بإسلامه ودخوله في الدين الدنيا فهذا شرك أكبر كالمنافق فإنه ما أراد بإسلامه إلا الدنيا ، وتارة يكون شركاً أصغر كمن يجاهد للغنيمة ولا يجاهد بالإخلاص، وهو مع ذلك مسلم، فهذا من الشرك الأصغر "(١) اهـ

وقال ابن عثيمين –رحمه الله–فيمن أراد بعمله شيئًا من الدنيا: "له أحوال:

١–أن يقصد بعمله الوصول إلى غرض دنيوي كالمال دون التقرب إلى الله – تعالى – فهذا عمله حابط لا يقربه إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ الآيتين (هود:١٥–١٦)

٢–أن يقصد بعبادته التقرب إلى الله تعالى، والغرض الدنيوي الحاصل بها، ويكون الأغلب عليه نيّة التعبد: فهذا يفوته كمال الأجر، ولكن لا يضره ذلك باقتراف إثم أو وزر لقوله تعالى في الحجاج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾

٣– أن يقصد بعبادته التقرب إلى الله تعالى، والغرض الدنيوي الحاصل بها، ويكون الأغلب عليه نيّة غير التعبد: فهذا ليس له ثواب في الآخرة وإنما ثوابه ما حصله في الدنيا، وأخشى أن يأثم بذلك لأنه جعل العبادة التي هي أعلى الغايات وسيلة للدنيا الحقيرة، فهو كمن قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ . وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة – رضي الله عنه – «أن رجلا قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يريد عرضا من عرض الدنيا. فقال النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا أجر له ". فأعاد ثلاثا والنبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: " لا أجر له "»(٢)

٤– أن يتساوى عنده الأمران فلا تغلب نية التعبد ولا نية غير التعبد: فهذا محل نظر، والأقرب أنه لا ثواب له كمن عمل لله – تعالى – ولغيره.

---

(١) (شرح كتاب التوحيد لابن باز ، طبعة مؤسسة ابن باز ص٣٣١،٣٣٢)

(٢) والحديث حسنه الألباني لغيره كما في صحيح الترغيب والترهيب

والفرق بين هذا القسم والذي قبله أن غرض غير التعبد في القسم السابق حاصل بالضرورة فإرادته إرادة حاصلة بعمله بالضرورة وكأنه أراد ما يقتضيه العمل من أمر الدنيا.

فإن قيل: ما هو الميزان لكون مقصوده في هذا القسم أغلبه التعبد أو غير التعبد؟

قلنا: الميزان أنه إذا كان لا يهتم بما سوى العبادة حصل أم لم يحصل فقد دل على أن الأغلب نية التعبد والعكس بالعكس" انتهى من كلام ابن عثيمين كما في مجموع فتاواه(١).

فأما الحالة الأولى فظاهرة.

وأما الثانية والثالثة، وأن الحكم فيهما لما غلب، أي أنه إذا كان الباعث على العمل وجه الله وكان طلب الدنيا تابعاً له، فهذا لا يأثم ولكنه يفوته كمال الأجر(٢)، وإذا كان الأمر بالعكس، فإن العبادة تبطل، ولا ثواب له في الآخرة، وهذا اختيار الشاطبي والغزالي وأبي العباس القرطبي وغيرهما(٣). وقال ابن عثيمين: "وأخشى أن يأثم بذلك". والله أعلم

قال الشاطبي رحمه الله: "إِذَا غَلَبَ قَصْدُ الدُّنْيَا عَلَى قَصْدِ الْعِبَادَةِ كان الْحُكْمُ لِلْغَالِبِ، فَلَمْ يُعْتَدْ بِالْعِبَادَةِ، فَإِنْ غَلَبَ قَصْدُ الْعِبَادَةِ فَالْحُكْمُ لَهُ"(٤)

والقول: بأن العبادة إذا كان باعث الدين فيها أقوى لا تبطل بل هي صحيحة، هو قول الجمهور، كما نقله عنهم الحافظ ابن حجر وأبو العباس القرطبي في "المفهم" وقال ابن أبي جمرة: إنه قول المحققين(٥)

---

(١) (مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/٩٨،٩٩) باختصار.

(٢) ومن الأدلة على ذلك: قوله تعالى: { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم} وسبب نزولها ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال:"كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت: { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلًا من ربكم} في مواسم الحج" رواه البخاري. قال الشنقيطي: "ولا خلاف بين العلماء في أن المراد بالفضل المذكور في الآية: ربح التجارة" أضواء البيان(١/١٤١) وقد حكى الإجماع على جواز الحج والتجارة عدد من أهل العلم، منهم ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين والغزالي والسيوطي في كتابه منتهى الآمال، وكذلك النصوص التي أباحت قصد المغنم مع الغزو، أما بالنسبة للأجر فإن أجر صاحبها لا يكون كأجر من خلصت نيته لله

(٣) انظر : الموافقات للشاطبي (٢/٣٧٢)

(٤) الموافقات (٢/ ٣٧٢-٣٧٣)

(٥) قال الشوكاني رحمه الله: "وَصَرَّحَ الطَّبَرِيُّ بِأَنَّهُ لَا يُخِلُّ إذَا حَصَلَ ضِمْنًا لَا أَصْلًا وَمَقْصُودًا، وَبِهِ قَالَ الْجُمْهُورُ كَمَا حَكَاهُ صَاحِبُ الْفَتْحِ، وَلَكِنَّهُ يُعَكِّرُ عَلَى هَذَا مَا فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْمَذْكُورِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إلَّا مَا كَانَ خَالِصًا، وَيُمْكِنُ

ويثاب بقدر قصـــده الآخرة: قال القاري رحمه الله: "قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِ الشَّـــافِعِيِّ، وَأَصْـــحَابِهِ مَنْ حَجَّ بِنِيَّةِ التِّجَارَةِ كَانَ ثَوَابُهُ دُونَ ثَوَابِ الْمُتَخَلِّي عَنْهَا أَنَّ الْقَصْـــدَ الْمُصَـــاحِبَ لِلْعِبَادَةِ إِنْ كَانَ مُحَرَّمًا كَالرِّيَاءِ أَسْـــقَطَهَا مُطْلَقًا، وَهُوَ مَحْمِلُ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ كَمَا يُصَرِّـــحُ بِهِ لَفْظُهُ، أَوْ غَيْرَ مُحَرَّمٍ أُثِيبَ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الْآخِرَةَ أَخْذًا بِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] اهـ.

وَهُوَ تَفْصِيلٌ حَسَنٌ، وَتَعْلِيلٌ مُسْتَحْسَنٌ"(١)

وأما الحالة الرابعة، وهي أن يتساوى عنده القصدان: فابن عثيمين يرى أن الأقرب أن هذا لا ثواب له، واختار السيوطي والغزالي وابن قدامة المقدسي أنه لا له ولا عليه(٢)، وظاهر كلام الشاطبي أنه يأثم،

أَنْ يُحْمَلَ عَلَى قَصْدِ الْأَمْرَيْنِ مَعًا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ فَلَا يُخَالِفُ مَا قَالَهُ الْجُمْهُور. قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ ذَهَبَ الْمُحَقِّقُونَ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ الْأَوَّلُ قَصْدَ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ لَمْ يَضُرَّهُ مَا يَنْضَافُ إِلَيْهِ وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ" اهـ (نيل الأوطار ٢٥٤/٧)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ دُخُولَ غَيْرِ الْإِعْلَاءِ ضِمْنًا لَا يَقْدَحُ فِي الْإِعْلَاءِ إِذَا كَانَ الْإِعْلَاءُ هُوَ الْبَاعِثُ الْأَصْلِيُّ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنَغْنَمَ فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَكِلهُمْ إِلَيَّ الْحَدِيثَ" (فتح الباري لابن حجر ٢٩/٦).

وقال أبو العباس القرطبي: "فأما لو انبعث لتلك العبادةِ بمجموع الباعثَينِ – باعث الدنيا وباعث الدين – ؛ فإن كان باعثُ الدنيا أقوى ، أو مساويًا ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك العمل عند أئمة هذا الشأن ، وعليه يدل قولُه صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تبارك وتعالى : ((مَن عَمِل عملاً أشركَ معي فيه غيري تركتُه وشريكه)). فأما لو كان باعثُ الدِّين أقوى ؛ فقد قال الجمهور بصحة ذلك العمل ، ويُستدلُ على هذا بقوله. صلى الله عليه وسلم. : ((إن من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله)) ، ، فجعل الجهاد مما يصح أن يُتخذ للمعاش ، ومن ضرورة ذلك أن يكونَ مقصودًا ، لكن لما كان باعثُ الدِّين على الجهاد هو الأقوى والأغلب ، كان ذلك الغرض مُلغى، فيكون معفوًّا عنه ؛ كما إذا توضأ قاصِدًا رَفع الحدث والتبرُّد ، فأما لو تفرَّد باعثُ الدِّين بالعمل ، ثم عرض باعث الدنيا في أثناء ذلك العمل فأولى بالصحة . وللكلام في هذا موضع آخر ، وما ذكرناه كافٍ هنا ".اهـ (الْمُفْهِمْ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تلخيصِ كتابِ مُسْلِمْ ٥١/١٢)

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٤٧)

(٢) (الإحياء للغزالي ٤/ ٣٨٥ – ٣٨٦) وإن الغزالي من أحسن من تكلم على الرياء في كتابه الإحياء؛ لكن قد حذّر العلماء من هذا الكتاب لما فيه من المواد الفاسدة والأحاديث الموضوعة وغير ذلك.

والخلاصة في هذه الحالة أن عمله يبطل[1]، ولا ثواب له، والظاهر أيضًا أنه يأثم كما هو ظاهر كلام الشاطبي؛ لأنه لم يمتثل في عبادته أمر الله في قوله سبحانه: {فاعبد الله مخلصًا له الدين} وقوله: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء}؛ ومن ساوى بين القصدين فإنه لم يعبد الله مخلصًا له الدين فيكون آثمًا. والله تعالى أعلم.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى المنع مطلقًا، فحرّموا إرادة الإنسان بعمله شيئا من الدنيا مطلقًا، ولم يفرقوا بين القصد الغالب وغيره، فكل عمل مشوب فإنه يبطل وينتفي الإخلاص فيه. وممن قال بهذا القول: ابن حزم، وحكاه النووي عن بعض الشافعية ولم يرتضه. وفي هذا الإطلاق نظر؛ فقد وردت نصوص تدل على خلافه.

وذهب آخرون من أهل العلم ومنهم القرافي، في هذه الحالات الثلاث: (إذا تساوى القصدان أو غلب أحدهما) إلى أنه يجوز ذلك مطلقًا، ولا تبطل العبادة ولا يأثم الشخص، ولكن أجر هذه العبادة يُنقص منه بقدر ما خالط نيته الصالحة من إرادة الدنيا[2]، وفي هذا الإطلاق أيضًا نظر؛ فإن ظاهر النصوص لا يساعد عليه. والراجح ما ذكرناه عن أبي العباس القرطبي وابن عثيمين وغيرهما. والله أعلم

فهذا ما يسّره الله سبحانه -وله الحمد والمنة-من الكلام على هذه المسألة الكبيرة الجليلة، وهي تستحق أكثر من هذا البسط. والله تعالى أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " و" الْإِحْيَاءُ " فِيهِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ؛ لَكِنْ فِيهِ مَوَادُّ مَذْمُومَةٌ فَإِنَّهُ فِيهِ مَوَادُّ فَاسِدَةٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَاسِفَةِ تَتَعَلَّقُ بِالتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ فَإِذَا ذَكَرَ مَعَارِفَ الصُّوفِيَّةِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أَخَذَ عَدُوًّا لِلْمُسْلِمِينَ أَلْبَسَهُ ثِيَابَ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ أَنْكَرَ أَئِمَّةُ الدِّينِ عَلَى " أَبِي حَامِدٍ " هَذَا فِي كُتُبِهِ. وَقَالُوا: مَرَّضَهُ " الشِّفَاءُ " يَعْنِي شِفَاءَ ابْنِ سِينَا فِي الْفَلْسَفَةِ. وَفِيهِ أَحَادِيثُ وَآثَارٌ ضَعِيفَةٌ؛ بَلْ مَوْضُوعَةٌ كَثِيرَةٌ. وَفِيهِ أَشْيَاءُ مِنْ أَغَالِيطِ الصُّوفِيَّةِ وَتُرَّهَاتِهِمْ. وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْمَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ الْعَارِفِينَ الْمُسْتَقِيمِينَ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الْمُوَافِقِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمِنْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْعِبَادَاتِ وَالْأَدَبِ مَا هُوَ مُوَافِقٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا يَرِدُ مِنْهُ فَلِهَذَا اخْتَلَفَ فِيهِ اجْتِهَادُ النَّاسِ وَتَنَازَعُوا فِيهِ" مجموع الفتاوى (١٠/٥٥١،٥٥٢)

(١) قال أبو العباس القرطبي:" فإن كان باعثُ الدنيا أقوى ، أو مساويًا ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك العمل عند أئمة هذا الشأن ، وعليه يدل قولُه صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تبارك وتعالى : ((مَن عَمِل عملاً أشركَ معي فيه غيري تركتُه وشركه))" اهـ (المُفْهِمْ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تلخيصِ كتابِ مُسْلِمْ ١٢/٥١)

(٢) انظر: (تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز الجبرين- ص: ٣٧٥) و(الموسوعة العقدية-الدرر السنية ٣/٧٢)

وبهذا نعلم أن الأمر خطير، وأنه ينبغي علينا الحذر من أن يكون القصد الدنيوي في العبادة هو الغالب، فالحذر الحذر والنجاة النجاة، وليكن نصب أعيننا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة:٥)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتُغي به وجهه»[١]

نسأل الله أن يصلح قلوبنا ونياتنا وأعمالنا وأن يهدينا ويوفقنا إنه هو الكريم الوهاب.

(١) رواه النسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه وحسنه الألباني

أدلة جواز تشريك النية في العبادة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا» قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا، قَالَ: «عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟» قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ»، قَالَ: فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ) (١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تابعوا بين الحج وعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»(٢)

قال الصنعاني بعد ذكر هذه الأحاديث وأشباهها: (وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْأَخْبَارَ هَذِهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَشْرِيكِ النِّيَّةِ إذْ الْإِخْبَارُ بِهِ يَقْتَضِي ذَلِكَ غَالِبًا...وقَدْ كَانَ تَشْرِيكُ الْجِهَادِ بِطَلَبِ الْغَنِيمَةِ أَمْرًا مَعْرُوفًا فِي الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ(٣) يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: اللَّهُمَّ اُرْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا أُقَاتِلُهُ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ اُرْزُقْنِي عَلَيْهِ الصَّبْرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ وَآخُذَ سَلَبَهُ.

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ طَلَبَ الْعَرَضِ مِنْ الدُّنْيَا مَعَ الْجِهَادِ كَانَ أَمْرًا مَعْلُومًا جَوَازُهُ لِلصَّحَابَةِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ بِنَيْلِهِ) (٤)

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٠٤٠)

(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني، ورواه أحمد عن عمر مرفوعا وصححه الألباني أيضًا

(٣) هذه الدعوة هي دعوة سعد رضي الله عنه فقد أخرج الحاكم في المستدرك عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ ، قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: أَلَا تَأْتِي نَدْعُو اللَّهَ ، فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا ، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ ، فَأُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي ، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، وَآخُذَ سَلَبَهُ ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ثُمَّ ، قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ ، شَدِيدًا بَأْسُهُ ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي ، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي ، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ . قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا بُنَيَّ كَانَتْ " دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ ، وَإِنَّ أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ لَمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ " المستدرك على الصحيحين للحاكم (ت مقبل) (٢/ ٩٥) قال العلامة المحدث مقبل الوادعي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

(٤) سبل السلام (٢/ ٤٦٤)

أحوال العبادة مع الرياء وإرادة الدنيا:

تقدم فيما مضى ـ ذكر أحوال العبادة مع الرياء، وكذلك أحوال العبادة مع إرادة الدنيا، وفيما يلي نذكر تقسيمًا جامعًا يشمل الأمرين(الرياء وإرادة الدنيا)، وإن كانت تفاصيل هذه المسائل قد تقدمت ببيان أوسع وتوضيح أدقّ؛ ولكن لا مانع من ذكر هذا التقسيم العام لتقرير هذه المسائل المهمّة وتأكيدها وتوضيحها؛ فنقول: إذا عمل الشخص العمل لله ولغيره، فله أحوال ثلاثة:

قال ابن القيم رحمه الله: (فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ بَانَ بِهَذَا أَنَّ الْعَمَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَرْدُودٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وَالْعَمَلَ لِلَّهِ وَحْدَهُ مَقْبُولٌ؛ فَبَقِيَ قِسْمٌ آخَرُ وَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْعَمَلَ لِلَّهِ وَلِغَيْرِهِ، فَلَا يَكُونُ لِلَّهِ مَحْضًا وَلَا لِلنَّاسِ مَحْضًا، فَمَا حُكْمُ هَذَا الْقِسْمِ؟ هَلْ يَبْطُلُ الْعَمَلُ كُلُّهُ أَمْ يَبْطُلُ مَا كَانَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَيَصِحُّ مَا كَانَ لِلَّهِ؟ قِيلَ: هَذَا الْقِسْمُ تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ؛ أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ الْأَوَّلُ عَلَى الْعَمَلِ هُوَ الْإِخْلَاصُ، ثُمَّ يَعْرِضُ لَهُ الرِّيَاءُ وَإِرَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ فِي أَثْنَائِهِ، فَهَذَا الْمُعَوَّلُ فِيهِ عَلَى الْبَاعِثِ الْأَوَّلِ مَا لَمْ يَفْسَخْهُ بِإِرَادَةٍ جَازِمَةٍ لِغَيْرِ اللَّهِ فَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ قَطْعِ النِّيَّةِ فِي أَثْنَاءِ الْعِبَادَةِ وَفَسْخِهَا، أَعْنِي قَطْعَ تَرْكِ اسْتِصْحَابِ حُكْمِهَا

الثَّانِي: عَكْسَ هَذَا، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ الْأَوَّلُ لِغَيْرِ اللَّهِ، ثُمَّ يَعْرِضُ لَهُ قَلْبَ النِّيَّةِ لِلَّهِ، فَهَذَا لَا يُحْتَسَبُ لَهُ بِمَا مَضَى مِنْ الْعَمَلِ، وَيُحْتَسَبُ لَهُ مِنْ حِينِ قَلْبِ نِيَّتِهِ؛ ثُمَّ إنْ كَانَتْ الْعِبَادَةُ لَا يَصِحُّ آخِرُهَا إلَّا بِصِحَّةِ أَوَّلِهَا وَجَبَتْ الْإِعَادَةُ، كَالصَّلَاةِ، وَإِلَّا لَمْ تَجِبْ كَمَنْ أَحْرَمَ لِغَيْرِ اللَّهِ ثُمَّ قَلَبَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ عِنْدَ الْوُقُوفِ وَالطَّوَافِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَبْتَدِئَهَا مُرِيدًا بِهَا اللَّهَ وَالنَّاسَ، فَيُرِيدُ أَدَاءَ فَرْضِهِ وَالْجَزَاءَ وَالشُّكُورَ مِنْ النَّاسِ، وَهَذَا كَمَنْ يُصَلِّي بِالْأُجْرَةِ، فَهُوَ لَوْ لَمْ يَأْخُذْ الْأُجْرَةَ صَلَّى، وَلَكِنَّهُ يُصَلِّي لِلَّهِ وَلِلْأُجْرَةِ، وَكَمَنْ يَحُجُّ لِيَسْقُطَ الْفَرْضُ عَنْهُ وَيُقَالُ فُلَانٌ حَجَّ، أَوْ يُعْطِي الزَّكَاةَ كَذَلِكَ؛ فَهَذَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ الْعَمَلُ.

وَإِنْ كَانَتْ النِّيَّةُ شَرْطًا فِي سُقُوطِ الْفَرْضِ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْإِعَادَةُ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْإِخْلَاصِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْعَمَلِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهِ لَمْ تُوجَدْ، وَالْحُكْمُ الْمُعَلَّقُ بِالشَّرْطِ عُدِمَ عِنْدَ عَدَمِهِ، فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ هُوَ تَجْرِيدُ الْقَصْدِ طَاعَةً لِلْمَعْبُودِ، وَلَمْ يُؤْمَرْ إلَّا بِهَذَا. وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ فَلَمْ يَأْتِ بِهِ بَقِيَ فِي عُهْدَةِ الْأَمْرِ؛ وَقَدْ دَلَّتْ السُّنَّةُ الصَّرِيحَةُ عَلَى ذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ كُلُّهُ لِلَّذِي أَشْرَكَ بِهِ» وَهَذَا

هُوَ مَعْنَى قَوْله تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠])[١]

قال ابن جرير رحمه الله: "وَلَا يُزِيلُهُ عَنْ حُكْمِهِ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِاطِّلَاعِ الْعِبَادِ عَلَيْهِ بَعْدَ تَقَضِّيهِ وَمُضِيِّهِ عَلَى مَا نَدَبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ خَالِيًا مِمَّا نَهَاهُ عَنْهُ وَكَرِهَهُ لَهُ ، وَلَا سُرُورُهُ بِذَلِكَ. وَإِنَّمَا الْمَكْرُوهُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَبْتَدِئَهُ بِالنِّيَّةِ الْمَكْرُوهِ ابْتِدَاؤُهُ بِهَا ، أَوْ يَعْمَلَهُ وَهُوَ فِي حَالِ شُغْلِهِ بِهِ غَيْرَ مُخْلِصٍ لِلَّهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ عَامِلُهُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ الْعِقَابَ ، وَيَبْطُلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالسَّلَفِ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ "[٢]

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ٢/١٢٤،١٢٥

(٢) تهذيب الآثار "مسند عمر"، ٢/٨٠٧

علاج إرادة الدنيا بعمل الآخرة[١]:

١-أن يعلم المؤمن أن إرادة الدنيا بعمل الآخرة نقص في الإخلاص وإخلال في التوحيد وشرك ربما يؤدي إلى بطلان العمل وذهاب ثوابه مهما عظم العمل والتضحيات من أجله.

٢- الإكثار من مجالسة أهل الزهد، والإقلال من مجالسة أهل الدنيا المكثرين منها قولا وعملا.

٣- أن نعلم أن إرادة الدنيا ولو كانت عارضة من أعظم أسباب الفشل والفرقة والهزيمة أمام الأعداء كما حصل للصحابة رضي الله عنهم في غزوة أحد؛ فما بالك بمن كانت إرادة الدنيا هي باعثه ومحركه نسأل الله أن يصلح قلوبنا ومقاصدنا .

٤- معرفة حقيقة إرادة الدنيا بعمل الآخرة ومتى يكون ذلك محرما والتفقه في معرفة أحوال هذه المسألة.

٥-اللجوء إلى الله تعالى بكثرة الدعاء.

٦- أن يعلم المؤمن أن ما أعده الله لعباده الصالحين من الأجر العظيم والجزاء الكريم والفضائل العميمة في الآخرة إنما يراد به تحقيق العبودية لله بفعل أوامره وترك نواهيه ولم تذكر تلك الفضائل لأن تكون مقصودة بذاتها ولكنها ذكرت لعلم الله تعالى أن النفوس تتشوق لها؛ ولهذا نرى هذه الدواعي الشرعية تكثر في بعض الأعمال الشاقة على النفس دون غيرها[٢].

٧- تجريد القصد لله تعالى وتحقيق التوحيد في كل عبادة يقوم بها المسلم؛ لأن ذلك هو غاية الخلق الذي خلق الله العباد لأجله.

٨- أن نعلم أن ما يتحصل عليه المؤمن من فضائل الدنيا وثوابها قد يزاحم ما أعد الله له في الآخرة من الثواب، قال النبي صلى الله عليه وسلم "ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم" [٣] قال النووي رحمه الله: "وأما معنى الحديث فالصواب الذي لا يجوز غيره أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم وأن الغنيمة في مقابل جزء من أجر غزوهم فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، وهذا موافق للأحاديث

---

(١) نقلًا عن كتاب الشرك الأصغر والخفي، مسند القحطاني، ص ١٤٨ -١٥١

(٢) مقاصد المكلفين(٣٥٣)

(٣) رواه مسلم وغيره

الصحيحة المشهورة عن الصحابة، كقولهم: منا من مات ولم يأكل من أجره شيئا ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها أي يجتنيها فهذا الذي ذكرنا هو الصواب "(١)

٩- أن نعلم أن الدنيا مهما عظمت فهي حقيرة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم " ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" إشارة إلى حقارة الدنيا. وقال صلى الله عليه وسلم " لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء "(٢).

١٠- أن نعلم أن الغنى الحقيقي ليس بكثرة الحصول على الدنيا ولكنه بقدر استغناء النفس عنها، قال صلى الله عليه وسلم " الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس "(٣).

١١- أن نعلم كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه(٤).

١٢- أن نعلم أن النبي الله عليه وسلم قد دعا على من تعلق بالدنيا وأصبح يرضى ويغضب من أجلها بالتعاسة والانتكاس وفوات المطلوب وحصول المكروه كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم " تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ".

١٣- أن نعلم أن من صفات عباد الله المخلصين أنهم لا يهمهم موقعهم ومكانتهم في الدنيا.

١٤- أن نعلم أن المسلم كلما حقق التوحيد كلما هانت عليه مشقة التكاليف وصغرت في عينه الدنيا أمام عظمة الخالق سبحانه.

١٥- أن نعلم أن من أعظم أسباب محبة الرب سبحانه للعبد أن يكون زاهدا في الدنيا قال صلى الله عليه وسلم " ازهد في الدنيا يحبك الله "(٥).

---

(١) شرح مسلم حديث رقم ٩٥.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني

(٣) متفق عليه

(٤) انظر كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم من صحيح البخاري

(٥) رواه البيهقي والحاكم وصححه الألباني

١٦- أن نعلم أن التعلق بالدنيا والانشغال بها هموم وغموم عاجلة تكاد تهلك أصحابها. قال صلى الله عليه وسلم "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"(١).

علاج الرياء وإرادة العبد بعمله الدنيا:

ذكرنا فيما مضى- علاج الرياء وعلاج إرادة الدنيا بعمل الآخرة، وقد ذكرنا علاج كلٍّ منهما على حدة، ونذكر فيما يلي علاجا جامعًا للأمرين؛ لأن العلاج والسلامة من هذه الآفات وتحقيق الإخلاص لله هو الثمرة الحقيقية التي يجنيها العبد من دراسته لهذه الأبواب والمسائل. والله المستعان.

قال عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف(٢): وحيث إن لكل داء دواء علمه من علمه وجهله من جهله؛ فإن لداء الرياء وإرادة العبد بعمله الدنيا أنواعاً من العلاج والدواء فمنها :

١-أن يعلم المكلف علماً يقيناً بأنه عبدٌ محض ، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضاً ولا أجرة ، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته ، فما يناله من سيده من الأجر والثواب تفضّلٌ منه وإحسان إليه لا معاوضة .

٢- مشاهدته لمنّة الله عليه وفضله وتوفيقه وأنه بالله لا بنفسه ، وأنه إنما أوجب عمله مشيئة الله لا مشيئته هو ، فكل خير فهو مجرد فضل الله ومنته

٣- مطالعة عيوبه وآفاته وتقصير فيه ، وما فيه من حظّ النفس ونصيب الشيطان ، فقلّ عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل ، وللنفس فيه حظ ، سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن التفات الرجل في صلاته ؟ فقال : " هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد " فإذا كان هذه التفات طرفِهِ فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله ؟!(٣)

٤- تذكير النفس بما أمر الله تعالى به من إصلاح القلب وإخلاصه ، وحرمان المرائي من التوفيق .

٥- خوف مَقْتِ الله تعالى ، إذا طلع على قلبه وهو منطوٍ على الرياء وإرادة الدنيا

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني

(٢) كما في رسالته " الإخلاص والشرك الأصغر "

(٣) هذه الأنواع الثلاثة من العلاج ذكرها ابن القيم في (مدارج السالكين) الجزء الثاني .

٦- والإكثار من العبادات غير المشاهدة وإخفائها ، كقيام الليل ، وصدقة السرّ ، والبكاء خالياً من خشية الله ، قال الخُريبي : كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عملٍ صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها .

٧- تحقيق تعظيم الله تعالى ، وذلك بتحقيق التوحيد والتعبد لله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا.

٨- تذكر الموت وسكراته ، والقبر وأهواله ، واليوم الآخر بأحواله التي تشيب لها الولدان .

٩- معرفة الرياء وإرادة الدنيا ومداخل ذلك وخفاياه ؛ حتى يتم الاحتراز منه .

١٠- النظر في عاقبة الرياء في الدنيا والآخرة: فيعلم العبد أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، كما جاء في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، ولذا قال بعض السلف : من عرف الناس استراح ، وكما قال بعضهم : " جاهد نفسك في دفع أسباب الرياء عنك ، واحرص على أن يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان ، ولا تفرّق في عبادتك بين وجودهم وعدمهم ، وعلمهم بها أو غفلتهم عنها واقنع بعلم الله وحده "

١١-الاستعانة بالله على الإخلاص ، والتعوذ به من الرياء ، فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء والتضرع إلى الله ؛ بأن يقيه الرياء ودواعيه ، كما جاء في الحديث ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل ، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره ، تقول : اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم "(١)

وأنواع علاج الرياء وإرادة الدنيا كثيرة نسأل الله الإعانة في تحقيقها والتداوي بها(٢).

---

(١) (صحيح الجامع الصغير)

(٢) نقلًا عن رسالة" الإخلاص والشرك الأصغر لعبد العزيز آل عبد اللطيف" وقال في الحاشية: "للمزيد من التفصيل في علاج الرياء : انظر : الإحياء للغزالي ج ٣، ومدارج السالكين ج ٢، ومقاصد المكلفين للأشقر ، والإخلاص للعوايشة .

الباب الرابع:

أدلة بطلان الشرك وبيان حال المعبودات وعابديها:

وفيه فصلان، وبيانهما كما يلي:

الفصل الأول: من الأدلة والبراهين على بطلان الشرك:

"إن براهين التوحيد وأمثاله يجمعها الاستدلال على التوحيد بتجرد الآلهة الباطلة عن معاني الربوبية وصفات الكمال وتفرد الإله الحق بتلك المعاني والصفات، ولهذا جعل الله مثل السوء المتضمن لكل عيب ونقص للمشركين وآلهتهم المزعومة، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لجميع صفات الكمال لله وحده، وهذا التلازم يدل على بطلان الشرك وصحة التوحيد ضرورة".(١)

قال ابن القيم رحمه الله: "والله سبحانه حاج عباده على ألسن رسله وأنبيائه فيما أراد تقريرهم به وإلزامهم إياه بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولا وأقلها تكلفا وأعظمها غناء ونفعا وأجلها ثمرة وفائدة فحججه سبحانه العقلية التي بينها في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة واضحة قليلة المقدمات سهلة الفهم قريبة التناول قاطعة للشكوك والشبه ملزمة للمعاند والجاحد ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في القلوب أرسخ ولعموم الخلق أنفع.

وإذا تتبع المتتبع ما في كتاب الله مما حاج به عباده في إقامة التوحيد وإثبات الصفات وإثبات الرسالة والنبوة وإثبات المعاد وحشر الأجساد وطرق إثبات علمه بكل خفي وظاهر وعموم قدرته ومشيئته وتفرده بالملك والتدبير وأنه لا يستحق العبادة سواه وجد الأمر في ذلك على ما ذكرناه من تصرف المخاطبة منه سبحانه في ذلك على أجل وجوه الحجاج وأسبقها إلى القلوب وأعظمها ملاءمة للعقول وأبعدها من الشكوك والشبه في أوجز لفظ وأبينه وأعذبه وأحسنه وأرشقه وأدله على المراد.

---

(١) حقيقة المثل الأعلى وآثاره، عيسى السعدي (ص: ١٢١)

وذلك مثل قوله تعالى فيما حاج به عباده من إقامة التوحيد وبطلان الشرك وقطع أسبابه وحسم مواده كلها" ثم ذكر رحمه الله بعض الأدلة والأمثلة على ذلك(١)

الآية القاطعة لعروق شجرة الشرك من القلب:

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ، الآيتين: ٢٢-٢٣] قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-في مسائل كتاب التوحيد عن هذه الآية: فيها الحجة على إبطال الشرك، خصوصا ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب"

وقال الشيخ ابن قاسم -رحمه الله-: "قال ابن القيم وغيره في هذه الآية: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها، فقد قطع الله بها جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون، على أي وجه كان، فإن المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من أربع: إمّا أن يكون مالكا لما يريده، أو شريكا للمالك، أو معينا وظهيرا، أو شفيعا، فنفى -سبحانه- المراتب الأربع نفيا مرتبا، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، ولم يجعل -سبحانه- الاستغاثة بالميت أو غيره سببا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، لا ما يمنع الإذن، فالمشرك قد أتى بأعظم حائل بينه وبين حصول الشفاعة، فهو كمن استعان في حاجة بما يمنع حصولها" (٢)

وقال الشيخ الفوزان: "فيها بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عُبد من دون الله فإذا كان حالهم مع الله ما ذُكر من هيبتهم منه وخشيتهم له فكيف يُدعون مع الله فغيرهم من باب أولى. ففي ذلك ردٌّ على جميع المشركين الذين يدعون مع الله من لا يُداني الملائكة"(٣)

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦٠)

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٣٦)، وانظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦١) مدارج السالكين (١/ ٣٥١)

(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٣٤)

قال ابن عثيمين رحمه الله: **"وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:**

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي أتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السماوات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣] .وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ، الآيتين: ٢٢-٢٣] .وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآيتين: ١٩١-١٩٢] .وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحوده بالألوهية كما قال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآيتين: ٢١-٢٢] وقال ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٨٧] وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس، الآيتين: ٣١-٣٢] "[1].

(١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٨٦-٨٧)

الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وبطلان الشرك:

إن "ضَرْبَ الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على المشركين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم"(١)

من أنواع الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وبطلان الشرك(٢):

يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

" **النوع الأول: الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه:** ومن الأمثلة على ذلك:

١- ضرب الله تعالى مثلًا لنفسه ولما يعبد من دونه بعدم قبول المشركين إشراك عبيدهم فيما يخصهم، فكيف يقبلون ذلك لله تعالى؟

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[النحل : ٧١]، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الروم : ٢٨] قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يؤخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها فقال: هل لكم من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم، فأنتم وهم من ذلك سواء تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم؟ فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي؟ " انتهى باختصار(٣)

---

(١) العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١١٦)

(٢) هذا المبحث مستفاد من [عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ١٦٤ وما بعدها)] و [العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١١٧)] و[عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٠٥)] كلاهما لسعيد بن وهف القحطاني. وهناك مراجع أخرى مذكورة في الحاشية

(٣) " إعلام الموقعين ١/١٥٩"

٢-ضرب الله كذلك مثلين لنفسه ولما يعبد من دونه في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ، وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[النحل: ٧٥- ٧٦]

هذان مثلان ضربهما لنفسه ولما يعبد من دونه، قال مجاهد: "ضرب الله هذا المثل والمثل الآخر بعده لنفسه وللآلهة التي من دونه"(١)، والمثل الأول هو قصة عبد في ملك غيره عاجز عن التصرف وحر غني متصرف فيما آتاه الله، فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنس واحد مشتركين في الإنسانية، فكيف تشركون بالله وتسوون به من هو مخلوق له مقهور بقدرته من آدمي وغيره مع تباين الأوصاف، وأن الله لا يمكن أن يشبهه شيء من خلقه ولا يمكن لعاقل أن يمثل به غيره..

والمثل الثاني كذلك مضروب لله ولما يعبد من دونه، وهي أصنام لا تسمع ولا تنطق؛ لأنها إما من خشب أو نحاس أو حجر وغيره، ولا تجلب خيرًا ولا تدفع شرًّا، ثم هي عيال على عابديها تحتاج لمن يحملها ويخدمها كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء فهو كَلٌّ على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم وحيثما وجهوه لا يأتِ بخير؛ لأنه لا يفهم ولا يُفهم عنه، وهكذا الصنم لا يعقل ما يقال له، ولا ينطق فيأمر وينهى، فهل يستوي هذا الأبكم بصفاته السابقة ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو إليه؟ فإذا كانا لا يستويان فكذلك لا يستوي الصنم مع الله الواحد القهار الداعي عباده إلى توحيده وطاعته، فهذا مثل إله الباطل وإله الحق، وبه قال قتادة ومجاهد(٢)، وكذلك قال به ابن القيم، وبين أن هذين المثلين أوضح عند المخاطبين وأعظم في إقامة الحجة عليهم وأظهر في بطلان الشرك"(٣)

النوع الثاني: أمثلة عجز آلهة المشركين: وهي ثلاثة أمثلة:

١- عجزها عن سماع الدعاء وعن إجابته كذلك: يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[البقرة : ١٧١]، وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ

(١) الطبري ١٤/٤٨ والبحر المحيط ٥١٨/٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٥٠/١٤ وتفسير القرطبي ١٤٩/١٤

(٣) انظر إعلام الموقعين ١٦١/١- ١٦٢.

الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾[الرعد : ١٤].

هذان مثلان في عدم نفع دعاء الكفار لأصنامهم لأنها لا تسمع دعاءهم وهذا هو المثل الأول: حيث شبه الله تعالى المشركين بدعائهم لآلهتهم وطلبهم منها قضاء حاجاتهم كالراعي الذي يصوت بالغنم والبهائم وهي لا تعي ما يقول غير أنها تسمع صوته، يقول ابن القيم في هذا: "فتضمن هذا المثل ناعقًا أي مصوتًا بالغنم وغيرها ومنعوقًا به وهو الدواب، فقيل الناعق: العابد وهو الداعي للصنم، والصنم هو المنعوق به المدعو، وأن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه، وهذا قول طائفة: منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره(١).

وأما المثل الثاني: فقد شبه سبحانه وتعالى- المشركين في دعائهم لأصنامهم وأنها لا تستجيب لهم بالعطشان الذي جلس على شفير بئر وبسط كفيه إلى الماء وأخذ يدعوه إلى فيه من بعيد مشيرًا إليه بيده ليبل غلته، فلا هو نزل إلى البئر فشرب، ولا الماء يرتفع إليه لأنه جماد لا يحس بعطشه ولا يسمع دعاءه، وهكذا الأوثان لا تحس بدعاء عابديها لها ولا تستجيب لهم؛ لأنها جمادات منحوتة على هيئة الأحياء، والعرب تضرب مثلًا لمن سعى فيما لا يدركه بالقابض على الماء"(٢)

ومما يد على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ . إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣،١٤] فهذه الآية فيها البرهان القاطع على بطلان الشرك والرد على المشركين" (٣)

٢- عجزها عن الخلق وعن استعادة ما يُسلب منها:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج :

(١) إعلام الموقعين ١/١٨٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢٨/١٣ وتفسير القرطبي ٣٠٠/٩ والبحر المحيط ٣٧٦/٥ وتفسير ابن كثير ٥٠٧/٢

(٣) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٢٥)، وذكر نحو هذا الشيخ عبد الرحمن بن حسن في (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص: ١٨٣)

٧٣] قال أبو حيان: " ضـارب المثل هو الله تعالى، ضرب مثلًا لما يعبد من دونه فاستمعوا لحال هذا المثل "(١)

قال ابن القيم رحمه الله: "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره؛ فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقلٌ عبادتها من دون الله "(٢) انتهى كلامه.

قال ابن القيم -رحمه الله-في كلامه عن قول الله تعالى:﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان١١]: "فلله ما أحلى هذا اللفظ وأوجزه وأدله على بطلان الشرك فإنهم إن زعموا أن آلهتهم خلقت شيئا مع الله طولبوا بأن يروه إياه وإن اعترفوا بأنها أعجز وأضعف واقل من ذلك كانت آلهيتها باطلا ومحالا. ومن ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف٤] فطالبهم بالدليل العقلي والسمعي. وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد١٦] فاحتج على تفرده بالإلهية بتفرده بالخلق وعلى بطلان إلهية ما سواه بعجزهم عن الخلق وعلى أنه واحد بأنه قهار والقهر التام يستلزم الوحدة فإن الشركة تنافي تمام القهر "(٣)

٣- عجزها عن حماية غيرها: ومن أحسن الأمثال وأدلّها على بطلان الشرك، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٣٩٠

(٢) إعلام الموقعين ١/ ١٨١.

(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦٥)

يَعْلَمُونَ * إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤١ - ٤٣]

"فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتاً وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء؛ فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفاً إلى ضعفهم "(١)

"فهذه الأمثلة السابقة وغيرها تدل على ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه وقد بيّن الله - عز وجل - ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَالله هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[المائدة: ٧٦] ، ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ *أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ *إِنَّ وَلِيِّيَ الله الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ*وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٨] "فبين الله عجز هذه الأصنام، وأنها لا تصلح أن تكون معبودة من أربعة وجوه، هي:١. أنها لا تخلق، ومن لا يخلق لا يستحق أن يعبد. ٢. أنهم مخلوقون من العدم، فهم مفتقرون إلى غيرهم ابتداء ودواما. ٣. أنهم لا يستطيعون نصر الداعين لهم، وقوله: " ولا يستطيعون " أبلغ من قوله: " لا ينصرونهم " لأنه لو قال: " لا ينصرونهم " فقد يقول قائل: لكنهم يستطيعون، لكن لما قال: ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً﴾ ٢ كان أبلغ لظهور عجزهم. ٤. أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم. "(٢)وقال تعالى:﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان:

(١) انظر: تفسير البغوي،٣/ ٤٦٨،وأمثال القرآن لابن القيم، ص٢١،وفتح القدير للشوكاني،٤/ ٢٠٤

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ٢٨٤)

٣]، وقال تعالى ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون٩١]قال ابن القيم رحمه الله: "فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه بل إن قدر على قهره وتفرده بالإلهية دونه فعل وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضا بممالكهم. فإذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد أمور ثلاثة: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.وإما أن يعلو بعضهم على بعض.وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع من حكمهم عليه ولا يمتنعون من حكمه عليهم فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون.

وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لا رب له غيره فذاك تمانع في الفعل والإيجاد وهذا تمانع في العبادة والإلهية فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان يستحيل أن يكون له إلهان معبودان "(١).

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا.

"وفي "الصحيح" عن أنس -رضي الله عنه- قال: شُجَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: "كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم" فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾(٢) وفيه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللّهم العن فلاناً وفلاناً" بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد". فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾"(٣)فيهما دليل على بطلان الشرك بالأولياء والصالحين، لأنه إذا كان الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يدفع عن نفسه الضر، فإنه لم يقدر أن يدفع أذى المشركين عن نفسه ولا عن أصحابه، بل لجأ إلى ربه القادر المالك، مما يدل على بطلان ما يعتقده عبّاد القبور في الأولياء

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦٣-٤٦٤)

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً

(٣) أخرجه البخاري برقم "٤٠٦٩".

والصـــالحين. وهكذا فإنه ليس له من الأمر شيءٌ، فغير من باب أولى؛ وهذا يدل على بطلان الشـرك بالأولياء والصالحين"[1]

فهذه بعض الأدلة والبراهين الدلة على أن الله سبحانه " قد أقام حجة التوحيد وبين إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها لم يستكرهها غموض ولم يشنها تطويل ولم يعبها تقصير ولم تزر بها زيادة ولا نقص بل بلغت في الحسن والفصاحة والبيان والإيجاز مالا يتوهم متوهم ولا يظن ظان أن يكون أبلغ في معناها منها وتحتها من المعنى الجليل القدر العظيم الشرف البالغ في النفع ما هو أجل من الألفاظ" قاله ابن القيم رحمه الله [2]

الأمثال المضروبة لوصف حالة المشرك[3] :

نذكر منها أربعة أمثال، هي:

أ- مثل المشرك بالساقط من السماء.

ب- مثل المشرك بالحيران في الأرض.

ج- مثل المشرك بالعبد المملوك لجماعة كثيرين.

د-مثل المشرك كمثل عبد اشتراه رجل فكان هذا العبد يعمل ويؤدي إلى غير سيده:

أ- ضرب الله سبحانه وتعالى مثل المشرك بالذي يهوي من السماء فتخطفته الطير أو هوت به الريح في مكان سحيق، قال تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[سورة الحج آية ٣١]

يحث الله سبحانه وتعالى عباده على إخلاص التوحيد له وإفراده بالطاعة والعبادة دون الأوثان؛ لأن من يشرك بالله شيئًا من دونه فمثله في بعده عن الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه مثل من

---

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد للفوزان (ص: ١٢٧-١٣٠)

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦٧)

(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد ملكاوي (ص: ١٧٣ وما بعدها) ومراجع أخرى مذكورة في الحواشي

خر من السماء فتخطفته الطير فهلك أو هوت به العواصف في مكان بعيد، فعن قتادة قال: فكأنما خر.. الآية، قال: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه "[1]اهـ.

"فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلق بغيره ويجوز في هذا التشبيه أمران:

أحدهما: أن نجعله من التشبيه المركب، فيكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل أهلك نفسه هلاكًا لا يرجى معه نجاة، فحاله كحال من سقط من السماء فاختطفته الطير في الهواء ومزقته في حواصلها، أو عصفت به الريح فسقط في مكان عميق.

وعلى هذا التشبيه المركب لا ننظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

ثانيهما: أن نجعله من التشبيه المفرق فيقابل كل واحد من أجزاء الممثل بالممثل به، فيكون قد شبه التوحيد في علوه وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد، وشبه تارك التوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين لما يجده من التضييق والشدة، وشبه الشياطين التي تؤزه وتتقاسم قلبه بالطير التي تتقاسم لحمه، وشبه هواه الذي ألقاه في التهلكة بالريح التي هوت به في مكان سحيق "[2]اهـ.

ب- وضرب الله تعالى مثل المشرك في عبادته الأصنام كمثل رجل في الفلاة حائر وله أصحاب مسلمون موحدون يدعونه للهدى فلا يتبعهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام آية ٧١].

يأمر سبحانه وتعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار أنخص بالعبادة الأصنام وندع عبادة الله فنرجع القهقرى لم نظفر بحاجتنا؟ فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي سيّرته الشياطين في الأرض حيران ضالًّا عن المحجة، ولهذا الحيران أصحاب مسلمون يدعونه لما هم عليه من الهدى الذي هم عليه مقيمون، والصواب الذي هم به متمسكون وهو ويعاندهم ويتبع الشياطين الداعية له لعبادة الأوثان.

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥٥/١٧

(٢) انظر أعلام الموقعين ١٨٠/١

عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو..﴾ الآية قال: "هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها وللدعاة الذين يدعون إلى الله، كمثل رجل ضل الطريق إذ ناداه منادٍ: يا فلان ابن فلان هلم إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه: يا فلان هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق"(١).

وهذا المثل في غاية الحسن؛ وذلك لأن الذي يهوي من المكان العالي إلى الوهدة العميقة يهوي إليها مع الاستدارة على نفسه كالحجر حال نزوله من أعلى، فإنه لا ينزل إلا مع الاستدارة وذلك يوجب كمال التردد والحيرة؛ لأنه عند نزوله من أعلى إلى أسفل لا يعرف على أي شيء يسقط عليه، قال أبو حيان: "ولا تجد للخائف الحائر أكمل ولا أحسن من هذا المثل"، وعن مجاهد قال: "حيران: هذا مثل ضربه الله للكافر، يقول: الكافر حيران يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب"(٢) اهـ.

ج- وضرب الله تعالى مثل المشرك بالعبد المملوك لجماعة كثيرين. والموحد بالعبد المملوك لرجل واحد، ثم بين سبحانه أنهما لا يستويان، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر آية ٢٩].

هذا المثل يبين حالة المشرك بالله الذي يعبد آلهة شتى ويطيع الشياطين، وحالة المؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، فالمشرك كالعبد المملوك لجماعة مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم، وكل واحد منهم يستخدم هذا العبد لمصلحته، وأما الموحد فهو كالعبد المملوك لشخص واحد، فهو مطمئن ومستريح من تشاحن الخلطاء والشركاء عليه؛ لأن الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون وأخلاقهم سيئة، كلهم يتلقونه آخذين بطرفه لملكهم له ولأن لكل منهم حقًّا عليه، والموحد يملكه إله واحد، فلا يستوي هذا ومن جعل في عنقه حقوقًا لآلهة متعددة"(٣).

يقول ابن القيم: "ومنها قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاء﴾ الآية، هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون، والرجل

---

(١) تفسير الطبري ٢٣٦/٧ وانظر البحر المحيط ١٥٦/٤

(٢) البحر المحيط ١٥٦/٤ وانظر تفسير الطبري ٢٣٧/٧ وتفسير القرطبي ١٨/٧ وتفسير ابن كثير ١٤٥/٢

(٣) انظر تفسير الطبري ٢١٣/٢٣ وغيره

المتشاكس الضيق الخلق، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين.

والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ وهذا من أبلغ الأمثال، فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين، الحمد لله بل أكثرهم لا يعملون"(١)اهـ

د-مثل المشرك كمثل عبد اشتراه رجل فكان هذا العبد يعمل ويؤدي إلى غير سيده:

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن أحسن هذه الأمثال وأبلغها وأعظمها تقريبا إلى الأفهام ما رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث الْحَارِث الْأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ. جَلَّ وَعَلَا. أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ يَعْمَلُ بِهِنَّ وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلِ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ... قَالَ: فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَتْ وَجَلَسُوا عَلَى الشُّرُفات فَوَعَظَهُمْ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ـ جَلَّ وَعَلَا. أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تعبُدوا اللَّهَ وَلَا تُشركوا بِهِ شَيْئًا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا بِخَالِصِ مَالِهِ ــ بذهبٍ أَوْ وَرِقٍ ــ وَقَالَ لَهُ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَجَعَلَ الْعَبْدُ يَعْمَلُ ويؤدِّي إِلَى غَيْرِ سيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يسرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ هَكَذَا وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشركوا بِهِ شَيْئًا)) الحديث"(٢)

قال الشيخ الغنيمان: "هذا حديث عظيم يجب أن يتأمل ثم يعمل به، ولا شك أنه خرج من مشكاة النبوة وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم فيه من العبر: أن التوحيد دين الأنبياء كلهم" ثم ذكر الحديث: ((أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تعبُدوا اللَّهَ وَلَا تُشركوا بِهِ شَيْئًا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا بِخَالِصِ مَالِهِ، فَجَعَلَ الْعَبْدُ يَعْمَلُ ويؤدِّي إِلَى غَيْرِ سيِّدِهِ)) وقال: " هذا مثل المشرك، فالله خلق الناس ولم يشاركه في خلقهم أحد، ورزقهم وعافاهم وأنعم عليهم بسائر النعم، ثم كثير منهم يعبد غيره، فمثالهم مثل العبد الذي أساء المعاملة لسيده، اشتراه بخالص ماله، فصار يأخذ غلة عمله ويذهب بها إلى غير

---

(١) أعلام الموقعين ١/١٨٧

(٢) أعلام الموقعين (١/ ٢٣٠). والحديث رواه أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني.

سـيده، من الذي يرضى مثل هذا؟ لهذا قال: (أيكم يسرـه أن يكون عبده كذلك؟)، لا أحد يرضى هذا لنفسه فكيف يرضاه لربه جل وعلا؟! والمقصود: أن الخلق كلهم عبيد لله جل وعلا: فلا يسوغ للعبد أن يخضع لعبد مثله، وأن يصرف العبادة إلى عبد فقير محتاج مثله، فإن فعل ذلك فهو ضال في دينه وعقله"[1]

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (٨/١٠٦) بترقيم الشاملة

الفصل الثانى: بيان حال المعبودات وعابديها:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضلال وشقاء المشركين وحالهم مع معبوداتهم الباطلة:

إن بيان ضلال وشقاء المشركين وحالهم مع معبوداتهم الباطلة، إن ذلك من جملة البراهين الدالة على بطلان الشرك، فهذا المبحث هو في الحقيقة جزء من الموضوع السابق(الأدلة على بطلان الشرك) ولكن أفردناه بالذكر لزيادة التوضيح والبيان. والله المستعان.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآيتين.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتابه "التوحيد" عند ذكر فوائد الآية: "أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس".

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في شرحه لكتاب التوحيد:

" هذه الأمور سبب كونه أضل الناس: وذلك لأمور هي:

١. أنه يدعو من دون الله من لا يستجيب له.

٢. أن المدعوين غافلون عن دعائهم.

٣. أنه إذا حشر الناس كانوا له أعداء.

٤. أنه كافر بعبادتهم "[1]انتهى.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، هو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾، فهؤلاء المعبودون إن كانوا يبعثون ويحشرون، فكفرهم بشركهم ظاهر كمن يعبد عزيرا والمسيح، وإن كانوا أحجارا وأشجارا ونحوها، فيحتمل أن يشملها ظاهر الآية، وهو أن الله يأتي بهذه الأحجار ونحوها، فتكفر بشرك من يشرك بها، ويؤيده قوله تعالى: ﴿تَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وما ثبت في "الصحيحين" عن النبي صلى الله عليه وسلم " أنه عند بعث الناس يقال لكل أمة: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله "

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٨١)

فالحجر يكون أمامهم يوم القيامة، ويكون له كلام ينطق به، ويكفر بشركهم، فإذا كانت المعبودات تحضر وتحصب في النار إهانة لعابديها وتحضر لتتبع إلى النار، فلا غرو أن تكفر بعابديها إذا أحضرت "[1] انتهى.

المبحث الثاني: عبدة الطاغوت تقودهم آلهتهم حقيقة وأما عيسى وعزير وغيرهما فيمثل لهم أشباههم:

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله:

"ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِمَّا عَاقِلٌ أَوْ غَيْرُ عَاقِلٍ؛ فَالْعَاقِلُ كَالْآدَمِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ، وَيَنْقَسِمُونَ إِلَى قِسْمَيْنِ: رَاضٍ بِالْعِبَادَةِ لَهُ، وَغَيْرُ رَاضٍ بِهَا. فَالْأَوَّلُ كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الطَّوَاغِيتِ، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ مَعَ عَابِدِيهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٦٦]، وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ إِبْلِيسَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، وَقَالَ فِي شَأْنِ فِرْعَوْنَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هُودٍ: ٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٢٨]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَالْقَسْمُ الثَّانِي وَهُوَ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لِلَّهِ وَغَيْرَ رَاضٍ بِالْعِبَادَةِ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَعِيسَى وَمَرْيَمَ وَعُزَيْرٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ، فَهُمْ بُرَآءُ مِمَّنْ عَبَدَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [الْمَائِدَةِ: ١١٦] إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٨٦-٢٨٧)

الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سَبَأ: ٤٠] ، وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ كُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَأُمِّهِ وَعُزَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُطْلَقًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا، فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ١٧-١٩] ، الْآيَةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ. وَأَمَّا غَيْرُ الْعَاقِلِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا يَعْقِلُ فَيَشْمَلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٩٨، ٩٩] ، وَلَكِنَّ الْأَحْجَارَ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا وَإِنَّمَا يُعَذَّبُ بِهَا مَنْ عَبَدَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٦] الْآيَةَ، وَكَمَا يُعَذَّبُ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ بِهِمَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣٤، ٣٥] .

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي الشَّفَاعَةِ بِطُولِهِ وَفِيهِ: "يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؛ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ". وَفِيهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ؛ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ" الْحَدِيثَ. ... ويمثل لَهُمْ أَشْبَاهُ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ هَذَا فِي مِثْلِ عِيسَى وَعُزَيْرٍ. وَأَمَّا عَبْدَةُ الطَّاغُوتِ فَتَقُودُهُمْ طَوَاغِيتُهُمْ حَقِيقَةً لَا أَشْبَاهَهَا كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(١)

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٨٦-٤٨٩)

الباب الخامس:
معنى الطاغوت وصفة الكفر به وذكر أشهر أوثان المشركين:

وفيه فصلان مع مسائلهما:

الفصل الأول: معنى الطاغوت وصفة الكفر به:

قال الشيخ الفوزان:

"قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ هذا هو معنى "لا إله إلاَّ الله"، لأن "لا إله إلاَّ الله" معناها: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، مثل قوله: " ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ " نفيٌ وإثبات.

ولاحظوا قوله:" ﴿وَاجْتَنِبُوا﴾ "، ما قال: اتركوا عبادة الطاغوت؛ لأن "اجتنبوا" أبلغ؛ يعني: اتركوا كل الوسائل التي توصِّل إلى الشرك ٤ والاجتناب أبلغ من الترك، فالاجتناب معناه: أننا نترك الشيء ونترك الوسائل والطرق التي توصِّل إليه، فهذه الآية فيها: أن الرسل بُعثوا بالتّوحيد، الذي هو عبادة الله وترك عبادة الطاغوت، من أولهم إلى آخرهم"(١)

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٨)

معنى الطاغوت لغة واصطلاحا:

معنى الطاغوت في اللغة:

قال الخليل بن أحمد: "طغو، طغي: الطُّغْيان: الواوُ لغةٌ فيه، وقد طَغَوْتِ وطَغَيْتُ، والاسم الطَّغْوَى. وكل شيء يجاوز القدر فقد طَغَى مثلَ ما طَغَى الماءُ على قَوْمِ نُوْحٍ، وكَمَّا طغتِ الصَّيحةُ على ثَمُودَ"(١)

وفي مختار الصحاح: "طَغَا يطْغَى بفتح الغين فيهما ويطْغُو طُغْياناً و طُغْوَانا أي جاوز الحد وكل مجاوز حده في العصيان طَاغٍ و طَغِيَ بالكسر مثله"(٢)

قال ابن منظور: "والطاغوت يَقَعُ عَلَى الْوَاحِد وَالْجَمْع وَالْمُذَكَّر وَالْمُؤَنَّث"(٣)

معنى الطاغوت اصطلاحًا:

قال عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين: «وأما تعريف الطاغوت: فهو مشتق من طغا، قال الواحدي: قال جميع أهل اللغة: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله، يكون واحدًا وجمعًا، ويذكر ويؤنث، وقال الجوهري: الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال، وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف: كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين: الطاغوت الشيطان. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهو قول قوي جدًا، فإنه يشتمل كل ما عليه أهل الجاهلية من: عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها.

وقال الواحدي عند قول الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]:كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت؛ قال ابن عباس في رواية عطية: الجبت الأصنام، والطاغوت سدنة الأصنام الذين يكونون بين أيديها يعبرون عنه الكذب ليضلوا الناس، وقال في رواية الوالبي: الجبت الكاهن، والطغوت الساحر.

وقال بعض السلف في قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، إنه كعب بن الأشرف. وقال بعضهم: حيّ بن أخطب. قال ابن كثير رحمه الله تعالى-لما ذكر كلام بعض

---

(١) العين (٤/ ٤٣٥)

(٢) مختار الصحاح - ط مكتبة لبنان (ص: ٤٠٣)

(٣) لسان العرب (٨/ ٤٤٤)

المفسرين-في تفسير الآية:﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] قال: والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة، لمن عدل عن الكتاب والسنَّة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا. انتهى.

فتحصَّل من مجموع كلامهم رحمهم الله تعالى أن اسم «الطاغوت» يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه، ويشمل أيضًا كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله، ويشمل أيضًا الكاهن والساحر وسدنة الأوثان الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضلَّة للجهَّال، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب أو من فعل الشياطين، ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه، وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان، فهو الطاغوت الأكبر، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا»(١) انتهى كلام عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين.

أجمع ما قيل في تعريف الطاغوت:

قال الشيخ سليمان بن سمحان رحمها الله تعالى: "وأما حقيقة الطاغوت والمراد به، فقد تعددت عبارات السلف عنه، وأحسن ما قيل فيه، كلام ابن القيم رحمه الله تعالى حيث قال: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع. انتهى.

وحاصله: أن الطاغوت ثلاثة أنواع؛ طاغوت حكم، وطاغوت عبادة، وطاغوت طاعة، ومتابعة"(٢)

قال ابن عثيمين: "وأجمع ما قيل في تعريف الطاغوت هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله بأنه: ما تجاوز به العبد حده من متبوع، أو معبود، أو مطاع(٣)

---

(١) «مجموعة التوحيد»: (ص ٤٩٨ - ٥٠٠)

(٢) «الدرر السنية»: (١٠/ ٥٠٢ - ٥٠٥)

(٣) إعلام الموقعين ١/ ٥٠

ومراده من كان راضيا بذلك، أو يقال: هو طاغوت باعتبار عابده، وتابعه، ومطيعه، لأنه تجاوز به حده؛ حيث نزله فوق منزلته التي جعلها الله له، فتكون عبادته لهذا المعبود، واتباعه لمتبوعه، وطاعته لمطاعه طغيانا لمجاوزته الحد بذلك.

فالمتبوع مثل: الكهان، والسحرة، وعلماء السوء.

والمعبود مثل: الأصنام وكل ما عبد من دون الله.

والمطاع مثل: الأمراء الخارجين عن طاعة الله، فإذا اتخذهم الإنسان أربابا يحل ما حرم الله من أجل تحليلهم له، ويحرم ما أحل الله من أجل تحريمهم له، فهؤلاء طواغيت، والفاعل تابع للطاغوت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: من الآية٥٠]"(١)

المراد بالجبت والطاغوت في قوله تعالى:﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: قوله:﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم، وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: الجبت: الشيطان زاد ابن عباس بالحبشية وعن ابن عباس أيضًا الجبت: الشرك، وعنه الجبت: الأصنام، وعنه الجبت: حيي بن أخطب، وعن الشعبي الجبت: الكاهن. وعن مجاهد الجبت: كعب ابن الأشرف. قلت: الظاهر أنه يعم ذلك كله كما قال الجوهري: الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك"(٢)

قال ابن قاسم: "تفسير عمر هذا من تفسير الشيء ببعض أفراده، ومراده أن السحر داخل في الجبت، وفي الكليات: (الجبت الشيطان أو الساحر) اهـ، والجبت هو الباطل، والسحر منه؛ لأنه باطل خلاف الحق"(٣)

وقال الجوهري: الجبت: كلمة تقع على الصنم والساحر والكاهن ونحو ذلك.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٨-٢٩)

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٠٧-٣٠٨)

(٣) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٨٧)

وقال شيخ الإسلام: " وقد قال غير واحد من السلف: " الجبت: السحر، والطاغوت: الأوثان "، وبعضهم قال: "الشيطان" وكلاهما حق "(١)

وقال الدويش في توضيحه لمسائل كتاب التوحيد: ("الرابعة "أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس) أي إذا قيل إنه الشيطان فهو من الجن وإذا قيل إنه الكاهن فهو من الإنس "(٢)

الفرق بين الصنم والوثن:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "الصنم ما كان منحوتا على صورة البشر ـ والوثن ما كان منحوتا على غير ذلك ذكره الطبري عن مجاهد والظاهر أن الصنم ما كان مصورا على أي صورة والوثن بخلافه كالحجر والبنية وإن كان الوثن قد يطلق على الصنم ذكر معناه غير واحد ويروي عن بعض السلف ما يدل عليه "(٣)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: والأصنام: جمع صنم، وهو ما جعل على صورة إنسان أو غيره؛ يعبد من دون الله. أما الوثن: فهو ما عبد من دون الله، على أي وجه كان، وفي الحديث: " لا تجعل قبري وثنا يعبد ". فالوثن أعم من الصنم "(٤)

وقال الشيخ الفوزان: "الصنم هو: ما كان على صورة حيوان، أما ما عُبد وهو على غير صورة حيوان، كالشجر والحجر والقبر فهذا يسمى وثناً، فالوثن أعم من الصنم، لأن الصنم لا يُطلق إلاَّ على التِّمثال، وأما الوثن فيُطلق على التِّمثال وغيره، حتى القبر وثن إذا عُبد، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللّهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد"، فالوثن كل ما عُبد من دون الله على أي شكل كان "(٥)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: "والصنم هو: ما جُعِلَ على صورة مما يُعبد من دون الله، كشكل وجه رجل، أو شكل جسم حيوان، أو رأس حيوان، أو صورة كوكب، أو نجم أو شكل الشمس أو القمر ونحو ذلك كله وما أشبهه يطلق عليه أنه صنم. والوثن هو: ما عُبد من دون الله، مما ليس على هيئة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٠٢)

(٢) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، ص١٤١)

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص: ٩٢)

(٤) القول المفيد (١/ ١١٦)

(٥) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٧٢)

صورة، فالقبر وثن، وليس بصنم، وكذلك: المشهد، أعني: مشاهد القبور عند عُبَّادها، فهذه أوثان، وليست بأصنام. وقد يطلق على الصنم اسم الوثن، كما قال - جل وعلا - في قصة إبراهيم في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]ولكن هذا يطلق على قلة"(١)

الطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة:

وقال الفوزان-في شرح الأصول الثلاثة-: "قوله: والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: الطواغيت الذين ينطبق عليهم هذا التعريف: كل معبود أو متبوع أو مطاع كثيرون؛ ولكن رؤوسهم خمسة يعني أكابرهم خمسة.

الأول: إبليس لعنه الله، فإبليس لعنه الله رأس الطواغيت لأنه هو الذي يأمر بعبادة غير الله، وهو الذي يأمر باتباع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يأمر بطاعة غير الله بالتحليل والتحريم، فإبليس هو مصدر الشر وهو رأس الطواغيت.

الثاني: من عُبِدَ وهو راض، أي: عبد وهو راض بعبادة الناس له فهو طاغوت، أما من عبد وهو غير راض بذلك فلا يدخل في هذا؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله ولكنه غير راض بذلك، وأمه وعزير والأولياء والصالحون من عباد الله لا يرضون بهذا، بل كانوا ينكرون هذا ويحاربون من فعله، فمن عبد وهو غير راض بذلك فإنه لا يسمى طاغوتا.

الثالث: من دعا الناس إلى عبادة نفسه: مثل رؤوس المشركين الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم مثل فرعون قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ومثل النمرود ومثل غلاة الصوفية الذين يدعون الناس إلى عبادتهم

الرابع: من ادعى شيئا من علم الغيب: وهذا يدخل فيه السحرة والمنجمون والكهان والرمالون وكل من يدعي أنه يعلم الغيب ويقول للناس: سيحصل لكم كذا وكذا، أنت سيحصل لك سعادة أو يحصل لك شيء من التعب، أو توفق في زواج أو لا توفق، هؤلاء يدعون علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥١)

الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله: ودليله قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] فالذي يحكم بغير ما أنزل الله مستحلا لذلك يكون طاغوتًا، والذي يقول: أنه يجوز أن يتحاكموا إلى القانون أو إلى العوائد في الجاهلية أو عوائد القبائل والبادية ويتركوا الشرع، هذا يعتبر طاغوتًا"(١)

متى يُوصف الشخص ويُعيّن بأنه طاغوت:

"يُفرد الشخص باسمه وعينه على أنه طاغوت إذا دعا إلى الشرك أو لعبادة نفسه أو ادعى شيئا من علم الغيب أو حكم بغير ما أنزل الله متعمدا ونحو ذلك"(٢)

من عُبد من دون الله وهو غير راض بذلك فلا يسمَّى طاغوتًا:

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: " فإن كان المعبود صالحا صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بها، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾"(٣)

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "لكن من عبد من دون الله وهو غير راض بذلك كالأنبياء والصالحين لا يسمَّى طاغوتًا وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعاهم إلى ذلك وزينه لهم من الجن والإنس"(٤)

وقال الشيخ الفوزان: "لكن من عُبد من دون الله ولم يرضَ بذلك فهذا لا يُسمى طاغوتاً، مثل: عيسى عليه السلام؛ كذلك: عباد الله الصالحين كالحسن والحسين، والأولياء الذين لم يرضوا أن يُعبَدوا من دون الله؛ هؤلاء لا يسمون طواغيت، ولكن عبادتهم عبادة للطاغوت الذي هو الشيطان، فهؤلاء الذين يعبدون الحسين وأمثاله، هؤلاء يعبدون الشيطان؛ لأنه هو الذي أمرهم بهذا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ٣٠٠-٣٠٥)

(٢) (فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٧٨٥) و(فتاوى ابن عثيمين ٢/ ١٩٨)

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٩١-٣٩٢)

(٤) «فتاوى اللجنة الدائمة »: (١/ ٥٤٢، ٥٤٣)

ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يعني: الشياطين، ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾"(١)

صفة الكفر بالطاغوت:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «اعلم رحمك الله تعالى أن أوَّل ما فرض الله على ابن آدم: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتُكفّر أهلها وتعاديهم"(٢)

المعبودات الباطلة تكفر بمن عبدها مطلقًا:

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "وقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ قال ابن كثير: يتبرأون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾.

قال وقوله: ﴿لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ٤ أي ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى. فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٧)

(٢) مجموعة التوحيد: (ص ٣٢٩)، والدرر السنية (١/ ١٦١)

قلت: والمشركون لم يُسلموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم فقالوا: تملك وتسمع وتستجيب وتشفع لمن دعاها، ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير من أن كل معبود يعادي عابده يوم القيامة ويتبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قال مجاهد: ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ قال: يقول ذلك كل شيء كان يُعبد من دون الله"(١)

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ هو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾، فهؤلاء المعبودون إن كانوا يبعثون ويحشرون، فكفرهم بشركهم ظاهر كمن يعبد عزيرا والمسيح. وإن كانوا أحجارا وأشجارا ونحوها، فيحتمل أن يشملها ظاهر الآية، وهو أن الله يأتي بهذه الأحجار ونحوها، فتكفر بشرك من يشرك بها، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وما ثبت في "الصحيحين" عن النبي صلى الله عليه وسلم " أنه عند بعث الناس يقال لكل أمة: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله "، فالحجر يكون أمامهم يوم القيامة، ويكون له كلام ينطق به، ويكفر بشركهم، فإذا كانت المعبودات تحضر وتحصب في النار إهانة لعابديها وتحضر لتتبع إلى النار، فلا غرو أن تكفر بعابديها إذا أحضرت"(٢)

المعبود في الحقيقة هو الشيطان:

قال ابن تيمية: "ولهذا كان كل من لم يعبد الله وحده، فلا بد أن يكون عابداً لغيره، يعبد غيره فيكون مشركاً، وليس في بني آدم قسم ثالث. بل إما موحد أو مشرك أو من خلط هذا بهذا كالمبدلين من أهل الملل: النصارى ومن أشبههم من الضلال المنتسبين إلى الإسلام. فكل من لم يعبد الله مخلصاً له الدين فلا بد أن يكون مشركاً عابداً لغير الله، وهو في الحقيقة عابد للشيطان. فكل واحد من بني آدم إما

---

(١) فتح المجيد (ص: ١٨٣-١٨٤)

(٢) القول المفيد (١/ ٢٨٦-٢٨٧)

عابد للرحمن وإما عابد للشيطان. قال تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾"(١).

وفي حاشية ابن قاسم: "في الصحيح " عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت) والمعبود في الحقيقة هو الشيطان الذي زين لهم عبادتها، وأمرهم بها كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾"(٢)

وهكذا قال إبراهيم الخليل لأبيه: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ وقد كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام.

---

(١) مجموع الفتاوى(١٤ / ٢٨٢-٢٨٥)

(٢) حاشية كتاب التوحيد (ص: ١٤٧-١٤٩)

الفصل الثانى: معرفة صفة عبادة اللات وأشهر أوثان المشركين:

وهذا الفصل فيه مبحثان، وهما كما يلي:

المبحث الأول: معرفة صفة عبادة اللات وقصته:

قال المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: باب ما جاء أن الغُلُوّ في قبور الصالحين يصيّرها أوثاناً تُعبَد من دون الله:

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

ثم ذكر مسائل الباب ومنها: - وهي من أهمها- صفة معرفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان. ومنها: معرفة أنه قبر رجل صالح. ومنها: أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية "(١)

قوله: «وكذا قال ابن الجوزاء عن ابن عباس كان يلُتُّ السويق للحاج »، وهذا الأثر رواه البخاري في صحيحه. والشاهد منه للترجمة أنهم غلوا فيه لأجل صلاحه واتخذوه وثناً بتعظيمه وعبادته، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية "(٢)

وفي شرح فتح المجيد للغنيمان: " صفة عبادة اللات وقصته

[السادسة: وهي من أهمها: معرفة صفة عبادة اللات التي هي أكبر الأوثان] يقصد بهذا قول مجاهد وغيره: إنه كان رجل يلت السويق، يعني: يجعل فيه السمن ويخلطه به ثم يقدمه إلى من أتى إليه، ثم مات فدفن تحت صخرة فعبدوه، وصاروا يطوفون عليها ويعظمونها تعظيماً لذلك الشخص، فقصده بهذا أن هذا الفعل نفسه هو الذي يفعله كثير من الناس اليوم تعظيماً لذلك الميت كما عظم المشركون اللات، وكما أنها عبادة منهم للات فكذلك الذين يصنعون نظير هذا الصنيع للمقبورين اليوم هم يعبدونهم، هذا هو المقصود.

---

(١) كتاب التوحيد

(٢) الدر النضيد (ص: ١٤٦)

[السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح]يعني: اللات رجل صالح، سواء كان صلاحه لأنه متبع لدين الله جل وعلا، ومعروف أن العرب كانوا على بقايا من دين إبراهيم، وبعضهم كان حنيفاً ما كان يشرك، مثل زيد بن نفيل ومثل القس بن ساعدة، ومثل ورقة بن نوفل وغيرهم ممن كان المشركون يسمونهم الموحدين؛ لأنهم يجتنبون الأصنام، ولا يأكلون مما يذبح لغير الله، ويتعبدون لله وحده، على حسب طاقتهم واجتهادهم وقدرتهم: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقد استدلوا بفطرتهم على أن الشرك لا يجوز، فإذا كان اللات من هذا الصنف فإنه يكون صالحاً، أو أن معنى صلاحه أنه يفعل الخير ويقدمه للناس، ويحسن إليهم، فلما مات فعلوا به ما صاروا به عبيداً له.

[الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية]صاحب القبر اللات، يعني: أنه اشتق له هذا الاسم من فعله وهو اللت، وهذا على قراءة التشديد، وقد يكون أيضاً على قراءة التخفيف؛ لأن التخفيف قد يكون لكثرة الاستعمال، وإن كان الأصل فيه أنه مشدد، فهو مأخوذ من اللت، أما على قول ابن عباس في الرواية الأخرى: أنه اشتق له اسم من الله سموه اللات أخذاً من اسم الله جل وعلا؛ لأنه مألوه، فهذا لا ينافي هذا القول، لأنه يجوز هذا وهذا، فإذا كان يلت، فهم كذلك ألهوه، وجعلوه إلهاً مع الله جل وعلا"(١)

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (٦٥/ ١٤، بترقيم الشاملة)

المبحث الثاني: أشهر أوثان المشركين: اللات والعُزّى ومناة:

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾ [النجم:١٩-٢٠] قال القرطبي: «إن فيها حذفاً تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرَّت حتى تكون شركاء لله». والشاهد من الآيات أن أهل الجاهلية إنما عبدوا هذه الأوثان وعظّموها لما يعتقدونه ويرجونه ويؤمِّلونه من بركتها وشفاعتها، وهذا هو الذي يقصده مشركو أزماننا ممن عبدوه سواء بسواء. فالتبرك بالمشايخ وقبور الصالحين كالتبرك باللاّت، والتبرك بالأشجار كالتبرك بالعُزَّى، والتبرك بالأحجار كالتبرك بمناة، وهذه الأوثان الثلاثة من أعظم أوثان أهل الجاهلية فـ«اللاّت» بتخفيف التاء في قراءة الجمهور وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغيرهم بتشديد التاء، فعلى الأول قال الأعمش: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان. وعلى قراءة التشديد كان رجلاً يلتُّ السويق للحاج، فمات، فعكفوا على قبره. ذكره البخاري.

و(اللات)كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له استار وسدنة وهم بنو مغيث. قاله ابن كثير، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

وأما (العزى) فقال ابن جرير: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنَخْلَةَ بين مكة والطائف كانت قرش يعظّمونها. وأما (مناة) فكانت بالمشلّل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وفي صحيح البخاري في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها "أنها صنم بين مكة والمدينة"، وأصل اشتقاقها من اسم الله المنان، وقيل سميت مناة لكثرة ما يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها"(١)

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم:١٩-٢٣] قال ابن عثيمين: قوله: " الثالثة الأخرى ": إشارة إلى أن التي تعظمونها، وتذبحون عندها، وتكثر إراقة الدماء حولها. أنها أخرى بمعنى متأخرة؛ أي: ذميمة حقيرة، مأخوذة من قولهم: فلان أخر؛ أي: ذميم، حقير، متأخر. فهذه الأصنام

(١) الدر النضيد، سليمان بن حمدان (ص: ٧٩-٨٠) باختصار

الثلاثة المعبودة عند العرب ما حالها بالنسبة لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا شيء، وإنما ذكر هذه الأصنام الثلاثة لأنها أشهر الأصنام وأعظمها عند العرب"(١)

قال ابن كثير: " اللَاتُ : كَانَتْ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مَنْقُوْشَةً، عَلَيْهَا بَيْتٌ وَأَسْتَارٌ وَسَدَنَةٌ وَحَوْلَهُ فِنَاءٌ مُعظَّمٌ عِنْدَ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَهُمْ ثَقِيْفٌ وَمَنْ تَبِعَهَا، بَعَثَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا الْمُغِيْرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فَهَدَمَهَا وَحَرَّقَها بِالنَّارِ.

وَالعُزَّى : كَانَتْ شَجَرَةً عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَأَسْتَارٌ بِنَخْلَةَ (مَكَانٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ) كَانَتْ قُرَيْشُ يُعَظِّمُونَها(٢)، وَلَمَّا فَتَحَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ إِلَيْهَا فَهَدَمَهَا.

وَأَمَّا مَنَاةُ: فَصَنَمٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِيْنَةِ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ وَالأَوْسُ وَالخَزْرَجُ يُعَظِّمُونَهَا وَيُهِلُّوْنَ مِنْهَا لِلحَجِّ إلى الكعبة، بَعَثَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا فَهَدَمَهَا عَامَ الفَتْحِ "(٣)

وفي "الدر النضيد": " وأما مناة... ففي صحيح البخاري في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها "أنها صنم بين مكة والمدينة"، وأصل اشتقاقها من اسم الله المنان، وقيل سميت مناة لكثرة ما يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها"(٤)

وقال ابن عثيمين: "قوله: " اللات ": تقرأ بتشديد التاء وتخفيفها، والتشديد قراءة ابن عباس؛ فعلى قراءة التشديد تكون اسم فاعل من اللّتِّ، وكان هذا الصنم أصله رجل يلت السويق للحجاج؛ أي: يجعل فيه السمن، ويطعمه الحجاج، فلما مات عكفوا على قبره وجعلوه صنما. وأما على قراءة التخفيف؛ فإن اللات مشتقة من الله، أو من الإله؛ فهم اشتقوا من أسماء الله اسما لهذا الصنم، وسموه اللات، وهي لأهل الطائف ومن حولهم من العرب.

---

(١) القول المفيد (١/ ١٩٨)

(٢) قال ابن هشام: وكانوا يسمعون منها الصوت. «وكل هذا وما هو أعظم منه يقع في هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات والمشاهد» قاله في «فتح المجيد» نقلًا عن "الدر النضيد (ص: ٧٩-٨٠)

(٣) قَالَهُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي التَّفْسِيرِ (٤٥٦/٧) بِاخْتِصَارٍ. نقلًا عن كتاب "التوضيح الرشيد في شرح التوحيد، خلدون الحقوي (ص: ٥٢)"

(٤) الدر النضيد، سليمان بن حمدان (ص: ٨٠)

وقوله: " والعزى ": مؤنث أعز، وهو صنم يعبده قريش وبنو كنانة مشتق من اسم الله العزيز، كان بنخلة بين مكة والطائف.

قوله: " ومناة ": قيل: مشتقة من المنان، وقيل: من منى؛ لكثرة ما يمنى عنده من الدماء بمعنى يراق، ومنه سميت منى؛ لكثرة ما يراق فيها من الدماء. وكان هذا الصنم بين مكة والمدينة لهذيل وخزاعة، وكان الأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج "(١)

قال ابن كثير: "وَقَدْ كَانَتْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا طَوَاغِيتُ أُخَرُ تُعَظِّمُهَا الْعَرَبُ كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ غَيْرَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَإِنَّمَا أَفْرَدَ هَذِهِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشْهَرُ مِنْ غَيْرِهَا. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ: وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاغِيتَ، وَهِيَ بُيُوتٌ تُعَظِّمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ، بِهَا سَدَنَةٌ وَحُجَّابٌ، وَتُهْدِي لَهَا كَمَا يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ، وَتَطُوفُ بِهَا كطَوْفَاتِها بِهَا، وَتَنْحَرُ عِنْدَهَا، وَهِيَ تَعْرِفُ فَضْلَ الْكَعْبَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَسْجِدُهُ"(٢)

وفي كتاب التوضيح الرشيد: " هَذِهِ الأَوْثَانُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَعْظَمُ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ لِأَهْلِ الحِجَازِ، وَلِهَذَا نُصَّ عَلَيْهَا بِأَعْيَانِهَا، وَإِلَّا فَفِي الحِجَازِ أَوْثَانٌ غَيْرُهَا كَثِيْرَةٌ، وَلَكِنَّ الفِتْنَةَ بِهَذِهِ أَشَدُّ" وقال أيضًا: "إِنَّ وُجُوْدَ البَيْتَ وَالأَسْتَارَ عَلَى الصَّنَمِ هُوَ لِتُضَاهَى بِهِ الكَعْبَةُ؛ فَيُعْتَكَفُ عِنْدَهَا وَيُطَافُ بِهَا؛ كَالكَعْبَةِ اليَمَانِيَّةِ عَلَى صَنَمِ دَوْسٍ (ذِي الخَلَصَةِ)"(٣)

وقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله قول من قال: إن المراد أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم أو ينسبن إليكم فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله وتسمونهن آلهة. ثم قال الشيخ سليمان: ما أقرب هذا القول إلى سياق الآية وقوله ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾ أي جور وباطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها"(٤)

---

(١) القول المفيد (١/ ١٩٧)

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٦/٧)

(٣) "التوضيح الرشيد في شرح التوحيد، خلدون الحقوي (ص: ٥٢)

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٤٦)

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الباب السادس:

مسألة العذر بالجهل لمن وقع في الشرك والتفصيل في ذلك:

وفيه ثلاث مسائل:

من وقع في الشرك وهو في بلد التوحيد وبين المسلمين فلا يُعذر بالجهل:

سُئل الشيخ ابن باز رحمه الله:

هل يوجد عذر بالجهل في أمور التوحيد؟ وهل ينطبق هذا على من يدعون وينذرون للأولياء، ويعتبرون معذورين بجهلهم؟

فأجاب بقوله: لا يعذر بذلك من أقام في بلد التوحيد، لا يعذر فيه بالجهل، وما دام بين المسلمين، ليس في فترة من الزمان، ولا في محل بعيد عن أهل الإسلام، بل بين المسلمين لا يعذر في التوحيد، بل متى وقع الشرك منه أخذ به، كما يقع الآن في مصر والشام ونحو ذلك، في بعض البلدان عند قبر البدوي وغيره.

والله يقول سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلا يجوز للإنسان أن يبقى على الكفر والشرك! لأنه رأى الناس على ذلك، ولا يسأل ولا يتبصر.. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال لمن سأله عن أبيه: «إن أباك في النار، فلما رأى تغير وجهه قال: إن أبي وأباك في النار» وأبوه مات في الجاهلية، رواه مسلم في الصحيح؛ لأنهم كانوا على شريعة تلقوها عن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهي التوحيد، وأمه عليه الصلاة والسلام ماتت في الجاهلية، واستأذن ربه أن يستغفر لها، فلم يؤذن له، واستأذن أن يزورها فأذن له، فدل ذلك على أن من مات على كفر لا يستغفر له ولا يدعى له، وإن كان في الجاهلية، فكيف إذا كان بين المسلمين، وبين أهل التوحيد، وبين من يقرأ القرآن، ويسمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، هو أولى بأن يقال في حقه: إنه كافر وله حكم الكفار. وكثير منهم لو سمع من يدعوه إلى توحيد الله، وينذره من الشرك لأنف واستكبر وخاصم، أو ضارب على دينه الباطل، وعلى تقليده لأسلافه وآبائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالواجب على كل إنسان مكلف، أن يسأل ويتحرى الحق، ويتفقه في دينه، ولا يرضى بمشاركة العامة، والتأسي بكفرهم وضلالهم، وأعمالهم القبيحة، وعليه أن يسأل العلماء "[1]

الجهل عذر في بعض الأحوال وليس بعذر في بعض الأحوال:

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: "الجهل بالجملة قد يكون عذرا، وقد لا يكون عذرا، فإذا كان الشخص المكلف بعيدا عن أهل الإسلام وعن أهل العلم، كالذي ينشأ في بلاد بعيدة عن بلاد المسلمين، ولم تبلغه الرسالة ولا القرآن ولا السنة هذا يكون معذورا بالجهل، وله حكم أهل الفترات يوم القيامة يمتحنون، فإن أجاب دخل الجنة، وإن عصى دخل النار. وقد يكون معذورا أيضا في الأشياء الخفية في الفروع التي قد تخفى على مثله، كما عذر النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الجبة لما تضمخ بالطيب وقد أحرم بالعمرة، قال له عليه الصلاة والسلام: «انزع عنك الجبة، واغسل عنك الخلوق، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك» ولم يأمره بفدية عن لبسه الجبة ولا عن تضمخه بالطيب للجهل.

فالحاصل أن الجهل عذر في الأمور التي قد يخفى مثلها في المسائل الفرعية، أو في حق من كان بعيدا عن المسلمين وعن سماع القرآن والسنة، كأهل البلاد التي تبعد عن المسلمين في أطراف الدنيا ومثل أهل الفترة الذين ما بلغتهم الرسالات، هؤلاء يعذرون بالجهل، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمن أجاب الأمر دخل الجنة ومن عصى دخل النار، أما من بين المسلمين يسمع السنة ويسمع القرآن هذا غير معذور لا في العقيدة ولا في غيرها، قال الله جل وعلا: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام : ١٩] فالله جعل القرآن نذيرا، ومحمدا جعله نذيرا، فالقرآن نذير ومحمد نذير، فالذي يبلغه القرآن والسنة ويعيش بين المسلمين فهذا غير معذور، عليه أن يسأل وعليه أن يتفقه في الدين، وعليه أن يتعلم، والله المستعان "[2]

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١/ ٢٤١-٢٤٢)

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١/ ٢٤٧-٢٤٨)

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله-أيضًا: "أمور العقيدة التي تتعلق بالتوحيد والشرك لا يعذر فيها بالجهل وهو بين المسلمين، ويسمع القرآن والأحاديث، ويستطيع أن يسأل، ما يعذر بدعوة القبور، والاستغاثة بالأموات وأشباه ذلك. بل يجب عليه أن يتعلم، وأن يتفقه، وليس له أن يتساهل في هذا الأمر. وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يستغفر لأمه، وهي ماتت في الجاهلية، فلم يؤذن له. وقال: «إن أبي وأباك في النار » لما سأله رجل عن أبيه قال: «إن أبي وأباك في النار». وقد مات في الجاهلية. قال جمع من أهل العلم: إنما ذلك لأنهما ماتا على علم بشريعة إبراهيم، وشريعة إبراهيم النهي عن الشرك! فلعل أمه بلغها ذلك، فلهذا نهي عن الاستغفار لها، ولعل أباه بلغه ذلك، فلهذا قال: «إن أبي وأباك في النار». فإذا كان أبوه صلى الله عليه وسلم وأمه لم يعذرا وهما في حال الجاهلية، فكيف بالذي بين المسلمين وعنده العلماء ويسمع القرآن، ويسمع الأحاديث.

فالحاصل أن هؤلاء الذين يعكفون على القبور، ويستغيثون بالأموات غير معذورين، بل يجب عليهم أن يتفقهوا في الدين، وأن يسألوا أهل العلم، وألا يبقوا على حالهم السيئة. والآيات تعمهم والأحاديث"(١)

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة:

سؤال: هل يعذر جاهل التوحيد؟

الجواب: يعذر بالجهل من لم تقم عليه الحجة، وهو من لم يبلغه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون حكمه حكم أهل الفترة، يمتحن يوم القيامة، فإن نجح نجا، وإن لم ينجح هلك.أما من بلغه بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أو سمع شيئا من الكتاب والسنة، فإنه لا يعذر بالجهل.

بكر أبو زيد ... عبد العزيز آل الشيخ ... صالح الفوزان ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز "(٢)

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة:

"لا يعذر المكلف بعبادته غير الله أو تقربه بالذبائح لغير الله أو نذره لغير الله ونحو ذلك من العبادات التي هي من اختصاص الله إلا إذا كان في بلاد غير إسلامية ولم تبلغه الدعوة، فيعذر لعدم البلاغ لا لمجرد الجهل؛ لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١/ ٢٥٥-٢٥٦)

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة - ٢ (١/ ٤٢٠)

أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » ، فلم يعذر النبي صلى الله عليه وسلم من سمع به، من يعيش في بلاد إسلامية قد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يعذر في أصول الإيمان بجهله.

أما من طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط يعلقون بها أسلحتهم فهؤلاء كانوا حديثي عهد بكفر، وقد طلبوا فقط ولم يفعلوا، فكان ما حصل منهم مخالفا للشرع، وقد أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يدل على أنهم لو فعلوا ما طلبوا كفروا.

عبد الله بن قعود ... عبد الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز "[1]

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة :

" كل من آمن برسالة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وسائر ما جاء به في الشريعة، إذا سجد بعد ذلك لغير الله من ولي وصاحب قبر أو شيخ طريق يعتبر كافرًا مرتدًا عن الإسلام مشركًا مع الله غيره في العبادة، ولو نطق بالشهادتين وقت سجوده؛ لإتيانه بما ينقض قوله من سجوده لغير الله، لكنه قد يعذر لجهله فلا تنزل به العقوبة حتى يعلم، وتقام عليه الحجة، ويمهل ثلاثة أيام إعذارًا إليه ليراجع نفسه عسى أن يتوب، فإن أصرَّ على سجوده لغير الله بعد البيان قتل لردته لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : «من بدَّل دينه فاقتلوه» أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فالبيان وإقامة الحجة للإعذار إليه قبل إنزال العقوبة به، لا ليسمَّى كافرًا بعد البيان، فإنه يسمَّى كافرًا بما حدث منه من سجود لغير الله، أو نذره قربة، أو ذبحه شاة مثلاً لغير الله.

عبد الله بن قعود ... عبد الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن باز»[2]

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة:

"الصواب أنه لا يعذر أحد في عدم معرفة أصول الإسلام وقواعده ممن بلغه القرآن وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ وقوله سبحانه:

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – ١ (١/ ٧٦٥-٧٦٦)

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة»: (١/ ٢٢٠)

﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ وما جاء في معناهما من الآيات، أما المسائل الفرعية التي قد يخفى حكمها، فهذه يعذر فيها بالجهل حتى تقام عليه الحجة؛ لأحاديث كثيرة وردت في ذلك.

بكر أبو زيد ... عبد العزيز آل الشيخ ... صالح الفوزان ... عبد العزيز بن باز "(١)

وقال الشيخ سليمان بن سحمان: "إن الشرك الأكبر من عبادة غير الله، وصرفها لمن اشركوا به مع الله، من الأنبياء والأولياء والصالحين، فإن هذا لا يعذر أحد في الجهل به، بل معرفته والإيمان به من ضروريات الإسلام "(٢)

وسئل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى: هل يعذر المسلم إذا فعل شيئًا من الشرك، كالذبح، والنذر لغير الله جاهلاً؟ فأجاب رحمه الله تعالى بقوله: الأمور قسمان: قسم يعذر فيه بالجهل، وقسم لا يعذر فيه بالجهل. فإذا كان من أتى ذلك بين المسلمين، وأتى الشرك بالله وعبد غير الله، فإنه لا يعذر لأنه مقصر. لم يسأل، ولم يتبصر. في دينه فيكون غير معذور في عبادته غير الله من: أموات أو أشجار أو أحجار أو أصنام، لإعراضه وغفلته عن دينه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما استأذن ربه أن يستغفر لأمه لأنها ماتت في الجاهلية لم يؤذن له ليستغفر لها، لأنها ماتت على دين قومها عبَّاد الأوثان.

ولأنه - صلى الله عليه وسلم - قال لشخص سأله عن أبيه، قال: «هو في النار»، فلما رأى ما في وجهه قال: «إني أبي وأباك في النار»؛ لأنه مات على الشرك بالله، وعلى عبادة غيره سبحانه وتعالى، فكيف بالذي بين المسلمين وهو يعبد البدوي، أو يعبد الحسين، أو يعبد الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو يعبد الرسول محمدًا - صلى الله عليه وسلم - ، أو يعبد عليًا أو يعبد غيرهم؟! فهؤلاء وأشباههم لا يعذرون من باب أولى، لأنهم أتوا الشرك الأكبر وهم بين المسلمين، والقرآن بين أيديهم، وهكذا سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موجودة بينهم ولكنهم عن ذلك معرضون.

والقسم الثاني: من يعذر بالجهل، كالذي ينشأ في بلاد بعيدة عن الإسلام في أطراف الدنيا أو لأسباب أخرى، كأهل الفترة، ونحوه، ممن لم تبلغهم الرسالة، فهؤلاء معذورون بجهلهم وأمرهم إلى الله عز وجل، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة فيؤمرون، فإن أجابوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - ٢ (١/ ٤١٩)

(٢) «كشف الشبهتين»: (ص٦٣، ٦٤)

النار لقوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]، ولأحاديث صحيحة وردت في ذلك "(١)

المراد بإقامة الحُجّة والفرق بين قيام الحُجّة وفهم الحُجّة:

قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله تعالى: "وقد أجمع العلماء على أن من بلغته دعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، أن حجة الله قائمة عليه، ومعلوم بالاضطرار من الدين: أن الله بعث محمدًا – صلى الله عليه وسلم – ، وأنزل عليه الكتاب ليعبد وحده ولا يشرك معه غيره، فلا يدعى إلاَّ هو، ولا يذبح إلاَّ له، ولا ينذر إلاَّ له، ولا يتوكل إلاَّ عليه، ولا يخاف خوف الشر إلاَّ منه.

وكل من بلغه القرآن فليس بمعذور، فإن الأصول الكبار، التي هي: أصل دين الإسلام،، قد بيَّنها الله تعالى في كتابه، وأوضحها وأقام بها حجته على عباده، وليس المراد بقيام الحجة: أن يفهمها الإنسان فهمًا جليًا، كما يفهمها من هداه الله ووفقه، وانقاد لأمره»(٢)

وقال المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي يكون حديث عهد بالإسلام والذي نشأ ببادية بعيدة أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرّف وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هي القرآن فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة. ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة اللَّه مع قيامها عليهم ، كما قال تعالى : (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا).

وقيام الحجة وبلوغها نوع ، وفهمهم إياها نوع آخر ، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها " (٣)

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز: (٤/٢٦، ٢٧)

(٢) «الدرر السنية»: (١١/ ٧١ – ٧٤)

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الفتاوى) ٣/ ١٢،١٣.

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين:

"إنه لا عذر في الجهل بأصول التوحيد، والرسالة ونحوها، بعد بعثته - صلى الله عليه وسلم - وبلوغ حجج الله وبيِّناته، وإن لم يفهمها من بلغته، فحجة الله قائمة على عباده ببلوغ الحجة، لا بفهمها، فبلوغ الحجة شيء، وفهمها شيء آخر، ولهذا لم يعذر الله الكفار بعدم فهمهم، بعد أن بلغتهم حجته وبيناته "(١)

وقال الشيخ سليمان بن سمحان - رحمه الله تعالى-:

"فمن بلغته رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وبلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة، قال الله تعالى: ﴿لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].وقال تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

فلا يعذر أحد في عدم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فلا عذر له بعد ذلك بالجهل، وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم، ووصف النصارى بالجهل مع أنه لا يشك مسلم في كفرهم، ونقطع أن أكثر اليهود والنصارى اليوم جهَّال مقلَّدون، ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم»(٢)

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "من بلغته الدعوة من سائر الكفرة على وجه يفهم به ما بلغه لو أراد الفهم فقد قامت عليه الحجة، فلا يعذر بالجهل، قال الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار » رواه مسلم في صحيحه.

بكر أبو زيد .. عبد العزيز آل الشيخ ..صالح الفوزان ..عبد الله بن غديان ..عبد العزيز بن باز "(٣)

---

(١) «الدرر السنية»: (١٠/٣٥٩، ٣٦٠)

(٢) «كشف الشبهتين»: (٩١ - ٩٤)

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة - ٢ (١/ ٤٢٧-٤٢٨)

وسئل الشيخ صالح الفوزان: ما حكم من يدعو غير الله وهو يعيش بين المسلمين وبلغه القرآن ، فهل هذا مسلم تلبس بشرك أم هو مشرك ؟

فأجاب : من بلغه القرآن على وجه يستطيع أن يفهمه لو أراد لكنه أعرض عن فهمه ثم لم يعمل به ولم يقبله فإنه قد قامت عليه الحجة ولا يعذر بالجهل لأنه بلغته الحجة ، والله جل وعلا يقول : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩]

[قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : (أي هو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله ﴿ وَمَن بَلَغَ ﴾ من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم زاد أبو خالد وكلمه . ورواه ابن جرير من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب قال : من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله]

سواء كان يعيش مع المسلمين أو يعيش مع غير المسلمين فكل من بلغه القرآن أو السنة الصحيحة على وجه يفهمه لو أراد الفهم ثم لم يعمل بما بلغه فإنه لا يكون مسلمًا ولا يعذر بالجهل .

سؤال: هل يشترط في إقامة الحجة فهم الحجة فهمًا واضحًا جليًا أم يكفي مجرد إقامتها ، نرجو التفصيل في ذلك مع ذكر الدليل ؟ وبارك الله فيكم .

الجواب : هذا ذكرناه في الجواب الذي قبل هذا ، أنه إذا بلغه الدليل من القرآن أو من السنة على وجه يفهمه لو أراد . يعني يفهمه بلغته ، أو يفهمه باللغة العربية ثم لم يلتفت إليه ولم يعمل به فهذا لا يعذر بالجهل لأنه مفرط ومعرض وقد قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣] [وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٥٧] . وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ﴾ [السجدة : ٢٢]" (١)

(١) مسائل في الإيمان – الفوزان (ص: ١٧-١٩)

الباب السادس:

شـــبهـات المشـــركين وكشـــفهـا والجواب عنها وتفنيدها:

وهذا الباب يشتمل على ما يلي:

-الجواب عن شبهات المشركين له طريقان: مجمل ومفصّل:

-الجواب عن شبهةٍ هي من أكبر شبه المشركين وتفنيدها من وجوه كثيرة:

-القاعدة الكبرى التي بنى عليها المشـركون دينهم هي الاقتداء بالآباء والأسـلاف في الشـرك وهي من أكبر الشبه عندهم :

-شبهات من قال بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة والجواب عنها وتفنيدها.

وفيما يلي نذكر تفصيلًا وتوضيحًا لهذه المسائل:

الجواب عن شبهات المشركين له طريقان: مجمل ومفصّل:

هناك شـبهات للمشـركين يتعلّقون بها كما يتعلّق الغريق بالطّحلب، ولا شـك أن تلك الشـبهات من وساوس الشيطان وخداعه لمن وقع في شباكه من المشركين. والعياذ بالله.

والجواب عن هذه الشبهات من طريقين مجمل ومفصل. وذلك كما يلي:

الجواب المجمل:

إذا استدل المشرك على باطله بأدلة متشابهة وأراد بذلك التلبيس، فالجواب عنه من وجهين:

الأول: أن اتباع المتشابه وترك المحكم هذه طريقة أهل الباطل

الثاني: أن النصـــوص المحكمة صريحة في تحريم الشرــك فنرد المتشـــابه إلى هذه النصـــوص المحكمة الواضحة الصريحة لأن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حق لا يتناقض

الجواب المفصل:

وهذا الجواب المفصّل يشتمل على جواب عن ١٣ شبهة من شبهات المشركين وتفنيدها.

وفيما يلي نذكر تلك الشبهات مع الرد عليها والجواب عنها وتفنيدها:

الشبهة الأولى : قولهم إنهم يشهدون بتفرد الله بالخلق والرزق والتدبير، ولكن الأولياء والصالحين لهم جاه عند الله فهم يسألون الله بجاههم ومكانتهم.

الجواب: من وجوه:

١-أن هذا نفســه هو فعل المشرــكين من كفار قريش كما ذكره الله عنهم حيث أقروا بالربوبية ولم يقروا بالألوهية.

٢-أن سؤال الأولياء والصالحين شرك لأنه صرف للعبادة لغير الله.

تنبيه: هذه الشبهة الأولى قريبة من الشبهة الثالثة فانظر بقية الأجوبة عنها في جواب الشبهة الثالثة.

الشبهة الثانية : قولهم إن الآيات في تحريم الشرك نزلت فيمن يعبد الأصنام وفرق بين من يدعو الأصنام وبين من يدعو الأنبياء والصالح.

الجواب: من وجوه :

١-أن كفار قريش وغيرهم من المشرــكين في زمنهم، منهم من كان يعبد الأصـــنام ومنهم من كان يعبد الملائكة والأنبياء ومنهم من كان يعبد الصالحين ومنهم من كان يعبد الشمس والقمر، ولم يفرق الله بينهم بل حكم عليهم بالشرك وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم.

٢- أن العلة في الشرك في جميع هذه الأمور واحدة فلا فرق بين من عبد حجرا أو حجرا أو عبد ملكا أو نبيا أو صالحا فكل هذا شرك بالله لأنه صرف للعبادة لغير الله .فإن العبادة حق الله وحده كما قال جل وعلا " أمر ألا تعبدوا إلا اياه."

الشبهة الثالثة: قولهم: إنهم لا يعتقدون في الأولياء والصالحين جلب خير أو دفع ضر، ولكن يقصدونهم ويدعونهم لطلب القربة والشفاعة. وهذه الشبهة من أكبر شبه القوم ولكنها عند أهل التوحيد ضعيفة واهية كبيت العنكبوت ولله الحمد.

والجواب عنها: من وجوه .

١- أن هذا الفعل هو الشرك الأكبر الذي كان عليه كفار قريش.

٢- أن الله سمى من فعل ذلك كافرا وحكم عليه بالشرك.(١)

٣- أنهم كاذبون في ذلك فهم في حقيقة الأمر يعتقدون فيهم ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله.

٤- أن أدلة الكتاب والسنة والإجماع دلت على أن هذا شرك اكبر.

٥- أن القربة والشفاعة لا تنال بالشرك وإنما تنال بالتوحيد

وهناك ردود أخرى مع بيان وذكر الأدلة، وسنذكرذلك -إن شاء الله- في الرد الموسّع على هذه الشبهة.

الشبهة الرابعة: قولهم: إن الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم ليس بعبادة.

الجواب: من وجوه:

١- أن النصوص قد دلت على أن الدعاء واللجوء والاستغاثة ونحوها هي من العبادات العظيمة فصرفها لغير الله شرك أكبر. ومن الأدلة قوله صلى الله عليه وسلم " الدعاء هو العبادة

---

(١) قال تعالى: { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} (الزمر:٣)، وقال سبحانه: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (يونس:١٨)

٢-أن عبادة المشركين الأولين للأصنام والملائكة والصالحين كانت بالدعاء والاستغاثة بهم والالتجاء إليهم وإلا فهم كانوا يقرون بالربوبية ومع ذلك حكم الله عليهم بالشرك وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم.

الشبهة الخامسة: قولهم: أتنكرون شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وتتبرأون منها؟

الجواب: من وجهين:

١- نحن لا ننكرها ولكن الشفاعة كلها لله فهو الذي يملكها ويأذن فيها لمن يشاء، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يملكها وإنما يشفع بعد اذن الله له. فنحن نطلبها ممن يملكها وهو الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل "قل لله الشفاعة جميعا " فنقول اللّهم ارزقنا شفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم.

٢-أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وشفاعة غيره إنما تكون للموحدين ولا تكون لمن أشرك بالله، قال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾.

الشبهة السادسة: قولهم: النبي صلى الله عليه وسلم أُعطي الشفاعة ونحن نطلب منه مما أعطاه الله.

الجواب: من وجوه

١-أن الله سبحانه الذي أعطى نبيه الشفاعة أمرنا بأن ندعوه وحده لا شريك له فقال ﴿فلا تدعو مع الله احدا ﴾، فلو طلبنا في هذه الدنيا الشفاعة من الرسول أو غيره فقد عصينا الله ووقعناه في الشرك؛ لأن طلب الشفاعة من الأموات شرك والله قد حرّم الشرك.

٢-أن غير الرسول صلى الله عليه وسلم من الملائكة والأنبياء والصالحين قد أعطاهم الله الشفاعة فكما أن غير الرسول لا يجوز أن تطلب منه الشفاعة فكذلك الرسول لا يجوز أن تطلب منه الشفاعة في هذه الدنيا

٣-أن شفاعة الرسول وغيره إنما هي للموحدين ولا تكون لمن أشرك بالله.

الشبهة السابعة: قولهم الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

الجواب: من وجهين:

١- أن يقال لهم بينوا لنا الشرك الذي حرمه الله ونهى عنه. فإن لم يجيبوا فيبين لهم أن الشرك هو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ومنها الدعاء واللجوء والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة.

٢- أن المشركين كانوا يقولون كما أخبر الله عنهم: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ وهم كانوا يلجؤون ليهم ويدعونهم فلم يقبل الله ذلك منهم بل حكم عليهم بالشرك وأمر رسوله بقتالهم.

الشبهة الثامنة: قولهم إن الشرك خاص بعبادة الأصنام.

الجواب: من وجوه

١-أن الله قد ذكر في كتابه أن مَن عبد الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين أنه كافر مشرك. فدل هذا على أن الشرك ليس خاصا بعبادة الأصنام.

٢-أن العبادة حق الله وحده فلا يجوز صرفها للأصنام ولا لغير الأصنام. قال سبحانه "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا" وقال "ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا" وقال " أمر ألا تعبدوا إلا إياه" فأمر سبحانه بإفراد العبادة له ونهى أن نشرك به أحدا ولو كان ملكا أو نبيا.

٣-أن العلة واحدة فكما أن من عبد الأصنام مشرك لأنه قد ذل وخضع لغير الله فكذلك من عبد الأولياء والصالحين مشرك لأنه قد ذل وخضع وتعلق بغير الله.

الشبهة التاسعة: قولهم: إن كفار قريش الذين نزل فيهم القرآن كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون بالرسول وبالبعث وبالقرآن، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق بالقرآن وبالبعث ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

الجواب: من وجوه

١-أن العلماء قد أجمعوا على أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كافر حلال الدم فكذلك من دعا الأولياء والصالحين واستغاث بهم قد اعرض عن آيات واحاديث كثيرة تنهى عن ذلك فيكون بذلك كافرا مشركا لأنه قد رد هذه الآيات والأحاديث ولم يؤمن بها فلا تنفعه حينئذ أعماله الأخرى.

٢-أن العلماء أجمعوا على أن من أقر بكل شيء جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل به ولكنه أنكر الصلاة أو جحد أو الصوم أو الحج ولم يؤمن بذلك أنه كافر فكيف بمن أنكر التوحيد الذي هو أصل الدين وأشرك بالله. فهذا أيضا يكون كافرا مشركا لأنه لم يأت بأصل الدين ولا تنفعه أعماله الأخرى.

٣-أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وهم يقولون لا إله إلا الله ويقرون بالبعث وكذلك الصحابة قاتلوا قوم مسيلمة الكذاب وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ولكنهم كفار حين رفعوا مسيلمة إلى درجة النبوة فكيف بمن يدعو الأولياء والصالحين ويرفعهم إلى مرتبة جبار السماوات والأرض! فهذا مشرك وكفره أشد من كفر أصحاب مسيلمة الكذاب.

٤-أن الصحابة قد أجمعوا على قتل وكفر السبئية الذين اعتقدوا في علي بن ابي طالب. بل إن عليا حرقهم مع أنهم كانوا يدّعون الإسلام. فكذلك من اعتقد في الأولياء والصالحين فإنه مشرك حلال الدم ولو ادعى الإسلام.

٥-أن الله حكم بكفر المنافقين الذين قال فيهم: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ فالله كفّرهم بكلمة قالوها مع كونهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجاهدون معه ويصلون و يزكون ويحجون. وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ فإذا كان هؤلاء وأولئك قد كفروا بكلمة قالوها فكيف بمن دعا الأولياء والصالحين واستغاث بهم وتعلّق بهم وأشرك بالله فماذا تنفعه صلاته أو صومه أو حجه وهو قد عبد غير الله واتخذ المخلوقين أولياء له من دون الله فهذا كفره واضح وشركه ظاهر. والله المستعان.

الشبهة العاشرة: قولهم: إن بني إسرائيل حين قالوا لموسى" اجعل لنا إلها كما لهم آلهة" لم يكفروا بذلك وكذلك الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم "اجعل لنا ذات أنواط" لم يكفروا بذلك.

الجواب: أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلوا ذلك وإنما طلبوا ذلك، فهؤلاء وأولئك إنما استأذنوا من الرسول موسى صلى الله عليه وسلم وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم فأنكروا عليهم ذلك فلم يفعلوه، ولا شك أنهم لو فعلوا ذلك لكفروا.

الشبهة الحادية عشر: قولهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله". ومراد هؤلاء الجهال أن من قالها لا يكفر ولا يُقتل ولو فعل ما فعل.

الجواب: من وجوه

١-المراد من هذه الأحاديث أنه يجب الكف عمن قال لا إله إلا الله حتى يتبين حقيقة أمره. فإذا تبين أنه جاء بناقض من نواقض الإسلام فإنه يكفر بذلك لأنه لم يعمل بما دلت عليه كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

٢-أن الصحابة قاتلوا أصحاب مسيلمة الكذاب الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون لأنهم رفعوا مسيلمة إلى درجة النبوة فكيف بمن رفع الأولياء والصالحين إلى مرتبة الربوبية. وكذلك الذين حرّقهم علي بن أبي طالب كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ولكنهم غلوا فيه حتى خرجوا بذلك عن دين الإسلام.

٣-أن من كذّب بالبعث أو القرآن ونحو ذلك يكون كافرا ولو قال لا إله إلا الله فكذلك من دعا الأولياء والصالحين يكون كافرا مشركا ولو قال لا إله إلا الله لأنه لم يعمل بما دلت عليه فلا ينفعه قول لا إله إلا الله حينئذ

الشبهة الثانية عشر: قولهم: إن النبي عليه وسلم قد ذكر أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا.

الجواب: من وجوه:

١- أن الأدلة من الكتاب والسنة قد دلّت على أن الاستغاثة عبادة فصرفها لغير الله شرك أكبر، وهذا فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢-أن الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه جائز فالناس يوم القيامة يسألون هؤلاء الأنبياء أن يسألوا الله ويدعونه أن يفرج عنهم. وهذا الدعاء أمر يقدر عليه الأنبياء بخلاف من يستغيث بالأموات لكشف الكربات وطلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله فإن هذا شرك أكبر.

٣-أن الناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام ليزيلوا عنهم الشدة وإنما طلبوا منهم الشفاعة عند الله في يوم القيامة ليزيل عنهم الشدة وفرق بين من يطلب من مخلوق حي أن يدعو له فهذا جائز وبين من يستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فإن هذا شرك أكبر.

الشبهة الثالثة عشر: قولهم: إن إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا. قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على إبراهيم.

الجواب: من وجوه:

١- أن هذه القصة لابد من إثبات صحتها قبل الاستدلال بها. وقد قال ابن تيمية في بعض روايات هذه القصة: وهذا باطل.

٢-على فرض صحتها فإن جبريل عرض على إبراهيم أمرا يقدر عليه بإذن الله، فلو أذن الله له أن يأخذ إبراهيم إلى مكان بعيد أو يرفعه إلى السماء ونحو ذلك لفعل بإذن الله. ولا شك أن الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه أمر جائز. فأين الدليل في هذه القصة على جواز الاستغاثة بالأموات من الأولياء والصالحين لجلب المصالح ودفع الكربات وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله. وقد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن هذا النوع من الاستغاثة شرك أكبر. بل الواجب على العبد أن يستغيث بالله وحده في طلب الحاجات وإزالة الشدائد والكربات؛ فإن الله هو القريب المجيب وهو القادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

وبهذا تنتهي هذه الخلاصة التي اشتملت على الرد على كثير من شبهات المشركين وتفنيدها، والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان

تنبيه: هذه الخلاصة التي ذكرناها هنا هي -بحمد الله-اختصار وتقريب لما ذكره الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه "كشف الشبهات" الذي اشتمل على ذكر كثير من شبهات المشركين مع الجواب عنها وتفنيدها، وقد حرصت على توضيح عبارته وتقريبها مع النقل والاستفادة من شرح ابن عثيمين -رحمه الله-في بعض المواضع. والحمد لله تعالى.

الجواب عن شبهةٍ هي من أكبر شبه المشركين وتفنيدها من وجوه كثيرة:

إن من أكبر شبه من يدعو الأولياء والصالحين مع الله تعالى أنهم يقولون: (إننا ما دعونا الأولياء والصالحين لاعتقادنا أنهم ينفعون أو يضّرون أو يدبّرون مع الله، إنما دعوناهم لأجل أن ننال بسببهم القرب من الله والشفاعة عند الله).

هذه من أكبر شبههم وهي عند أهل التوحيد شبهة واهية وحجة داحضة والحمد لله .

والجواب عنها من وجوه:

١-أن هذا الفعل هو الشرك الأكبر الذي كان عليه كفار قريش كما ذكره الله عنهم في القرآن. قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ...﴾ الآية [الزمر : ٣]. وقال سبحانه : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ...﴾ الآية [يونس : ١٨].

قال ابن تيمية رحمه الله : "والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عبّاد الأوثان كانوا يقولون إنها تماثيل الأنبياء والصالحين وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله "(١)

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٣٤-١٣٥)

وقال ابن باز رحمه الله : فالذي يعبد البدوي أو يعبد عبد القادر الجيلاني أو يعبد الرسول صلى الله عليه وسلم أو يعبد صنمًا أو جِنِّيًّا ويقول : إنه يعتقد أنه يقربه ولا يعتقد أنه يخلق أو يرزق فإنه يُبيّن له أن هذا هو الشرك الأكبر وأن هذا هو دين المشركين الذي كانوا عليه(١)

٢-أن الله سمّاهم كافرين وحكم عليهم بأنهم مشركون ولم يقبل هذه الحُجَّة منهم. فقد قال سبحانه حين قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ قال في آخر الآية ردًّا عليهم : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر : ٣] فحكم على من فعل هذا الفعل بأنه كافر. وقال سبحانه في الآية الثانية عنهم : ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ثم ختم الآية بقوله : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس : ١٨] فجعل فعلهم هذا من الشرك. فدلَّت الآيتان على أن من فعل هذا واحتجَّ بهذه الشبهة أنه كافر مشرك. وهذا واضح بنص الآيتين. والحمد لله.

٣- أنهم كاذبون في قولهم هذا ، فهم في حقيقة الأمر يعتقدون فيهم ويسألونهم ويطلبون منهم ما لا يقدر إلا الله من تفريج الكروب وشفاء الأمراض ورفع البلاء ونحو ذلك؛ ولهذا حكم الله عليهم بأنهم كاذبون في قولهم ذلك فقال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر : ٣] فإنهم لو كانوا صادقين في طلب القربة من الله لم يسألوا المخلوقين هذه الأمور التي لايقدر عليها إلا الله .

قال ابن تيمية رحمه الله : "فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضآر مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسدّ الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين"(٢)

٤- أن الله سبحانه أمر بإفراده بالعبادة، قال تعالى : ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف : ٤٠] والدعاء من أجلّ أنواع العبادة فمن صرفه لغير الله فقد أشرك ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الدعاء هو العبادة))(٣) وقال صلى الله عليه

---

(١) شرح القواعد الأربع لابن باز ص١٨

(٢) مجموع الفتاوى (١/١٢٤)

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني

وسلم ((إذا سألت فاسأل الله))[1] وقال الله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦] أي من المشركين.

٥-أنهم شبّهوا الله تعالى بخلقه حيث جعلوا الله كالملوك الذين يحتاجون الى واسطة بينهم وبين رعيتهم ليرفعوا إليهم حوائجهم .

قال ابن تيمية رحمه الله : "ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجّاب الذين بين الملك ورعيّته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه . فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله (أي بزعمهم) كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم ... فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قُتل ، وهؤلاء مشبّهون لله شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداد ، وفي القرآن من الرد على هؤلاء مالم تتسع له هذه الفتوى "[2].

٦-أنه كما دلَّت النصوص من الكتاب والسنة على أن هذا الفعل شرك فقد دلَّ عليه أيضًا إجماع المسلمين فقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في نواقض الإسلام : أنَّ من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعًا ، ونقل هذا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وقد ذكرنا نص كلامه في الوجه الثالث.

٧-أن هذا الفعل لم يرد به دليل و لاعمله أحد من السلف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول : ادعُ لنا ولا اسأل لنا ربك ، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر به أحد من الأئمة ولا ورد فيه حديث.

ثُمَّ ذكر ما جاء في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك» ثُمَّ قال : ولهذا قال علماؤنا : لا يجوز بناء المسجد على القبور ، وقالوا : إنه لا يجوز أن ينذر لقبر "[3]

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني

(٢) مجموع الفتاوى (١/١٢٦)

(٣) مجموع الفتاوى (١/٧٦-٧٧)

٨- أن يقال لهؤلاء : إن كنتم تعلمون أن الله أعلم بحالكم وأقدر على عطاء سؤالكم فلم عدلتم عن سؤاله إلى سؤال غيره والله هو القريب المجيب سبحانه وتعالى ؟!

قال ابن تيمية رحمه الله : "قول كثير من الضلاّل : هذا أقرب إلى الله مني وأنا بعيد من الله لا يمكنني أن أدعوه إلا بهذه الواسطة ونحو ذلك من أقوال المشركين . فإن الله تعالى يقول : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾ [البقرة : ١٨٦] وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم ...إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)) ثم يقال لهذا المشرك أنت إذا دعوت هذا ، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك وأقدر على عطاء سؤالك أو أرحم بك – أي من الله – فهذا جهل ضلال وكفر، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم فلم عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره ؟! "(١)

٩- أن القرب من الله والشفاعة عند الله تعالى لا تُنال بالشرك وإنما تُنال بالتوحيد .

فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من أسعد الناس بشفاعتك)) قال: ((من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)) رواه البخاري .

قال ابن القيم رحمه الله : " تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته : تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم و موالاتهم . فقلب النبي صلى الله عليه وسلم ما في زعمهم الكاذب وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد فحينئذ بأذن الله للشافع أن يشفع، ومن جهل المشرك اعتقاد أن من اتخذه ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع من والاهم ، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه في الشفاعة ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله كما قال في الفصل الأول : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وفي الفصل الثاني : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء : ٢٨] وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ورعاها "(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧-٧٤)

(٢) مدراج السالكين (١/٣٤١)

وقال ابن تيمية رحمه الله -في حديث أبي هريرة- : "فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله : ثم قال : ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص "(١)

قال الفوزان حفظه الله : أما الكفار والمشركون فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر : ١٨]" (٢)

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول صلى الله عليه وسلم ((لكل نبي دعوة مستجابة فتعجّل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً))

وقال الفوزان حفظه الله : لأن الله لم يجعل الشرك وسيلة إلية أبداً وإنما الشرك مبعد عن الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة : ٧٢] فكيف يُجعل الشرك وسيلة إلى الله – تعالى الله عما يقولون "(٣)

١٠-أنه لوكان هذا الذي يدعونه من الصالحين حياً حاضراً فإنه لا ينبغي للصالح أن يسأل المغفرة للمشركين ولو استغفر لهم فلن يغفر الله لهم ما داموا مشركين كما ذكر الله ذلك في كتابه .

قال ابن تيمية رحمه الله: "لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذنه سبحانه في ذلك فلا يشفع شفاعة نُهي عنها كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة ، قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة : ١١٣] وقال تعالى فى حق المنافقين : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون : ٦] وقد ثبت فى الصحيح : أن الله نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر أنه لا يغفر لهم كما في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] وقوله : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ...﴾ الآية [التوبة : ٨٤] وقد قال تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف : ٥٥] -في الدعاء-

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٧٨-٧٩)

(٢) شرح القواعد الأربع ص ٣٤١ ضمن الرسائل

(٣) شرح القواعد الأربع ص ٣٥٢ ضمن الرسائل

ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد مالم يكن الرب ليفعله مثل : أن يسأله المغفرة للمشركين ونحو ذلك "(١)

١١- أن الأموات من الأولياء والصالحين وغيرهم لا يسمعون دعاء من دعاهم كما قال تعالى : ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر : ١٤] وقال سبحانه : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل : ٨٠] وقال سبحانه : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢]"(٢)

١٢-أن الشفاعة إنما تُطلب من الأنبياء والصالحين يوم القيامة لا في الدنيا كما قال سبحانه : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : في هذه الآية بيان أنَّ الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه كما قال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه : ١٠٩]" (٣)

وكما يدل على ذلك حديث الشفاعة الطويل وهو في صحيح البخاري برقم (٣٣٤٠) وصحيح مسلم برقم (١٩٤) فمن أراد فليراجعه .

وهناك ردود أخرى وفيما ذكرنا كفاية لطالب الحق والهدى .

وإذا كانت هذه من أكبر شبه القوم أو هي أكبر شبههم وقد تبيّن بطلانها من وجوه كثيرة وأنها لا قيمه لها في ميزان الحق فغيرها وما دونها من الشبه باطلة وداحضة من باب أولى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان : ٣٠].

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٣٠)

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣١٤)

(٣) فتح المجيد ص٢١٨

القاعدة الكبرى التي بنى عليها المشركون دينهم هي الاقتداء بالآباء والأسلاف في الشرك وهي من أكبر الشبه عندهم :

إن من الأصول التي بنى عليها المشركون دينهم: تقليد الآباء والأجداد فيما كانوا عليه من الشرك والضلال، وهذه هي القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠] . وقال :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

وقال ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان : ٢١]

قال العلامة السعدي –رحمه الله–في تفسير قول الله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة :١٧٠): " أخبر تعالى عن حال المشركين أنهم إذا أُمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله رغبوا عن ذلك وقالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعا، واتبعه إن كان منصفا"(١)

وقال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله في كتابه "مسائل الجاهلية":

"المسألة الرابعة: أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم، كما قال تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا

(١) تفسير السعدي ص٨١

على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [الزخرف: ٢٣] ، وقال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ [لقمان: ٢١] ، فأتاهم بقوله: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ الآية [سبأ:٤٦] وقوله: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾ [الأعراف: ٣]"(١)

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله: (من مسائل الجاهلية: أنهم لا يبنون دينهم على ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإنما يبنون دينهم على أصول أحدثوها هم من عند أنفسهم، ولا يقبلون التحول عنها، منها: التقليد، كما قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ فقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ أي: على ملة ودين، وإنا متبعون لهم على دينهم، يعني: لسنا بحاجة إليكم أيها الرسل، يزعمون أن هذا يغنيهم عن اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهذا هو التقليد الأعمى، وهو من أمور الجاهلية.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١] .

وإذا قيل للمشركين والكافرين ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهو القرآن ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ أي يدعو هؤلاء الآباء ﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أتتبعونهم للسعير؟ يعني: تقتدون بآبائكم وإن كانوا من أتباع الشيطان، ومآلهم إلى السعير؟!)(٢)

وقال الإمام الصنعاني رحمه الله(٣):

(ولنقدم قبل المقصود أصلا مهما وهو أن الله تبارك وتعالى قد أخبر عن الكفار بأن نظرهم مقصور على اتباع الآباء في كتابه العزيز في غير آية عايبا عليهم ذلك، مثل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة :١٧٠) ، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف :٢٣) ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ

---

(١) مسائل الجاهلية للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ص٨

(٢) شرح مسائل الجاهلية للفوزان، ص٥٥-٥٧ باختصار

(٣) قاله في كتابه "إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة"

آبَاؤُهُمْ﴾ (هود :١٠٩) أي ليس لهم مستند سوى ذلك ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء :٧٤) ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (يونس :٧٨).

فهم في جميع الآيات قاصرون نظرهم على اتباع الآباء لحسن الظن بهم، حتى صار ذلك عادة لهم، بل فخرا يعيرون به من خالفهم ويضربون به المثل... حتى ذكّروا بذلك أبا طالب وهو في طريق الموت وقالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب). انتهى.

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: ((لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه النبي – صلى الله عليه وسلم – فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأبي طالب «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب))[1]

قال الشيخ عبد الله الدويش في توضيح كلام المجدد محمد بن عبد الوهاب في مسائل كتاب التوحيد– في قصة موت أبي طالب على ملة عبد المطلب–:

– (مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر) أي لما كانت ملة عبد المطلب معظمة عند أبي طالب امتنع عن الإسلام بسببها ولو كان لا يعظمها لما شق عليه أن يرغب عنها.

– (الشبهة للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك) أي أن أبا جهل ومن معه استدلوا بتعظيم أبي طالب لملة عبد المطلب فجعلوها أعظم حائل بينه وبين قول لا إله إلا الله.

– (التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها) أي قولهم: "أترغب عن ملة عبد المطلب"[2]

ولما كانت هذه القاعدة مما تتابع عليها المشركون على مرّ العصور فقد بيّن الله بطلانها في كتابه الكريم في مواضع متعدّدة، ومن ذلك:

---

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) [كلام المجدد بين قوسين، وما عدا ذلك فهو كلام الدويش في كتابه: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد (ص: ١٠٨-١١٠)]

١-بيّن سبحانه أن آباءهم لا يعقلون شيئًا من الدين الحق وليسوا أهل هداية بل هم ضالّون: قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠]

٢-بيّن سبحانه أن آباءهم لا يعلمون شيئًا من الدين الحق وليسوا أهل هداية بل هم ضالّون: قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤]

٣-بيّن ربنا سبحانه أن الشيطان هو الذي زيّن لآبائهم الشرك ودعاهم إليه ليكونوا من أصحاب السعير، فكيف يتبعونهم في هذا الطريق الذي يوصلهم إلى عذاب جهنم وبئس المصير؟!: قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان : ٢١]

٤- الآيات الكثيرة التي دعا فيها ربنا إلى اتباع وحيه المنزّل وأنه الحق وأن ما خالفه باطل، وكذلك دعا ربنا في آيات كثيرة وحثّ عباده على التفكّر والتعقّل والتدبّر والتذكّر والتأمّل في الآيات الشرعية والكونية. وكل ذلك من أسباب الهداية وفيه الإبعاد عن التبعية والتقليد الأعمى للآباء في الشرك والضلال.

شبهات من قال بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة والجواب عنها وتفنيدها[1]:

جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بأن الشرك سيقع في هذه الأمة، وفي ذلك تنبيه وتحذير للناس حتى يبتعدوا عن الشرك وأسبابه ووسائله، كما أن هذه النصوص تبطل قول المشركين عُبّاد الضرائح والقبور الذين يقولون بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة، وغرضهم أن يحتجّوا بذلك على أن ما هم عليه ليس بشرك؛ ولكن قد جاءت النصوص الصريحة بالرد عليهم، وفيها الإخبار بأن الشرك سيقع، وفي ذلك تنبيه وتحذير للناس حتى يبتعدوا عن الشرك وأسبابه ووسائله. والله المستعان.

قال الشيخ الألباني-في بيان هذه المسألة-: وإليك بعض النصوص الواردة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون على بينة من الأمر:

١-" لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات النساء دوس حول ذي الخلصة "وكانت صنما تعبدها دوس في الجاهلية"[2].

٢-" لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ أن ذلك تاما قال: إنه سيكون من ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم "[3]

٣- " لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد القبائل من أمتي الأوثان "[4]

٤ - " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله وفي رواية: لا إله إلا الله "[5]

---

(١) كتاب التوحيد، وشرحه القول السديد للسعدي، و"تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني، ص٩٠) وكتاب"الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا- ١/ ٦٧١ والموسوعة العقدية - الدرر السنية (٣/ ٢١، بترقيم الشاملة آليا)

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه أبو داود والترمذي وقال الألباني: هو على شرط مسلم

(٥) رواه مسلم

ففي هذه الأحاديث دلالة قاطعة على أن الشرك واقع في هذه الأمة فإذا الأمر كذلك فيجب على المسلمين أن يبتعدوا عن كل الوسائل والأسباب التي قد تؤدي بأحدهم إلى الشرك مثل بناء المساجد على القبور ونحو ذلك مما سبق بيانه مما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر أمته منه) [1]

وهناك نصوص يتشبث بها القائلون بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة، ويزعمون دلالتها على خلاف ما ذهبنا إليه مما دلت عليه الأدلة، ويؤكده الواقع من أن الشرك يقع في هذه الأمة. ومن أشهر هذه النصوص التي يستدلون بها ما يلي:

١ - قوله صلى الله عليه وسلم: ((والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها ...))[2].

وجه الاستدلال: أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما خاف علينا الشرك فكيف يقع الشرك في هذه الأمة؟[3].

ويجاب عن هذه الشبهة بما أجاب به الحافظ ابن حجر في (الفتح)[4] ، حيث قال في شرح الحديث:

أ- (أي على مجموعكم، لأن ذلك قد وقع من البعض، أعاذنا الله تعالى منها

ب- أو يقال: إنه في الصحابة خاصة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((عليكم)). قال الحافظ في (الفتح): (فيه إنذار بما سيقع فوقع كما قال صلى الله عليه وسلم ... وأن الصحابة لا يشركون بعده، فكان كذلك، ووقع ما أنذر به من التنافس في الدنيا) اهـ

ومن هذه الشبه أيضاً:

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يجتمع دينان في جزيرة العرب))[5].

---

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص: ٩٠ وما بعدها)

(٢) رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦). من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه

(٣) انظر ما قاله سليمان بن عبد الوهاب في ((الصواعق الإلهية)) (ص: ٤٤ - ٤٥)

(٤) الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) (٣/ ٢١١) (٦/ ٦١٤)

(٥) رواه مالك في ((الموطأ)) (٢/ ٨٩٢) من حديث ابن شهاب مرسلا. والإمام أحمد (٦/ ٢٧٤) من حديث عائشة بنحوه، وحسن إسناده الألباني في ((التعليقات الرضية)) (٣/ ٤٩٣) وحسنه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (١٦٥٠)

وجه الاستدلال: (إن هذه البلاد بفضل الله طاهرة من كل رجس سالمة من كل شرك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1]

ويجاب عن هذه الشبهة: بأن هذا الفهم الذي ذكره هذا المفتون لم يفهمه المحدثون ولا السابقون الأولون، بل المعنى الذي فهموا منه هو النهي عن التمكين لدينين أن يجتمعا في جزيرة العرب، وليس المقصود به نفيه، ولا نفي وجوده عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ كيف يمكن حمله على النفي وقد كان هناك أديان – لا دينان فقط – عند موت النبي صلى الله عليه وسلم وحتى في صدر الخلافة الراشدة في جزيرة العرب.

ثانيا: لو حملنا الحديث المنسوب إلى النبي بهذا اللفظ على النفي لكنا قد كذبنا الواقع؛ فإن جزيرة العرب فيها أديان وكنائس، وهي مازالت موجودة من أول الإسلام حتى عصرنا الحاضر.

ثالثاً: أن بعض الأحاديث جاءت بلفظ ((لا يترك بجزيرة العرب دينان)) [2]فهذه الأحاديث إنما جاءت في سياق رواية وصية النبي صلى الله عليه وسلم وآخر عهده في حياته، وهي تدل صراحة على أن المراد بالحديث إنما هو النهي لا النفي كما فهمه هذا المفتون.

رابعاً: أن جميع من روى هذا الحديث من أصحاب الحديث كلهم ذكروه بعبارات تدل على أن المراد هو النهي، لا النفي، فمن هذه الروايات ما يلي:

– عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ...)) [3]

– عن عمر قال: (لئن عشت – إن شاء الله – لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب) [4]

وهناك روايات صريحة تدل على أن هذا إنما هو أمر النبي صلى الله عليه وسلم، منها:

---

(١) محمد بن علوي المالكي: ((مفاهيم يجب أن تصحح)): (ز).

(٢) ((مسند أحمد)) (٦/ ٢٧٤) (٢٦٣٩٥)وحسن إسناده الألباني في ((التعليقات الرضية)) (٣/ ٤٩٣) وحسنه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (١٦٥٠).

(٣) رواه مسلم (١٧٦٧).

(٤) رواه والترمذي (١٦٠٦، ١٦٠٧) وأحمد (١/ ٣٢) وصححه الألباني. ورواه مسلم (١٧٦٧) بدون لفظة: ((لئن عشت)).

- عن ابن عباس: في حديث طويل قال صلى الله عليه وسلم: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب))[1]

ومما اشتبه عليهم أيضاً:

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرتكم - جزيرة العرب)) [2]

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم))[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود -رضي الله عنه-: ((إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكن رضي منهم بما دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات))[4]

وجه الدلالة: (أن الرسول أخبر أن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، وفي حديث ابن مسعود: أيس الشيطان أن تعبد الأصنام بأرض العرب، وهذا بخلاف مذهبكم؛ فإن البصرة ومن حولها والعراق من دون دجلة الموضع فيه قبر علي وقبر الحسين -رضي الله عنهما- كذلك اليمن كلها والحجاز كل ذلك من أرض العرب، ومذهبكم أن هذه المواضع كلها عبد الشيطان فيها، وعبدت الأصنام، وكلهم كفار، وهذه الأحاديث ترد مذهبكم)[5]

ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

أن هذه الأحاديث لا تتناقض مع الأحاديث الثابتة الصحيحة التي فيها خوف الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحذيره من وقوع ألوان من الشرك في هذه الأمة، والعلماء قد ذكروا لهذه الأحاديث عدة احتمالات، فمما قالوا فيه:

---

(١) رواه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٨٧)، وصححه الألباني

(٣) رواه مسلم (٢٨١٢) من حديث جابر رضي الله عنه

(٤) رواه الحاكم (٢/ ٣٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٢٢٢١)

(٥) سليمان بن عبد الوهاب: ((الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)) (ص: ٤٥).

أ-أن هذا اليأس راجع للشيطان، ولا يلزم منه عدم الوقوع، فكم ييأس الإنسان من شيء ثم يقع[١]

ب- قال ابن رجب في شرح الحديث: إنه يئس أن يجتمعوا كلهم على الكفر الأكبر[٢]، وأشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسيره قوله تعالى: الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ حيث قال: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني يئسوا أن تراجعوا دينكم)[٣]

ج- ولا يبعد أن يقال: (مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إن الشيطان ...)) أن الشيطان لا يطمع أن يعبده المؤمنون في جزيرة العرب، وهم المصدَقون بما جاء به الرسول من عند ربه المذعنون له، والممتثلون لأوامره، ولا شك أن من كان على هذه الصفة فهو على بصيرة ونور من ربه، فلا يطمع الشيطان أن يعبده ... ووجود مثل هذا في جزيرة العرب لا ينافي الحديث الصحيح كما لا يخفى على من له قلب سليم وعقل راجح، وإطلاق لفظ المصلين على المؤمنين كثير في كلام العارفين.

د- ويحتمل أن يراد بالمصلين أناس معلومون بناء على أن تكون (أل) للعهد وأن يراد بهم الكاملون فيها ... وهم خير القرون، يؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث-: ((ولكن في التحريش بينهم)). يقول الطيبي: لعل المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبر بما يكون بعده من التحريش الواقع بين صحبه رضوان الله عليهم أجمعين، أي أيس أن يعبد فيها، ولكن يطمع في التحريش ... والدليل متى طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال)[٤]

هـ- أو يقال: المراد أن الشيطان قد أيس من أن يعبد أو تعبد الأصنام في بلاد العرب في كل وقت وزمان، فهذا لن يكون إن شاء الله، وقد يشهد لهذا لفظة (أبداً) المذكور في الرواية الأخرى.

و-أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن الشرك سيقع في جزيرة العرب، كما ثبت في حديث أبي هريرة مرفوعًا: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة "[٥] وذو الخلصة

---

(١) قواعد ومسائل في توحيد الإلهية، عبد العزيز الريس، ص٩٨

(٢) انظر ((مجموعة الرسائل والمسائل النجدية)) (٤/ ٤٨٢ - ٤٨٧).

(٣) ((ابن كثير في تفسيره)) (٢/ ١٢)

(٤) محمد شكري الآلوسي: ((فتح المنان تتمة منهاج التأسيس)) (ص: ٤٩٧ - ٤٩٩) باختصار.

(٥) متفق عليه

طاغوت دوس. وكذلك حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى"[١] وهما موجودان في جزيرة العرب[٢].

ومما يستدل به القبوريون في هذا الباب:

٤ – قوله صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة، أو يأتي أمر الله تعالى ....)) [٣]

وجه الاستدلال: (أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أمر هذه الأمة لا يزال مستقيماً إلى آخر الدهر، ومعلوم أن هذه الأمة .. التي تكفرون بها، مازالت قديماً ظاهرة ملأت البلاد، فلو كانت هي الأصنام الكبرى، ومن فعل شيئاً من تلك الأفاعيل عابد الأوثان، لم يكن أمر هذه الأمة مستقيماً، بل منعكساً ...)[٤]

يجاب عن هذه الشبهة:

بأن هذه الشبهة ناتجة عن جهله. فإن الأحاديث تأتي بروايات مختلفة بعضها يفسر البعض الآخر، فالذي ذكره جاء بعدة روايات، فقد جاء في صحيح البخاري بلفظ: ((لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ...)) [٥]وجاء بلفظ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)) [٦]، وجاء عند مسلم بلفظ: ((لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون))

والمقصود: أن الروايات المطلقة في بعض الأحاديث تحمل على الروايات المقيدة، وهنا هكذا، لهذا قال الحافظ ابن حجر عند شرح الحديث: (أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبداً)[٧]. ولا شك أن هؤلاء البعض هم المحدثون، ومتبعوا الآثار لا غيرهم من القبوريين كما نص عليه السلف.

---

(١) رواه مسلم

(٢) قواعد ومسائل في توحيد الإلهية، عبد العزيز الريس، ص٩٨

(٣) رواه البخاري (٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧) مختصراً.

(٤) سليمان بن عبد الوهاب: ((الصواعق الإلهية)) (ص: ٤١).

(٥) رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٦) رواه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١). من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٧) ابن حجر في ((الفتح)) (١/ ١٦٤).

ومما يتشبث به القبوريون في هذا الباب:

٥ - عن عائشة قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى)) فقلت: يا رسول الله! إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ إن ذلك تام، قال: ((إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة من خردل إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم))(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ... حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال))(٢)

وجه الاستدلال: (في هذه الأحاديث الصحيحة أبين دلالة على بطلان مذهبكم؛ وهي أن جميع هذه الأحاديث مصرحة بأن الأصنام لا تعبد في هذه الأمة إلا بعد انخرام أنفس جميع المؤمنين آخر الدهر)(٣) ويجاب عن هذه الشبهة من عدة أوجه:

أولاً: مراد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بيان وقت ظهور الشرك بصفة عامة بحيث يطغى على التوحيد، ويسيطر على حاملي لواء التوحيد ويستأصلهم، فذكر: أن هذا يحدث في أواخر أيام الدنيا، قبل انعقاد القيامة الكبرى، وبعد خروج الريح القابضة لأنفس جميع المؤمنين حتى لا تبقى هذه الطائفة المنصورة والناجية على ظهر الأرض.

فهذا الحديث إنما يبين التحديد الزمني لفشو الشرك في هذه الأمة حتى لا يبقى في ظهر الأرض إلا مشرك، وليس المراد منه عدم وقوع الشرك في هذه الأمة كما ظنه بعض مدعي العلم والمعرفة، وإلا فسيكون هذا الفهم مخالفاً للأحاديث الصحيحة الأخرى ومخالفاً للواقع.

وأنوتما يتشبث به القبوريون أيضاً في إثبات شبهتهم:

٦- قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠].وقوله تعالى: و﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٨٤)، وأحمد (٤/ ٤٣٧) وصححه الألباني

(٣) سليمان بن عبد الوهاب: ((الصواعق الإلهية)) (ص: ٥٠).

وجه الاستدلال: (أن الأمة ليس فيها من يعمل الكفر، وأنها أمة صالحة كلها - من أولها إلى آخرها - ليس فيها شرك)(١)

ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

أنهم تركوا من الآيتين ما هو دليل عليهم، وذلك: (أن الله وصف خير أمة أخرجت للناس بثلاث صفات وهي لأهل الإيمان خاصة، وليس لأهل الكفر والشرك، والنفاق والبدع والفسوق فيها نصيب، فقال: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ، فليس المشركون والمنافقون من خير أمة ... بل هم شرار الأمة ...)(٢)

وأما استدلاله بقوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وهم المعنيون بهذه الأمة، ومن كان مثلهم من أهل الإيمان لحق بهم، وأما الكفار والمشركون والمنافقون فهم أعداء الأمة الوسط في كل زمان ومكان، ولا يمكن أحد أن يزعم أنهم من الأمة الوسط إلا مثل هذا الجاهل الذي يقول: ليس في الأمة كافر ولا مشرك ...)(٣) .

وقد بيّن الشيخ عبد الرحمن بن حسن جانباً من البدع والشرك والضلال الذي وقع في هذه الأمة، ... (مثل المرتدين في عهد الصديق، والخوارج زمن علي بن أبي طالب، والقدرية، والجهمية الجبرية، ودولة القرامطة، الذين وصفهم شيخ الإسلام بأنهم أشد الناس كفراً، والبويهيين، والعبيديين وغيرهم)(٤)

---

(١) انظر ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن بعضهم في ((مجموعة الرسائل والمسائل)) (٢/ ٥٤).

(٢) ((مجموع الرسائل والمسائل)) (٢/ ٥٤، ٥٥) بتصرف. وانظر رد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن على الاستدلال بالآيتين السابقتين كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ونحوهما، ((الدرر السنية)) (٩/ ٣٥٤، ٣٥٦).

(٣) مجموعة ((الرسائل والمسائل)) (٢/ ٥٧، ٦١)، وانظر رسالة الشيخ عبد الرحمن بن حسن ((التوحيد وطروء الشرك على المسلمين في الجامع الفريد)) (ص: ٣٤٣ - ٣٤٥).

(٤) الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في ((مجموعة الرسائل)) (٢/ ٦٢ - ٨٠).

ومما يتشبث به القبوريون أيضاً في هذا الباب:

٧ - قوله صلى الله عليه وسلم: ((اللّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد))[١]

وجه الاستدلال: (دعاؤه مستجاب)[٢] ، يعني فلا يمكن أن يكون هناك شرك عند قبر الرسول.

ويجاب عن هذه الشبهة: بأن دعاء الرسول مستجاب لا شك فيه، ولهذا قد أحاطه الله بأسوار وجدران، فلا أحد يستطيع أن يسجد لقبره مباشرة كائناً من كان، وليس فيه أي دليل على أن أحداً لا يشرك بالله جل وعلا بعبادة النبي مثلاً أو بإثبات خصائص الربوبية في الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن هذا قد وقع من بعض المشركين، فكم من الغالين في الرسول مثلاً يدعي فيه خصائص الربوبية، ...

وأيضا مما يتشبث به القبوريون في هذا الباب:

٨- ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن أخوف ما أتخوف على أمتي، الإشراك بالله، أما إني لست أقول: يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية))[٣]

وجه الاستدلال: أن الرسول عليه الصلاة والسلام ما خاف علينا الشرك الأكبر، وإنما خاف علينا الشرك الأصغر[٤]

ويجاب عن هذه الشبهة بما يلي:

أ- أن الحديث ضعيف، والحديث الضعيف لا احتجاج به عند من يعتد به من أهل العلم.

ب- وأيضًا فإن الواقع يدل على خلافه، فكم من أوثان عُبدت من دون الله على مرّ القرون السابقة، ولايزال بعضها يُعبد من دون الله إلى يومنا هذا، وهذا يدل على وقوع الشرك في هذه الأمة، نسأل الله أن يعيذنا من الشرك وسائر الفتن).

---

(١) رواه مالك (١/ ١٧٢) من حديث عطاء بن يسار، ورواه أحمد (٢/ ٢٤٦) متصلا من حديث أبي هريرة بنحوه. وصحح إسناده الألباني في ((تحذير الساجد)) (٢٥)

(٢) انظر ما قاله ((محمد العلوي المالكي في مفاهيمه)) (ص: ح).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٠٥)، وضعفه الألباني

(٤) انظر ما قاله ((محمد العلوي المالكي في مفاهيمه)) (ص: ز-ح).

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

خاتمة

فى الحث على العناية بالتوحيد والحذر من الشرك بجميع أنواعه

إن من حسن الختام لهذه الرسالة أن نذكر نبذة موجزة في أهمية التوحيد وخطر الشرك، ووجوب العناية بالتوحيد تعلّمًا وعملًا وتعليمًا ودعوة، والحذر من الشرك والتحذير منه ومعرفة أنواعه وصوره حتى ينجو العبد منه؛ وبذلك يكون من الموحّدين المفلحين في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له : «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله» الحديث.(٢)

قال الشيخ العجيلي رحمه الله : (في الحديث دليل على أنَّ التوحيد مفتاح الدعوة يُبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة وهو أول واجب على الإنسان فيُبدأ بالأهم فالأهم)(٣).

وقال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله :

(هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله ، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو أفرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان، فرحم الله امرأً نصح نفسه وعرف أن وراءه جنةً ونارًا ، وأنَّ الله تعالى جعل لكل منهما أعمالًا ، فإن سأل عن ذلك وجد رأس أعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى ، فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعًا ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال ، ورأس أعمال أهل النار الشرك بالله فمن مات على ذلك فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار والصدقة والإحسان فهو من أهل النار قطعًا .... قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

---

(١) متفق عليه من حديث معاذ رضي الله عنه

(٢) متفق عليه.

(٣) تحقيق التجريد (١/٩٧)

[الفرقان : ٢٣] ... فرحم الله امرأً تنبه لهذا الأمر العظيم قبل أن يعض الظالم على يديه ، ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا)[١]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : اعلم أنَّ حاجة العبد إلى أنْ يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا أعظم من حاجة الجسد إلى روحه ، والعين إلى نورها ، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به)[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإنَّ التوحيد هو سرّ القرآن ولبّ الإيمان)[٣]

وقال أيضًا: (التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خير من علم نافع وعمل صالح ... وهذا قد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع)[٤]

وقال العلامة البقاعي رحمه الله : "فإنَّ التوحيد هو المقصود بالذات وعنه تنشأ جميع العبادات"[٥].

وقال بعض السلف :

"ما طابت الدنيا إلا بتوحيده ، وما طابت الآخرة إلا بجنته والنظر إليه تعالى"[٦]

وقال شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله : (فتبين أنَّ زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان)[٧]

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : فانشر ما علمت من العلم خصوصًا علم التوحيد ... وقد أخبر سبحانه عن جن نصيبين كما في سورة الجن أنهم أنكروا الشرك الذي كان يفعله الإنس مع الجن من الاستعاذة بهم إذا نزلوا واديًا. وأخبر تعالى عن هدهد سليمان أنه أنكر الشرك وهو طائر من جملة الطير. قال تعالى (مخبرًا عن الهدهد أنه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام) : ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا

---

(١) الدرر السنية (٢/١٠٠-١٠١)

(٢) طريق الهجرتين صـ ٥٧-٥٨

(٣) قاعدة جليلة في التوسل "(١/٣٣٧)

(٤) جامع المسائل لابن تيمية (٦/١٣٣-١٣٦).

(٥) نظم الدرر (٢/٢٨٢)

(٦) صفوة الصفوة (٤/٣١٩)

(٧) مفيد المستفيد صـ ٤.

وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية. [النمل : ٢٢-٢٥] فحدث الهدهد سليمان عليه السلام بما رآهم يفعلونه من السجود لغير الله والسجود نوع من أنواع العبادة. فليت أكثر الناس عرفوا من الشرك ما عرفه الهدهد فأنكروه وعرفوا الإخلاص فالتزموه ... فسبحان من غرس التوحيد في قلب من شاء من خلقه)(١).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله : (والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من فن المطاوعة خاصّة، بل البحث عنها أو تعلمها : فرض لازم على العالم والجاهل والمحرم والمحل والذكر والأنثى)(٢).

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله : "فالعقيدة هي الأساس يجب أن نتعلّمها أوَّلًا وأن ندعوَ إليها أوَّلًا وأن نصحِّح الأخطاء فيها قبل تصحيح الأخطاء في المعامَلات وتصحيح الأخطاء في الآداب والأخلاق. وما انتشرت هذه الأُمور في النّاس إلَّا لمّا قَلّ تدريس التوحيد وشرح العقيدة والدعوة إليها في المحاضرات والندوات والصُّحف والمجلات. فانتشرت هذه الأمور بسبب شياطين الإنس والجن الذين يريدون إفساد عقائد النّاس. فالاهتمام بأمر العقيدة وتصحيحها هو أم المهمّات)(٣)

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله : (إن بعض الناس اليوم من جهلة الدعاة وأقولها بأسف ... من جهلة الدعاة من يهونون من شأن التوحيد ويقولون الناس مسلمون وانتم في بلاد مسلمين ، العالم الإسلامي ليس بحاجة إلى من يلقي محاضرات في التوحيد أو يقرر مقررات في المدارس في التوحيد أو يقرأ كتب التوحيد بالمساجد هكذا يقولون .. وهذا من الجهل العظيم لأن المسلم أحوج من غيره لمعرفة التوحيد من أجل أن يحققه ومن أجل أن يقوم به ، ومن أجل أن يبتعد عما يخلّ به أو يناقضه من الشركيات والبدع والخرافات ... فإن الناس إذا جهلوا التوحيد وجهلوا مسائل الشرك وأمور الجاهلية فإنهم حينئذٍ يقعون في الشرك من حيث يدرون أو لا يدرون ... وهل كل المسلمين يعرفون أمور العقيدة ويعرفون التوحيد ؟!.

---

(١) رسائل وفتاوى الشيخ عبد الرحمن بن حسن (١/ ٣٠-٣١)

(٢) الرسائل الشخصية للمجدد محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٨٩)

(٣) إعانة المستفيد (٢/ ١٦٤)

فيجب علينا أن نهتم بجانب التوحيد وأن نعتني به عناية تامة بأن ندرسه وندرّسه ونحاضر فيه ونعقد فيه الندوات ونشكل به البرامج في وسائل الإعلام ، ونكتب في الصحف وندعو إلى التوحيد رضي من رضي وغضب من غضب ؛ لأن هذا أساس ديننا وهذا مبنى عقيدتنا ، ونحن أحوج الناس إلى أن نتعرف عليه وأن نتدارسه وأن نبينه للناس)[١]

وقال الشيخ العجيلي رحمه الله : (ولا يتهاون بكلمة التوحيد ويعيب على من اجتهد في تعلمها إلا من هو أكبر الناس شركًا وأجهلهم بلا إله إلا الله)[٢].

وقال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (فالله الله يا إخواني!! تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره، وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفرهم أو قال: ما علي منهم، أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله تعالى بهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم، فالله الله يا إخواني ، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئا.

اللّهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين)[٣]

---

(١) أهمية التوحيد، الفوزان صـ ٢-٣

(٢) تحقيق التجريد (١/ ٩٠)

(٣) (مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب-القسم الأول- العقيدة والآداب الإسلامية ص ٣٦٨)

الفهرس

مقدمة ٥

تمهيد: وفيه مسائل: ١٣

أهمية التوحيد علما وعملًا ودعوة إليه والعناية بمعرفة الشرك وأنواعه الجلية والخفية: ... ١٣

تعريف التوحيد ومعنى الشرك في اللغة والشرع: ١٨

الفرق بين الشرك والكفر: ١٩

الباب الأول: بداية الشرك وأصله وأسبابه: ٢٣

وفيه ستة فصول وملحق:

الفصل الأول: هل الأصل في الإنسان التوحيد أم الشرك..... ١٣

الفصل الثاني: أول شرك وقع في بني آدم..... ٢٦

هل المراد بقوله ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ آدم وحواء؟: ٢٧

الفصل الثالث: أصل شرك العالم عبادة الأشخاص ثم الكواكب..... ٣٤

الفصل الرابع: أسباب الشرك وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام: ٣٦

أسباب الوقوع في الشرك: ٣٦

أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام: ٣٧

أسباب الانحراف عن العقيدة الصحيحة ٣٨

سبل التّوقِّي من هذا الانحراف ٤٠

الفصل الخامس: كيف دخل الشرك إلى العرب ومن أدخله: ٤١

الفصل السادس: متى وكيف كانت بداية الشرك في هذه الأمة ٤٨

ملحق: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ٥٧

الباب الثاني: أنواع الشرك وخطره: ٥٩

وفيه فصلان وملحق:

الفصل الأول: أنواع الشرك: وفيه ثلاثة مباحث: ٦١

المبحث الأول: تقسيم الشرك إلى نوعين: أكبر وأصغر: وله فروع: ٦٢

الفرع الأول: ضابط الشرك الأكبر والأصغر: ٦٢
الفرع الثاني: هل جميع المعاصي تدخل في الشرك: ٦٣
الفرع الثالث: الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر: ٦٥
الفرع الرابع: بعض الأعمال التي تكون تارة شركًا أكبر وتارة شركًا أصغر: ٦٦
التوكل على غير الله: ٦٦
التعلق بغير الله: ٦٧
التعلق بالأسباب: ٦٨
الحلف بغير الله: ٦٩
التبرك بالأحجار والأشجار ونحوها: ٧٠
التطير: ٧١
التمائم: ٧٢
علم النجوم (علم التأثير): ٧٣
قول: مُطرنا بنوء كذا أو بنجم كذا: ٧٤
قول ما شاء الله وشاء فلان ٧٥
تعبيد الاسم لغير الله: ٧٦
المبحث الثاني: تقسيم الشرك إلى نوعين: شرك في الربوبية وشرك في الإلهية ٧٨
مسألة: الفرق بين شرك الطاعة وشرك العبادة: ٨٠
المبحث الثالث: تقسيم الشرك إلى ثلاثة أنواع: الشرك في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وأنواع ذلك: ٨٣
الشِّرْك فِي الْأُلُوهِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الشِّرْكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: ١٠٥
الفصل الثاني: الخوف من الشرك وبيان أنه أعظم الذنوب: ١٠٦
الشرك أعظم الذنوب؛ وذلك لأمور ١٠٦
مسائل ملحقة: ١٠٩
كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك: ١٠٩

المراد بقوله: ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا)): ١١٠
((ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه)) لتخليص القلب من رق إحسان الخلق: ١١٢
بيع أَستار الكعبة من وسائل الشرك أَو من الشرك: ١١٢
حكم قول: بسم الوطن والشعب-بسم الله واسم الملك: ١١٢
حكم قول: "بسم الوطن" "باسم الشعب" "باسم العروبة": ١١٢
تحريم الانحناء عند السلام ووضع اليد على الجبهة: ١١٣
حكم تَقْبِيل الْأَرْضِ وَرَفْعُ الرَّأْسِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ السُّجُودُ أمام الْمُلُوكِ ونحوهم
ومن أُكره عليه: ١١٤
إذا استعاذ الإنس بالجن أجابوهم لأنهم يرون أنه حصل لهم الشرف والرئاسة على الإنس..١١٥
الباب الثالث: أنواع الشرك الأصغر وأحكامه ومسائله: ١١٧
وفيه ثلاثة فصول مع مسائلها:
الفصل الأول: الشرك الأصغر نوعان: ١١٨
١ -شرك ظاهر جلي: وهو نوعان:
أ-شرك الأقوال والألفاظ.
ب-شرك الأفعال.
٢-شرك خفي: وهو ما يكون في الإرادات والنيات.
الشرك الخفي وما ورد فيه: ١١٩
قد يقع العبد في الشرك الأصغر أو الخفي وهو لا يعلم : ١٢١
علاج الشرك الأصغر الجلي: ١٢٢
أولًا: علاج شرك الأقوال والألفاظ ١٢٢
ثانيًا: علاج شرك الأفعال ١٢٣
قولهم:(الشرك الأصغر أكبر من الكبائر) باعتبار الجنس وليس على إطلاقه: ١٢٥
هل الشرك الأصغر تحت المشيئة مثل الكبائر أم أنه لا يُغفر إلا بتوبة: ١٢٨
خطر الشرك الأصغر: ١٣٢

مسائل ملحقة: ١٣٣
النهي عن الشرك في الألفاظ أتى بالتدريج: ١٣٣
((تركته وشركه)) دليل على أن الشرك يحبط العمل سواء كان أكبر أو أصغر: ١٣٤
الاستدلال على الشرك الأصغر بما نزل في الأكبر: ١٣٤
الفصل الثاني: تعريف الرياء وحكمه وأقسامه: ١٣٦
تعريف الإخلاص والرياء: ١٣٦
تعريف الإخلاص : ١٣٦
حكم الإخلاص وأهميته: ١٣٦
تعريف الرياء ١٣٧
الرياء لا يدخل في العبادات القلبية: ١٣٧
حكم الرياء: ١٣٨
أَغْرَاضُ الرِّيَاءِ ثَلَاثَةٌ: ١٣٩
أقسام الرياء وأحواله: ١٣٩
التقسيم الأول: الرياء نوعان: رياء محض ورياء الشرك: ١٣٩
التقسيم الثاني: الرياء نوعان: شرك أكبر وشرك أصغر: ١٤٠
خلاصة أحوال الإخلاص والرياء في العبادة وبعدها: ١٤٠
كلام أهل العلم وتقريراتهم في أقسام الرياء وأحواله: ١٤١
إذا وقع الرياء بعد الانتهاء من العبادة، فهل يؤثر في العبادة؟ ١٤٤
حكم تحدثه بالعمل بعد الفراغ منه مراءاة وسمعة؟ ١٤٥
الْفَرْقُ بَيْنَ الرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ نفاق أَكْبَرُ وَبَيْنَ الرِّيَاءِ الذي هو شرك أصغر:.....١٤٥
من دقائق الرياء وخفاياه: ١٤٦
إِذَا سُرَّ الْإِنْسَانُ بِمَعْرِفَةِ طَاعَتِهِ هَلْ هُوَ مَذْمُومٌ؟ ١٤٨
إذا وقع الرياء في الفرائض فهل يلزمه إعادة الفرائض التي راءى بها: ١٤٨
أمور لا تدخل في الرياء: ١٥٠

النشاط على فعل الخير مع الصالحين ليس من الرياء: ١٥٠
من كان له عبادة فلا يتركها لكونه بين الناس: ١٥١
ترك العمل خوفًا من الرياء: ١٥١
(ترك العمل لأجل الناس رياء) ليس على إطلاقه: ١٥٢
لا ينهى عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء: ١٥٣
حالات ثناء المرء على نفسه أربع: ١٥٤
ينبغي التفقه في هذا الباب ومعرفة أنواع الرياء لأجل الحذر منها: ١٥٤
سبب الخوف من الرياء أكثر من الدجال: ١٥٥
علاج الرياء والسمعة وأسباب الوقاية والسلامة منهما: ١٥٦
الفصل الثالث: إرادة الإنسان بعمله الدنيا وأنواعها وأحكامها: ١٦١
المراد بإرادة الإنسان بعمله الدنيا: ١٦١
الفرق بين بين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا: ١٦١
حكم إرادة الإنسان بعمله الدنيا: ١٦٣
أحوال من أراد بعمله الدنيا ومن أخلص ١٦٦
كلام أهل العلم في تفاصيل وأحوال إرادة العبد بعمله الدنيا : ١٦٧
يثاب بقدر قصده الآخرة: ١٦٩
أدلة جواز تشريك النية في العبادة: ١٧٢
أحوال العبادة مع الرياء وإرادة الدنيا: ١٧٣
علاج إرادة الدنيا بعمل الآخرة ١٧٥
علاج الرياء وإرادة العبد بعمله الدنيا ١٧٧
الباب الرابع: من أدلة بطلان الشرك وبيان حال المعبودات وعابديها: ١٧٩
وفيه فصلان:
الفصل الأول: من الأدلة والبراهين على بطلان الشرك: ١٧٩
الأمثال المضروبة لتقرير التوحيد وبطلان الشرك ١٨٢

النوع الأول: الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه: ١٨٢
النوع الثاني: أمثلة عجز آلهة المشركين: ١٨٣
الأمثال المضروبة لوصف حالة المشرك ١٨٨
الفصل الثاني: بيان حال المعبودات وعابديها: ١٩٣
وفيه مبحثان:
المبحث الأول: ضلال وشقاء المشركين وحالهم مع معبوداتهم الباطلة ١٩٣
المبحث الثاني:عبدة الطاغوت تقودهم آلهتهم حقيقة وأما عيسى وعزير
وغيرهما فيمثل لهم أشباههم: ١٩٤
الباب الخامس: معنى الطاغوت وصفة الكفر به وذكر أشهر أوثان المشركين:...١٩٧
وفيه فصلان:
الفصل الأول: معنى الطاغوت وصفة الكفر به: ١٩٧
معنى الطاغوت لغة واصطلاحا: ١٩٨
أجمع ما قيل في تعريف الطاغوت: ١٩٩
المراد بالجبت والطاغوت في قوله تعالى:﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾:.....٢٠٠
الفرق بين الصنم والوثن: ٢٠١
الطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: ٢٠٢
متى يُوصف الشخص ويُعيّن بأنه طاغوت: ٢٠٣
من عُبد من دون الله وهو غير راض بذلك فلا يسمَّى طاغوتًا: ٢٠٣
صفة الكفر بالطاغوت: ٢٠٤
المعبودات الباطلة تكفر بمن عبدها مطلقًا: ٢٠٤
المعبود في الحقيقة هو الشيطان: ٢٠٥
الفصل الثاني: معرفة صفة عبادة اللات وأشهر أوثان المشركين: ٢٠٧
المبحث الأول: معرفة صفة عبادة اللات وقصته: ٢٠٧
المبحث الثاني: أشهر أوثان المشركين: اللات والعُزّى ومناة: ٢٠٩

الباب السادس: من وقع في الشرك فهل يُعذر بالجهل والفرق بين إقامة الحجة وفهم الحجة: ٢١٣

ويشمل ما يلي::

من وقع في الشرك وهو في بلد التوحيد وبين المسلمين فلا يُعذر بالجهل:.....٢١٣

الجهل عذر في بعض الأحوال وليس بعذر في بعض الأحوال:.....٢١٤

المراد بإقامة الحُجّة والفرق بين قيام الحُجّة وفهم الحُجّة: ٢١٨

الباب السابع: شبهات المشركين وكشفها والجواب عنها.....٢٢١

الجواب عن شبهات المشركين له طريقان: مجمل ومفصّل: ٢٢١

الجواب المجمل: من وجهين.....٢٢١

الجواب المفصّل: الجواب عن ١٣ شبهة من شبهات المشركين وتفنيدها.....٢٢١

الجواب عن شبهةٍ هي من أكبر شبه المشركين وتفنيدها من وجوه كثيرة:.....٢٢٩

القاعدة الكبرى التي بنى عليها المشركون دينهم هي الاقتداء بالآباء

والأسلاف في الشرك وهي من أكبر الشبه عندهم : ٢٣٥

شبهات من قال بعدم وقوع الشرك في هذه الأمة والجواب عنها وتفنيدها: ٢٣٩

الخاتمة ٢٤٩

الحث على العناية بالتوحيد والحذر من الشرك ٢٤٩

الفهرس ٢٥٣